الأمانة العامة
العتبة الحسينية المقدسة

سلسلة تراث كربلاء (١)

أجوبة المسائل الدينية

صدرت
عن لجنة الثقافة الدينية
كربلاء - العراق
١٣٧٥هـ

قام باعادة طبعها
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

شبكة الفكر
alfeker.net

العدد الأول
الدورة العاشرة

أجوبة المسائل الدينية

صدرت
عن لجنة الثقافة الدينية
كربلاء - العراق
١٣٧٥ هـ

صاحب النشرة ومدير اللجنة
صاحب الفضيلة السيد عبد الرضا الشهر ستاني

قام بإعادة طبعها
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

شهر محرّم الحرام سنة ١٣٨٥ هـ

جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الثانية ـ منقحة
١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
لسنة ٢٠١١- ١٦٠٢



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩
www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com



طبع على مطابع

شركة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - طريق المطار - قرب سنتر زعرور
هاتف:٤٥٠٤٢٦ / ٠١ - فاكس:٤٥٠٤٢٧ / ٠١

Published by Aalami Est.
Beirut Airport Road
Tel:01/450426 Fax:01/450427
E-mail: alaalami@yahoo.com

العدد الأول الدورة العاشرة شهر محرّم الحرام سنة ١٣٨٥هـ	أجوبة المسائل الدينية تصدرها لجنة الثقافة الدينية كربلاء - العراق	بدل الاشتراك السنوي فلس ٥٠٠ داخل العراق ٦٠٠ خارج العراق ٥٠ العدد الفردي

كربلاء المقدسة - تلفون ٨١٠
سماحة العلامة السيد عبدالرضا الشهرستاني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الدورة العاشرة

مرت على المسلمين قرون ثلاثة عشر - هي منذ فجر الإسلام حتى ما قبل نصف قرن تقريباً - كانوا فيها مزودين بالثقافة الإسلامية مرتوين مناهلها، عارفين بأحكامها، عاملين عليها.

كان المسلم إذا حلت به مشكلة، واستعصت عليه مسألة راجع بها أقرب عالم، أو واعظ، أو عالم بالمسائل عنده، وفي يومه أو ليلته كان يستطيع الحصول على الجواب، لأن التوجيه العام كان يتمثل في المنابر، والخطباء والوعاظ، حيث كان المسلمون - بمختلف أشكالهم، وقومياتهم - يجتمعون تحتها على صعيد واحد يتلقون منها ومنهم التوجيه، والثقافة الإسلامية.

ذلك - ولبعد أكثر المسلمين اليوم عن تعاليم إسلامهم، وضآلة رسل

الدعوة والتبليغ الإسلامي ـ سبب لنا وحدا بنا إلى إنشاء هذه النشرة الإسلامية. (أجوبة المسائل الدينية) ومواصلة إصدارها دون ملل أو تعب منذ أربع عشرة سنة رغم العقبات ـ المادية والمعنوية ـ التي قاسيناها ولا نزال، والتي كانت جديرة بأن تعثر علينا الطريق، وتكدر أمامنا الصفو، لولا خطورة الموقف، وعظم المسؤولية، وتأكد وجوب المواصلة مهما شقت وصعبت.

وحيث إننا ـ في هذا العدد ـ على أعتاب الدورة العاشرة من هذه النشرة نود أن نكرر تأكيدنا في الاستعداد للإجابة على كل سؤال يرتبط بالإسلام في أي ناحية من نواحيه: العبادية، والتجارية، والعائلية، والفردية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والعسكرية، والزراعية وغيرها... وغيرها...

والله ولي التوفيق

لجنة الثقافة الدينية

كربلاء المقدسة: الجمهورية العراقية

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى فضيلة العلامة المجاهد السيد عبد الرضا الشهرستاني دام عزه أحييكم وأحيي مجلتكم الغراء. لجهادها المتواصل وبثها للوعي الإسلامي في المجتمع... أدامكم الله ذخراً لنا. وأدامها هادية إلى الطريق المستقيم.

سيدي:

أنا أعتقد بأن الإمام الحسين بن علي عليه السلام إمام واجب الطاعة ومعصوم عن كل زلل. إنه الشهيد المظلوم بحكم يزيد.

وإني لأكبر شعور المسلمين في تعظيم الشعائر بإقامة المآتم والعزاء على سيدنا الإمام الحسين عليه السلام.

ولا يبعد عن الصدق إن قلت إني سمعت مقتل سيد الشهداء عليه السلام أكثر من عشر مرات. وقرأته في الكتب أيضاً كذلك. ولكني كنت أقرأ أو أستمع كل ذلك وفي ذهني أسئلة تجاذب فكري حين الاستماع والقراءة وتتردد أمام عيني كلما قرأت، أو سمعت، أو ذكرت مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

ففي بعض الأحيان أقف وقوف المتحير وكلما أردت أن أزيح هذه الأسئلة عن ذهني، لا أتمكن.

وكلما أفكر في الجواب عنها لم أصل إلى شيء.

فأحببت أن أتصل بكم وإني واثق أنكم تحسنون الظن فيّ وبعد أن فاتحت بعض أصدقائي بتلك الأسئلة وإذا هو (أيضاً) يزعم أنها عرضت على باله.

وبعد مدة تبين أنها عارضة على كل الأذهان وكل أحد يشتاق إلى معرفتها.

سؤال تسلسل ١٢٢٩

وهي أولاً: لماذا خرج الإمام من المدينة مقر جده ـ ثم من مكة مع العلم بأنه لو كان باقياً في الحجاز لالتف حوله الناس وجعلوه خليفة؟

سؤال تسلسل ١٢٣٠

ثم ثانياً: لماذا لم يرجع لما أُخبر بقتل سفيره مسلم بن عقيل الذي أرسله لكشف حال الكوفة تجاهه؟

سؤال تسلسل ١٢٣١

ثم ثالثاً: ما فائدة تلك النهضة التي أقامها وقُتل في سبيلها وقتل أهل بيته فيها؟

سؤال تسلسل ١٢٣٢

ثم رابعاً: لماذا لم يصالح عليه السلام يزيد كصلح الإمام الحسن عليه السلام معاوية فيحقن بذلك دمه؟

سؤال تسلسل ١٢٣٣

ثم خامساً: لماذا أخرج أهل بيته وأولاده وأطفاله مع علمه بأنه يقتل فوقعن في الإهانة والنهب والسبي؟

سؤال تسلسل ١٢٣٤

ثم سادساً: ما فائدة المآتم التي نقيمها عليه وعلى أصحابه وأهل بيته ونجزع عليهم حتى أن بعض الناس نسبونا إلى (الجنون)؟!

هذا والله يشهد أني لم أركن إلى حزب أو طائفة وإنما تعرض له هذه الخيالات مجرداً.

فأرجو منكم أن تجيبوا بالجواب المقنع الكافي ولكم مني الشكر ومن الله جزيل الأجر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. كربلاء محمد علي باقر

حول نهضة الإمام الحسين عليه السلام

محمد الرضا الحسيني الجلالي

جواب تسلسل ١٢٢٩

إن ثورة سيد الشهداء عليه السلام من الحركات الإصلاحية التي حازت السبق في ميادين الخلود والذكر. وفاقت كلها ـ للحق ـ غناء وخصبة وهي ـ من حيث بيئتها ـ الأولى من نوعها في ذلك.

فعلينا إذا أردنا الإحاطة بها ومعرفة فلسفتها أن نعرف:

(١ ـ) البيئة التي قامت فيها الثورة.

(٢ ـ) السلطة المسيطرة عليه في ذلك الأوان.

أما:

بيئة الثورة

فبإمكاننا أن نلخصها تحت كلمة وسيعة المحيط عميقة الغور وهي «الخمود» بجميع معانيه.

١ ـ الخمود الديني

حيث لم يبق للإسلام إلا اسمه وللقرآن إلا رسمه ومعالم الدين منطمسة وأعلامه منكسة لا حرمة لمظاهره ولا ذكر عن مآثره.

٢ ـ الخمود العملي

حيث لم يقم فيه المسلمون بعمل يذكر يحسن في التاريخ.

والتأخر مسيطر عليهم في كل أمورهم فلا فتح ولا ظفر ولا صناعة ولا ثقافة ولا ثروة إلا الخسائر المتعاقبة من كل الجهات المارة.

٣ ـ الخمود الفكري

حيث لم ينشأ فيها مفكر قدير أو مخترع أو حاذق يفخر به إلا قتل الأحرار من المفكرين وإخلاء الأرض منهم.

٤ ـ خمود القوة في الأمة

حيث لم يوجد من يحفزهم إلى جمع الشمل ونبذ البغضاء أو من يفكر في تحريرهم من ذلك الهوان والضغط أو من يقدم في تحسين الحالة الاجتماعية السوأى في ذلك الحكم، فالخوف مطلق حركاتهم وسكناتهم لا يتمكنون الفرار عنه، إلى غير ذلك مما يدخل في مفهوم الخمود الوسيع.

وأما:

السلطة الحاكمة

فهي سلطة الحكم الأموي ـ وسيطرة الأمويين الذين ما كان جهدهم إلا إخماد صوت الإسلام وإحياء كلمة الجاهلية.

وحقيقة هذا الحكم، وتاريخه، يتصل بتاريخ:

علي عليه السلام ومعاوية

والنبي صلى الله عليه وآله وأبي سفيان

فكانت قلوبهم ـ البعيدة عن الحق ـ ملأى من الأحقاد البدرية والحنينية و... ـ للإسلام ولأبطاله، يتربصون الدوائر ـ لإظهار ما يباطنهم

من داء وبجوانبهم من رواسب الجاهلية. حتى إذا تربعوا على أريكة الحكم فكان من معاوية ما كان من منعه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن نشر حقائق الإسلام، وإرشاد الأمة إلى ما فيه خيرها وصلاحها.

ومن بث الغوغاء في الأمة بتتابع الغارات وتوالي الحروب.

ومن إطلاق سراح المجرمين الجامحين عن حكم الإسلام.

ومن قتل الأبرياء من الصلحاء مهاجرين وأنصاراً.

ومن... ومن... غيرها من المفاسد التي استنها في الإسلام... إلى توليد ابنه ـ الفاجر ـ يزيد على دست الحكم الإسلامي.

ولما تولى ابنه الحكم ـ وهو الذي يريد هتك كل حرمات الدين ـ تجسد فيه عداء أبي سفيان جده ومعاوية أبيه للحق واجتمع مع عداته.

وفي الحسين عليه السلام كان متجسداً الحق ـ وهو أولى به ـ مجتمعاً مع دعوة جده ـ رسول الله ـ الواضحة على جبهته وإيمان أبيه ـ علي بن أبي طالب ـ المزيدة على قوته.

فماذا ترى يحصل من هذا الاصطدام...؟

نعم... يحصل من هذا... ثورة أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وإذا عرفت هذا فلنشرع في المقصود: ـ

«خروج الحسين عليه السلام»

وقف الإمام ـ آنذاك ـ موقفاً عصيباً من أدق المواقف وأحرجها فإما أن يبايع يزيد الكفر وبذلك يقضى عليه وعلى دين الله.

وإما أن لا يبايع ـ وهو المتوقع منه ـ فإما أن يكره على البيعة، وإما أن يقتل دون أن يبايع وبقتله يقتل قريشاً وبقتلهم تحصل مقتلة عظيمة

فإذاً ماذا يفعل؟ وماذا يلزم عليه؟؟

إنه لا يبايع، ولكنه يهاجر من المدينة إلى مكة، ويهاجر من مكة إلى العراق ليأمن من بغي يزيد وأميره وحزبهما. فاراً متخفياً مترقباً فيمكن أن نحصر أسباب خروجه من الحجاز إلى العراق في ما يلي: ـ

(الأول):

الإصلاح

وهو أهم أسباب خروجه عليه السلام وبه صرح في أول وثيقة لثورته وصيته لأخيه محمد بن الحنفية قائلاً:

«إني لم أخرج أشراً ولا بطراً[1] ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير سيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب»

يريد إصلاح الأمة وبإصلاحها يصلح الحكم.

فهمته العليا عليه السلام هي إرشاد الأمة إلى السعادة والأمان والثروة يريد هداية الأمة إلى محاسن الإسلام ويردهم عن الظلام الأموي.

يسترجع الإسلام ويرفع أعلامه لأنها كادت أن تنكس بتلك الأيدي الآثمة ـ أيدي بني أمية ـ

يريد بذلك السير على كتاب الله لا على خطط الوثنية وعلى سنة نبيه لا على سنن الجاهلية.

وإحياء السنة التي أماتها الأمويون وإماتة البدعة التي أحيوها كما

---

(١) الأشر والبطر: المتكبر عن قبول الحق.

عبر عن ذلك في كتابه إلى البصرة:

«وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه فإن السنة قد أميتت والبدعة قد أحييت إلخ».

(الثاني):

«الفرار من يزيد»

لما كان له العداء البغيض، والحقد المتواكب على فؤاده ولإباء الحسين عليه السلام البيعة له:

وقد تربص للإمام الدوائر وتعقبه ـ للقتل في مواقع كثيرة.

(منها) حين كتب إلى واليه على المدينة ـ الوليد بن عتبة ـ يأمره بأخذ البيعة من الحسين... وقال في آخره: «وإن أبى فاضرب عنقه».

(ومنها) حين أرسل عمرو بن سعيد في عسكر عظيم إلى الحجاز. وولاه أمر الموسم أمره على الحاج كلهم. وأمره أن يناجز الحسين إن هو ناجزه وأن يقتله إن تمكن عليه، وإلا فيقتله... غيلة.

(ومنها) حين دس في تلك السنة مع الحاج ثلاثين رجلاً من شياطين بني أمية أمرهم بقتل الحسين عليه السلام على أي حال اتفق ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة.

فلجأ علم الحسين بذلك جعل حجته عمرة مفردة وخرج.

وهكذا في غير موقف وموطن كان يأمر بقتله، والحسين يفر منه مترقباً... إلى أن انحصر في وادي الطف فأعلن الثورة.

(الثالث):

إتمام الحجة على أهل الكوفة

ومن أسباب خروجه إلى العراق ودواعيه ـ المهمة ـ إجابة دعوة الكوفة إياه. فإنهم أرسلوا إليه أن اقدم على جند لك مجندة... حتى اجتمع عنده اثني عشر ألف كتاب اشترك في الكتاب الخمسة والعشرة والأكثر يستنجدون به من الذل والهوان ـ ويوعدونه بالنصر. فكان من الواجب عليه عليه السلام الذهاب إليهم لإتمام الحجة عليهم، سيما بعد أن أرسل إليه نائبه ورسوله مسلم بن عقيل ـ بإقبال الناس إليه وتوافرهم على البيعة له وأنهم بلغوا ثلاثين ألفاً.

جواب تسلسل ١٢٣٠

(وأما) عدم رجوعه بعد علمه عليه السلام بغدر أهل الكوفة ـ في الطريق ـ

فلأن أهل بيته أبوا الرجوع لأنه عليه السلام قال لهم حينئذ ما ترون فقد قتل مسلم، فقالوا: والله لا نرجع حتى نصيب ثأرنا أو نذوق ما ذاق فما كان من العدل أن يتركهم وهم الذين واسوه إلى ذلك الموقف فقال: لا خير في العيش بعد هؤلاء.

هذا مع أنه لم يجد ملجأ يلجأ إليه ـ حينذاك ـ فما كان عليه إلا أن يتابع السير ليلقى مقره.

(الرابع):

حفظ حرمة الحرم

كان الحسين عليه السلام حريصاً على الخروج ـ من الحجاز ـ بأسرع وقت ممكن

أشد الحرص، لئلا يقع بينه وبين حزب يزيد ـ في الحرم قتال فتهتك حرمته. وأما يزيد فهو الذي أمر بقتل الحسين: ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة ومع هذا هل يرى للحرم حرمة؟

فكان هذا أيضاً من أسباب خروجه

(الخامس):

نشر دعوته

لما كان لخروجه عليه السلام ـ في ذلك الوقت ـ من تأييد حركته ودعوته حتى صار إباؤه على يزيد البيعة وخروجه من الحجاز حديث كل اثنين يجتمعان فأوجد عليه السلام بمسيره في ذلك الوقت ـ ثورة فكرية ـ سببت إفشاء دعوته بسرعة البرق.

وكان لخروجه في غير أوانه ـ دوّي يرن صداه في الداخل والخارج والناس يتساءلون عن نبئه العظيم وعن أنه عليه السلام:

هل حج وخرج؟

ولماذا خرج؟

وإلى أين؟

ومتى؟

هذا... والحسين عليه السلام يسير بموكبه الفخم وحوله أهله ـ كهالة حول القمر ـ وكان موكبه عليه السلام داعية من دعاته. فإن الخارج يومئذ من أرض الحج والناس متوجهون إلى الحج لا بد أن يستلفت إلى نفسه الأنظار وإن كان راكباً واحداً... فكيف يركب وموكب...

إنه لأمر مريب وغريب أن يستوقف الناظر ويستجوب العابر: وهذه أيضاً

من شأنها شهرة أمر الإمام وانتشار خبره الهام[1].

* * *

لهذا خرج الحسين عليه السلام من الحجاز ـ إلى العراق.

ليثور هناك ويفيض الموائد الثمينة علينا من وراء ثورته فكان خروجه عليه السلام السبب الأول لثورته حيث إن يزيد لما أخبر بخروجه عليه السلام غلب على عقله أنه يتأهب للخروج عليه في العراق مهد الشيعة ـ فأمر واليه على الكوفة ـ عبيد الله بن زياد ـ أن يقابل الحسين بالقتال فخرج ـ الوالي ـ إليه فالتقوا بوادي الطف ـ أرض البسالة والشهادة.

نتائج تلك النهضة

جواب تسلسل ١٢٣١

عوائد حركة الحسين ليست كالعوائد الشخصية أو المرهونة بوقت تموت بوفاة أو فوات. بل هي آثار خالدة تعود إلى المجتمع كله خلود الدهر.

ومناهج للبشر مدى الأجيال في إعلاء الحق وإزهاق الباطل.

فهي صرخة كانت للحق. وكان ـ نتاجها ـ الحق.

ففوائدها كثيرة يمكن حصرها فيما يلي:

(الأول) صد الحكم الأموي الغاشم عن السير على خططه الهدامة التي محورها «محق الإسلام» وموادها ما ملأت صحف التاريخ.

(فمنها) «معاداة معاوية» أمير المؤمنين عليه السلام ومعارضته له في جميع الحالات الذي أتيح استهانة الناس بالسيادة الإسلامية «الخلافة» وأصبحت

---

(١) نهضة الحسين: للشهرستاني، ص٥٧.

الأمة من جراء ذلك لا تعتني بعظمائها ولم يأخذوا أفعالهم مناهج في سيرهم ولم يتبعوا آثارهم وأقوالهم، ولم ينتهوا بمناهيهم فأثر ذلك فيهم حتى جعلوا القرآن وراء ظهورهم، وعرض بذلك عليهم الذل والتقهقر... إلى أن انتبهوا (بصرخة الحق).

(ومنها): قتلهم، ونفيهم: أصحاب الحق والفضيلة والإيمان والجهاد... من كل صحابي جليل ومجاهد قدير أو آمر بالمعروف أو ناهٍ عن المنكر كتبعيد عثمان ـ منهم ـ أبا ذر الصحابي الأكبر الصديق الأمين إلى الربذة وكسحقة ابن مسعود الصحابي الكبير ذي المناقب الجمة وقتله.

وكقتل معاوية عماراً الصابر في سبيل الله.

وكقتله حجر بن عدي الصالح التقي ورفاقه الأبرار أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وقتل محمد بن أبي بكر وأشياعه المتقين إلى غيرهم من أصحاب أمير المؤمنين أصحاب الحق والفضيلة والجرأة.

فعلوا كل ذلك... ليصفو لهم الجو حتى إذا أخلوا الأمة منهم تسلطوا عليها ملوكاً إلى أن أخرج الله من ادخره لإنقاذ دينه ـ الحسين بن علي ـ فنهض تلك النهضة التي بددت كيانهم.

(ومنها): تأميرهم كل فاجر فاسق، وكافر منافق على الأمة المؤمنة يعيشون في الأرض فساداً ويكثرون في الأرض العتو.

كتأمير عثمان معاوية على الشام والوليد على الكوفة.

وكاستخلاف معاوية ابنه يزيد.

وكتأمير يزيد عبيد الله بن زياد. إلى غيرهم ممن يبرأ منهم الحق من مجرمي التاريخ.

(ومنها): عداؤهم لأهل البيت ـ النبوي ـ وتحطيم شوكتهم والجد

في إبادتهم، وإهانتهم بين قتل وسب وغصب وتشريد وهتك حرمة إلى غيرها من الإرهابات التي تحط من شأنهم أو قوتهم.

فكانت ثورة أبي عبد الله بتراً لحكمهم وصداً لهم وردعاً لعدائهم وبثورته عليه السلام تنبهت إلى التأخر الذي أوقعه الحكم الأموي في مجتمعهم فتمسكوا بأهل البيت وأقيموا الحق. الثاني: ـ كشف الحجب عن أعمال تلك السياسة ـ السوداء ـ وأبان المقاصد الخبيثة التي أكنوها في أعماقهم لإصابة الإسلام والمسلمين.

فأخرق عليه السلام تلك الأغشية الخلابة الخداعة ـ التي نصبوها ستراً لقبائحهم ومنكراتهم ـ بلهب ثورة شع نوره حتى أوضح الحقائق للعالم.

تلك ثورة أبي عبد الله الحسين كانت ـ بدواً، وختاماً ـ فضيحة لبني أمية ـ أما ابتداؤها:

فمن إخراج سيد شباب أهل الجنة من مقره إلى العراق وحصر الطريق عليه وصده عن الرجوع أو دخول أحد بلدان المسلمين يكون كأحدهم ثم بعد الحصر ـ في أرض الشهادة ـ أعمال العنف والظلم الشديدين عليه وعلى أهل بيته وأطفاله فمنع الماء عنهم ثلاثاً بلياليهم في ذلك الموقف حيث الحر والغربة في القفر وهكذا في مقاتلة النفر النزر بأشنع محاربة وأفظع قساوة.

وأما انتهاؤها: فحرق مآوي حرائر الرسول الثواكل وذريته حيث لا مقر ولا مأوى وسبيهم من «الطف» بأبشع صور ـ إلى «الكوفة» ثم إلى «الشام» وإهانتهم في الطرق والمجالس كأنهم سبايا الترك أو الديلم إلى غير ذلك من المظالم والفجور.

فهذا كله أثر في أنفس الأمة وأنتج المقصود من إبادتهم واجتثاث أصولهم.

الثالث: بث روح الحركة والشعور بالمسؤولية عن الأمة والدين ـ في

أنفس المصلحين من المؤمنين وتنبيه الغافلين ـ عن التأخر ـ إلى التقدم والسعادة.

فصارت ثورته عليه السلام مناهج لهم في ذلك الأوان ودروساً لمن رأى في نفسه ذلك الشعور.

وكذلك حفزت المنكرين على يزيد ـ فحشاءه الشنيع ـ وبذيه الذريع ـ قوة وعزماً.

فما مضت برهة ـ من الزمن على ثورته ـ إلا والمصلحون يثبون للإصلاح في وجه الأمويين. والمنكرون يعلنون الإباء ضد حكمهم حيث اقتفى بالحسين عليه السلام أهل المدينة في واقعة (الحرة). وعبد الله بن الزبير، والمختار ابن عبيدة الثقفي، وابن الأشتر النخعي، والتوابون وزيد بن علي الشهيد، والحسين بن علي الشهيد(فخ).

إلى غيرهم من المصلحين في ثوراتهم التي استوحت النضال ـ ضد الباطل ـ من ثورة أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

(الرابع): إحياء العزم والقوة اللذان ماتا ـ تلك الفترة ـ في المسلمين. ذلك العزم الذي استولوا به على نصف المعمورة وزلزلوا بها عرش الروم.

فإنه عليه السلام أعاد بثورته ذلك الخلق السامي إليهم. فأخذوا يجاهدون في سبيل الله وينبذون الباطل وأولياءه، ويتبعون الحق ودعاته.

وأخيراً فثورته عليه السلام ينبوع خير أفاضه علينا لنعيش في نعمائه سعداء. ومنار قدس مضيء لنسير عليه في الحياة برغد.

وهي جهاد روحي متواصل ضد الظلم تبقى آثارها مع الحياة ليجعلها كل من يريد الإصلاح نصب عينيه، شعاراً ينهج على سبيله.

لماذا لم يصالح الحسين يزيد؟

جواب تسلسل ١٢٣٢

كان يزيد يحقد على الحسين أموراً كثيرة ـ غير ما فيه من تضاغن وحقد لآبائه على الإسلام والمسلمين ـ نذكر أهمها: موقعية في التاريخ وأحرقها حقداً على يزيد:

(فمنها) صده عن نيل أوطاره وإظهار فحشائه. والإنكار عليه في كل المجالات. وكان هذا مما يغيظه كثيراً ـ لأنه يرى الحسين ـ وهو (لع) ابن الخليفة ـ رجلاً من الأمة وكلما أراد أن يحمل على الإمام ـ حملة الذئب ـ منعه أبوه الداهية ـ عن ذلك.

فمن الموارد ـ التاريخية التي تنبئ عن عظمة الحسين عليه السلام وحقيقته وفضيلته وعن رذالة معاوية وابنه ـ قصة «أرينب بنت إسحاق القرشي»، وذلك أن يزيد كان يتحرى أخبار الفتيات الحسان فسمع يوماً بحسن أرينب وكمال جمالها فرغب فيها وكان يتحين الفرصة لإخبار أبيه برغبته وبينا ذلك تزوجها ابن عمها ـ عبد الله بن سلام ـ فاشتد ذلك على يزيد وأخيراً بان بأمره وما اعتراه من الغم. فأمره بكتمان أمره، وأرسل إلى عبد الله بن سلام أن يأتي من الشام فلما استقر به المقام أرسل إليه أبا هريرة ـ شيخ المضيرة ـ يخبره بأن معاوية يرغب في مصاهرته فرحب عبد الله بذلك كثيراً وأخبر أبو هريرة معاوية بذلك فقال له معاوية: سر يا أبا هريرة إلى ابنتي وأخبرها برغبتي فإن الإقدام على ما فيه رضاها أحوط ـ وكان قد تكلم معها ثم تجيب ـ فلما أتاها أبو هريرة وأخبرها برغبة أبيها أجابت إلى ما رأوا لها ولكنها قالت: إني أخشى وجود زوجته

أرينب فيدركني ما يدرك المراد من الضرة. فخرج أبو هريرة إلى عبد الله بالخبر. واستقر الرأي على طلاق ـ أرينب ـ فطلقها ـ عبد الله ـ وبعدما توثق معاوية من الطلاق أرسل أبا هريرة ـ إلى أرينب ليخبرها بأمر زوجها ويزوجها من يزيد. فذهب ـ أبو هريرة ـ إلى الكوفة ومر فيها على الحسين بن علي ـ سبط رسول الله ـ فاحتفل به الإمام واستخبره مجيئه.

فأعلمه الخبر فناشده ـ الحسين ـ الله أن يذكره عندها. فأجاب أبو هريرة وصار إليها... وأخبرها بخبر زوجها وبكت وجزعت وبعد أن هدأت أعلمها بأن معاوية يستنكحها من ابنه يزيد والحسين بن علي عليه السلام يريدها لنفسه، فرغبت في الحسين سبط الرسول وتزوجها فإلى هنا انقطع أمل معاوية.

وانظر إلى عظمة ـ حسين المجد والخلود فيما فعل:

ولما عاد عبد الله بن سلام ـ المخدوع ـ إلى الكوفة طلب من الحسين أن ترد عليه ـ أرينب ـ وديعته التي أودعها عندها ـ وصدقته ـ أرينب ـ على ذلك.

فأمره الحسين أن يستلم وديعته بنفسه ـ كما أودعها بنفسه. ولما تراءى ـ عبد الله ـ وأرينب ـ جعلا يبكيان ـ بكاء تحسر وحزن ـ وهناك نطق ـ حسين المجد ـ والعز ـ بقوله ـ:

ارجعا إلى ما كنتما عليه فإني أشهد أنها طالقة وأني لم ألمسها وما أدخلتها في بيتي وتحت نكاحي إلا محافظة لها من يزيد ومن كيد أبيه هذا الحسين.

وأما معاوية: فانتشر نبأه في الشام بأنه دعا (عبد الله) إلى الشام ومكره على ابنته ليطلق ـ (أرينب) ـ ويزوجها من ابنه (يزيد).

وذلك هدّ لركن معاوية عند شيعته. فما ترى مقدار الحقد الذي يحمله

معاوية وابنه يزيد ـ في الحسين[1].

(ومنها): إباؤه عليه السلام عن تحكيم يزيد وصرح بذلك في كل مكان في خطبه ورسائله ومجالسه وحسبك الكتاب الذي أرسله ـ الإمام ـ إلى معاوية في استخلافه يزيد ـ الذي لو لم يحقد يزيد على الحسين إلا ذلك لكفى فإنه عليه السلام صرح فيه بما احتواه لحمه وشحمه وما عملته يداه واستوت عليه فطرته[2].

ومعاوية بدهائه ـ لم ير من صلاحه ـ معارضة الحسين وتحريك عواطفه وأما يزيد ـ الكفر لم ير للحسين إلا القتل والحرق والإفناء ـ ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة والحسين يعلم ذلك كما صرح به في أقواله مثل قوله لو كنت في حجر هامة من هؤام الأرض لاستخرجوني ويقتلونني.

وقوله لابن عباس حين أشار إليه عليه السلام بالصلح، هيهات هيهات...

«يا بن عباس إن القوم لن يدعوني وإنهم يطلبونني أينما كنت حتى أبايعهم كرهاً أو يقتلونني».

وقوله للفرزدق لما قال له ما أعجلك عن الحج:

«لو لم أعجل لأخذت»

وقوله لشيخ بني عكرمة: «والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي» فهل بعد هذا كله يجوز له أن يصالح يزيد المتجاهر بالكفر؟

فتلخصت أسباب عدم مبايعته ليزيد في:

أولاً: علمه بأن يزيد يريد التشفي من قتله لأحقاده عليه سواءً بايعه أم لم يبايعه، صالحه أم لا.

---

(١) أرينب ـ في الإمامة والسياسة وغيرها من التواريخ والسير.

(٢) الإمامة والسياسة: ج١، ص١٨٠.

سواء من أخبار جده وأبيه وأخيه، أو من الظواهر التي كانت تدل عليه من تعقيبه أينما ذهب بالجيوش وأمر الولاة بقتله ومحاربته إلى غير ذلك.

ثانياً: عدم اطمئنانه عليه السلام بيزيد وأتباعه. وكيف يوثق من شيمتهم الغدر وسجيتهم الخيانة. أما صالح معاوية الإمام الحسن عليه السلام بشروط لم يف بواحد منها؟ ألم يعطوا لمسلم بن عقيل الأمان فغدروا به؟

ثالثاً: علمه بأنه عليه السلام إن بايع ذهب بمجد الدين وعزه فإن بيعته بمعنى إمضائه أعمال يزيد وبني أمية المخالفة لصميم الدين والشريعة. وكانت إقراراً لها جميعاً وذهبت معارف المبدأ والعقيدة هباءً من دون أثر.

وأما صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية:

فلأنه عليه السلام كان في بيئة غير ما كان الحسين فيها. وقد أحس من أصحابه الغدر والخيانة ـ وقد وقع بالعيان منهم ذلك فإنهم راسلوا معاوية بكونهم معه وأنهم يرسلون الحسن إليه مكبلاً إن أراد.

بخلاف ـ الإمام الثالث ـ فإنه غلبه ظن الفوز في الكوفة وبعد علمه بالغدر حصر عليه الطريق وصد عن الرجوع.

فلم ير الحسن ـ حينئذ ـ إلا الصلح والنجاة بأهله وأولاده من القتل. بعد أن شرط تلك الشروط.

ومع هذا فلا يقاس معاوية ـ الداهية ـ الذي كان ـ بمكره يحافظ على ظواهر الشريعة في الجملة بيزيد المتجاهر بفسقه المعلن كفره. وهل كان يصالح يزيد الحسين إلا بالبيعة أو القتل؟

لماذا أخرج أهل بيته؟[1]

جواب تسلسل ١٢٣٣

ما انقطعت دعوة الحسين عليه السلام بقتله ولكن ما برح جهاده مستمراً ـ بعد قتله ـ من كربلاء ـ أرض الشهادة ـ إلى الكوفة ثم إلى الشام ـ عاصمة أمية ـ ثم منها إلى المدينة. فسار جهاد الحسين مع الأسارى أينما ساروا يدعو كل حي إلى الجهاد عن العقيدة فما مر ركب الأسارى على بلد إلا وأهلها يلبون دعوة الحسين ـ إلى أن انقلب ـ الشام ـ على يزيد وحكمه ودكدك عرشه.

وكذلك كان ركب الأسر مبهجاً للخواطر الغافلة ضد الظلم المطبق فلم تمت مقاصد الحسين عليه السلام بموت شخصه.

فالحسين عليه السلام أخرج أهل بيته لتكون ثورته متصلة الحلقات إلى تحقيق مقاصده السامية.

فكان ركب الحسين يسير أسيراً وينادي:

عيال الحسين الشهيد بأرض الطف، سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، قتله يزيد ظلماً وعدواناً.

فالقلوب تثور على يزيد، الأفكار تهيج ضده ويتلوها الأبدان.

وفي أخذ الحسين أهل بيته إلى أرض ـ الثورة والشهادة ـ كربلاء تأييد عظيم لدعوته ورسالة مرفوعة إلى كل الأنحاء.

---

(١) شرحنا في الدورة الثانية العدد السادس بأن بقاء الإسلام بتضحية الحسين وأسر عياله، وأيضاً في الدورة الأولى العدد الثامن.

فكم موقف وقفت فيها عيالات الحسين عليه السلام، محاربات باللسان ناشرات مبدأ الحسين في هذا الأسر.

(فمنها): بسالة الحوراء ـ عقيلة حيدر ـ زينب بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حين رأت الناس يبكون في سكك الكوفة فأومأت إلى الناس أن اسكتوا فسكتت الأجراس وهدأت الأنفاس. فانطلقت قائلة:

الحمد لله، والصلاة على محمد وآله الطيبين الأخيار. أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختل[1] والغدر، أتبكون فلا رقأت الدمعة[2]. ولا هدأت الرنة إنما مثلكم كمثل «التي نقضت[3] غزلها من بعد قوة أنكاثاً

---

(١) الختل: الخداع في غفلة.

(٢) لا رقأت: دعاء بمعنى لا سكنت ولا انقطعت.

(٣) اقتباس من قوله تعالى في سورة النحل، الآية ١٦/ ٩٢: ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون إيمانكم دخلاً بينكم...﴾ الآية إيماءً إلى أن أهل الكوفة خالفوا نص الكتاب في نقضهم العهد المنهي عنه في الآية السابقة على هذه الآية ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون﴾.

ومعنى كلامها (سلام الله عليها) أنتم ـ يا أهل الكوفة ـ كالمرأة التي نقضت غزلها وأفسدته بالحل من بعد إعمال القوة والإبرام في نسجه فجعلت غزلها أنكاثاً «وهو جمع نكث بكسر الأول وهو المنقوض بعد الفتل» أي خيوطاً والمعنى نقضت غزلها نقض أنكاث بمعنى المصدر كما تتخذون حلفكم على عهودكم خيانة ومكراً.

وهكذا جعلت العقيلة القرآن شعاراً لها في جميع خطاباتها الجبارة لتعلن إلى الملأ =

تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم» ألا وهل فيكم إلا الصلف[1] النطف[2]، والعجب والكذب والشنف[3] وملق الإماء[4] وغمز الأعداء[5] أو كمرعى على دمنة[6] أو كفضة على ملحودة[7] «ألا بئس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون»[8] أتبكون وتنتحبون، فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً[9] فلقد ذهبتم بعارها،

= أن الثائرين مع القرآن والثورة للقرآن.

(١) الصلف: مصدر بمعنى التمدح بما ليس له.

(٢) النطف: مصدر بمعنى القذف بالفجور وبمعنى الشر والفساد.

(٣) الشنف: المبغض بغير الحق.

(٤) ملق الإماء: ودها ومحبتها من دون النساء.

(٥) غمز الأعداء: الطعن فيهم باللسان والكلام عليهم فقط.

(٦) الدمنة: المزبلة، تريدﷺ أنه ليس فيكم إلا كالمرعى في حسن الظاهر على المزبلة في قبح الباطن.

(٧) وفي رواية «أو كقصة» بالقاف المفتوحة وهي «الجص» والملحودة: القبر والمقصود أنه ليس منكم أحد في حسن ظاهره وقبح باطنه إلا كالفضة أو الجص الأبيض الموضوع على القبر النتن.

(٨) اقتباس من قوله تعالى في سورة المائدة: الآية ٥/ ٨ ﴿ترى كثيراً منهم يقولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾ إشارة إلى أن الفعل الذي صدر منهم بئس العمل وأن أولياءهم الذين يتولونهم هم الكافرون.

(٩) اقتباس من قوله تعالى في سورة التوبة، الآية: ٩/ ٨٢ في المتخلفين عن الجهاد: ﴿فليضحكوا قليلاً وليبكوا جزاءً بما كانوا يكسبون﴾ إيماءً إلى أن القاعدين عن الجهاد بين أيدي أبي عبد الله الحسين سبط الرسول كالمتخلفين عن الجهاد مع رسول الله.

وشنارها[1] ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة ومدرة[2] حجتكم ومنار محجتكم[3] وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم. وسيد شباب أهل الجنة، ﴿ألا ساء ما تزرون﴾ فتعساً لكم ونكساً، وبعداً لكم وسحقاً. فلقد خاب السعي، وتبت الأيدي وخسرت الصفقة وبؤتم بغضب من الله ورسوله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة.

ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم، وأي كريمة له أبرزتم، وأي دم له سفكتم، وأي حرمة له انتهكتم، لقد جئتم شيئاً إداً[4] ﴿تكاد السماوات يتفطرن منه﴾ وتنشق الأرض، وتخر الجبال هداً ولقد أتيتم بها فرقاء[5] شوهاء[6] كطلاع الأرض[7] وملأ السماء، أفعجبتم أن مطرت السماء دماً، ﴿ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون﴾ فلا يستخفنكم المهل[8] فإنه لا يحفزه ،

---

(١) الشنار أقبح العيب أي تحملتم عار الأمة ولن تغسلوها عن أنفسكم بعد الفعلة التي فعلتموها أبداً.

(٢) المدرة: ما يدفع به.

(٣) المحجة: الطريق.

(٤) أي منكراً فظيعاً.

(٥) أي حمقاء والضمير عائد إلى الفعلة التي فعلوها.

(٦) أي قبيحة.

(٧) أي كقدر الأرض في الكبر والعظم.

(٨) أي لا يصدنكم الرفق بكم عن ترك طاعة الله وفعل معصيته.

البدار[1] ولا يخاف فوت الثأر ﴿وإن ربكم لبالمرصاد﴾[2].

هذه إحدى المقامات الثورية للعقيلة.

ـ فقد قلبت لأول مرة الكوفة من الفرح إلى بكاء وحزن وحيرة. وكاد الركب أن يحدث ثورة فيها... فانتبه الأمير لذلك ووجههم إلى الشام.

وأوردوا على يزيد وكان محتفلاً بسرور ورود أسارى الخوارج على ما أذاعه إلى الشام وحضر المحفل كل ذي شأن من جميع الطوائف ـ أمراء وعلماء وشيوخ ووفود.

فرأت عقيلة حيدر أن هذا هو المحل الذي يلزم أن تجاهد فيه وأن تؤدي فيه رسالة الحسين أخيها ـ الشهيد ـ فصرخت في وجه يزيد قائلة:

«الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه حيث يقول: ﴿ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون﴾... أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى، أن بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة، وأن ذلك لعظم خطرك عنده[3] فشمخت بأنفك[4] ونظرت في عطفك[5] جذلان مسروراً حين رأيت الدنيا لك مستوسقة[6]،

---

(١) أي فإن الله تعالى لا يحثه على العمل لزوم المسارعة إليه.

(٢) عن اللهوف لابن طاوس.

(٣) عظم الخطر: كرامة القدر ورفعة المنزلة.

(٤) شمخ بأنفه أي تكبر وتعزز ورفع أنفه.

(٥) نظرت في جانبك والعطف الجانب والمراد هو التكبر والعجب بذلك.

(٦) الاستوساق: الاجتماع.

والأمور متسقة[1] وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله تعالى ﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾ أمن العدل يا بن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإمائك[2]، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن[3] أهل المناهل[4] والمعاقل[5] ويتصفح[6] وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهن من حماتهن حمى، ولا من رجالهن ولي، وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء[7] ونبت لحمه من دماء الشهداء وكيف يستبطأ في بغضنا ـ أهل البيت ـ من نظر إلينا بالشنف[8] والشنآن[9].

---

(١) متسقة: أي مستوية أي لا خلاف عليك فيها.

(٢) من خدر البنت جعل لها خدراً، وألزمها الخدر، أي بوأها محلاً مستوراً.

(٣) استشرف: أي مد عنقه لينظر إليه وطلب الإشراف عليه.

(٤) المناهل: جمع منهل الموضع الذي فيه الماء على الجادة.

(٥) المعاقل: جمع المعقل بمعنى الملجأ والمراد المنازل التي يلجأ الناس إليها.

(٦) تصفح وجهه: تأمل في وجهه نظر إلى حليه وصورته ويتعرف أمره.

(٧) أي كيف يرجى خوف من لفظ فمه أكباد الأزكياء من الله تشير ﷺ إلى فعل هند لعنها الله بكبد عم النبي حمزة رضي الله عنه.

(٨) الشنف: أي البغض والنكراء.

(٩) الشنآن: هو البغض مع العداوة.

والإحن[1] والأضغان[2] ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم[3]:

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل[4]

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة، تنكتها[5] بمخصرتك[6] وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشاقة[7] بإراقتك دماء ذرية محمدﷺ، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، وتهتف بأشياخك، زعمت أنك تناديهم، فلتردن وشيكاً موردهم، ولتودن أنك

---

(١) الإحن: أي الأحقاد والعداء المضمر.

(٢) الأضغان: الأحقاد أيضاً.

(٣) أي لا تحسب قولك إثماً ولا شيئاً عظيماً.

(٤) هذا البيت من أبيات تمثل بها يزيد في ذلك المجلس قبل خطبة العقيلة وهي لابن الزبعرى، وتمثل يزيد بها لا يدل إلا على اعتقاده بما فيها وهو دليل جازم على كفره وخروجه عن الإسلام وهي:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحاً ... ثم قالوا يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القوم من ساداتهم ... وعدلناه ببدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل!!

لست من خندف إن لم أنتقم ... من بني أحمد ما كان فعل!!

(٥) تنكتها: أي تضربها.

(٦) المخصرة: شيء كالسوط.

(٧) نكأ القرحة: إذا قشرها قبل أن تبرأ، والشأفة قرحة تخرج في أسفل القدم، واستأصل الشأفة أي أزالها، والمقصود أنك أقشرت قرحة قلوبنا بالقتل وأزلت قرحة نفسك باستشفائك.

شللت وبكمت، ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت.

اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا، وقتل حماتنا.

فوالله ما فريت[1] إلا جلدك ولا حززت إلا لحمك ولتردن على رسول الله ﷺ بما تحملت من سفك دماء ذريته، وانتهكت من حرمته في عترة لحمته، حيث يجمع الله شملهم ويلم شعثهم، ويأخذ بحقهم... ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾[2] وحسبك بالله حاكماً، وبمحمد ﷺ خصيماً، وبجبرائيل ظهيراً... وسيعلم من سوّل لك ومكنك من رقاب المسلمين، بئس للظالمين بدلاً وأيكم شر مكاناً، وأضعف جنداً.

ولئن جرت علي الدواهي مخاطبتك[3]، إني لأستصغر خدك، وأستعظم تقريعك[4] وأستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور

---

(١) أي ما قطعت بقتل أولياء الله إلا جلدك وقوتك وحكمك.

(٢) اقتباس من قوله تعالى في سورة آل عمران ٣/ ١٦٩، تشير إلى أن الثائرين قتلوا في سبيل الله لا كما أذاعه يزيد في حزبه أنهم خوارج على الإسلام.

(٣) عجباً لبراعة البلاغة!! تعبر بمنطقها الساحر عن حط منزلة يزيد ودناءة نسبه وحسبه وعن فضيلة أصلها الثابت وفرعها المتلائي وعن كرامة أخيها ـ الشهيد ـ وتتحسر على تكلمها معه وتعلن إلينا أن نتحجب عن مكالمة الأجانب إلا في مثل موقفها الحرج حيث أدار رسالة الحسين ـ شهيد العقيدة والدين.

(٤) أي أحسب تقريعك وضربك ثنايا الحسين فعلاً عظيماً صادراً عن شخص لئيم مثلك.

حرى[1] ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء فهذه الأيدي تنطف[2] من دمائنا، والأفواه تتحلب[3] من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها[4] العواسل[5] وتعفرها[6] أمهات الفراعل[7].

ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدن وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك، ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ وإلى الله المشتكى وعليه المعول فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا لا تميت وحينا ولا يرحض عنك عارها وهل رأيك إلا فند[8] وأيامك إلا عدد وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين، والحمد لله رب العالمين، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة، إنه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

وهكذا تحارب العقيلة ـ فتقلب الأفكار على الظلم والباطل ـ إنه ـ حقاً أعظم من البسالة في ميادين الجهاد.

وكذلك خطبة الإمام زين العابدين وسائر الآل في الكوفة ـ والشام ـ

---

(١) الحروة حرقة في الصدر من الوجع.
(٢) تنطف: أي تقطر وتسيل.
(٣) نتحلب: أي نشرب الحليب ونتغذى به.
(٤) تنتاب: أي تأتيها مرة بعد أخرى.
(٥) العواسل: الذئاب.
(٦) تعفرها: تمرغها في التراب.
(٧) الفراعل: أولاد الضباع.
(٨) أي إلا عجز عن مقاومة الدين.

توضح حال الأسر وأنهم من؟ ولماذا أسروا؟ ومن أسرهم؟ وكشف القناع عن فضائح بني أمية وذكر أنسابهم الحافلة بالإجرام.

فأسباب إخراج الحسين عليه السلام أهل بيته معه إلى أرض كربلاء تتلخص فيما يلي:

(الأول):

إن مشيئة الله تعلقت بذلك لينتج نتائجه القيمة من نشر الحق ودفع الباطل وقد أفصح عليه السلام عن ذلك بقوله لأم سلمة:

«قد شاء الله أن يراني مقتولاً ظلماً وعدواناً وشاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين وأطفالي مذبوحين مأسورين مقيدين وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معيناً».

وفي قوله لأخيه ابن الحنفية لما قال له: إذا علمت أنك مقتول فما معنى حملك هؤلاء النسوة معك: «لقد قال لي جدي: قد شاء الله أن يراهن سبايا مهتكات». وأمره رسول الله صلى الله عليه وآله لرضاً بذلك كما قال عليه السلام لابن عباس حين أشار إليه بعدم السير بهن خوفاً من القتل والسبي:

«يا بن العم إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي وقد أمرني بأمر لا أقدر على خلافه وإنه أمرني بأخذهن معي».

(الثاني):

عدم ائتمان أحد عليهن كما صرح هو به في تتمة قوله لابن عباس الآنف.

«وإنهن ودائع رسول الله ولا آمن عليهن أحداً»

ولخوفه عليه السلام من تعرض يزيد لهن إن تركهن بقتل أو سبي أو اعتداء

وهو حي وذلك أعظم مصيبة عليه.

(الثالث):

عدم مفارقتهن له لأنه عليه السلام كان عميداً لآل البيت وسيداً للعلويين وحامي حماهم وملجأهم الوحيد عند الشدائد. فكيف يتركه أهل بيته وأخواته؟

كما قال هو أيضاً، في قوله لابن عباس «وهن أيضاً لا يفارقنني» ويدل عليه أيضاً قول العقيلة زينب بنت أمير المؤمنين حين سمعت كلام ابن عباس في أخلافهن في المدينة:

«يا بن عباس أتشير إلى شيخنا وسيدنا أن يخلفنا ها هنا ويمضي وحده. وهل أبقى الزمان لنا غيره؟ لا والله بل نحيى ونموت معه».

(الرابع):

كشف الحجب عن ظلم بني أمية وعدائهم إلى آل البيت ـ النبوي ـ وإبانة واقعهم المرموق في الملأ.

وتمويه سعي يزيد من قلب الواقع على الأمة... حيث أذاع فيهم أن الثائرين ـ خوارج ـ وأن الأسارى أسارى الخارجين.

فأبانت عيالات الحسين بذلك الجهاد المقدس ـ الواقع للأمة مبينة أن الثائرين هم حسين وأصحابه ـ أصحاب الحق والإيمان ـ والأسارى هم آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله.

وكان ذلك أقوى ذريعة لدك صروح الظلم.

(الخامس):

بث دعوة الحسين. ووصل حلقاتها. فبالأسارى انتشر نبأ

الحسين إلى العالم الإسلامي. فإن آل البيت لم تدخل بلدة أو محفلاً إلا ونادوا بنداء الحسين. فأبانوا واقع ثورته... ولولا الأسارى لانقطع نداؤه عليه السلام ولأخمد الأمويون نور دعوته ونار ثورته... وذلك غير ما جعله هدفاً لثورته.

(السادس):

تحريض الأمة على أخذ الثأر من الأمويين.. الكفرة... وإرسال خبر قتله بتلك القساوة ـ إلى كل ذي ضمير عادل حي وشعور يقظ.

حتى حنق ـ كل سامع ـ على يزيد وأصبح كل صغير وكبير سمع نعيه يبرأ من يزيد وفعله ولم يبق من لم يسمع نداءه عليه السلام ـ الرفيع ـ فلذلك تلت ثورته وسبي عياله ثورات عدة:

(منها): حركة أهل المدينة: فإن أهل البيت بعد رجوعهم إلى المدينة كانوا ينوحون على الحسين ويذكرون مصائبه ـ التي تحرق القلب وتذيب الكبد ـ فكان أهل المدينة يسمعون ذلك ـ وهم يحيون أهل البيت ـ فينقلبون جميعاً ـ على يزيد إلى أن حدثت تلك الثورة الأليمة وقعة الحرة.

وتلتها ثورة ابن الزبير والمختار والتوابين وابن الأشتر.

وبعدها نهوض زيد بن علي الشهيد رضي الله عنه والحسين بن علي الشهيد ـ صاحب فخ ـ رضي الله عنه... إلى العشرات من الثورات التي قام بها المصلحون.

فأخذ الحسين عليه السلام أهله وأطفاله معه إلى أرض شهادته... نصرة للدين وتأييداً لما خرج لأجله.

وبعد ذلك كان ما أراد، وأزيل ذلك الحكم الغاشم، وقطعت تلك الشجرة الملعونة وانقطع دابر الكافرين... وعاش المسلمون بعدهم بهناء وعز وسيادة وازدهار وفاقت الأمم كلها قوة وعلماً وثروة وتقدماً.. وذلك ما أراده الحسين عليه السلام بعد إرادة الله ورسوله.

«المآتم الحسينية[1]»

جواب تسلسل ١٢٣٤

إن ثورة أبي عبد الله الحسين عليه السلام ـ حقاً ـ لعطاء سخي للأمة من جميع جوانبها.

ففي عهدها الأول أفاضت ـ على المسلمين ـ خير الإصلاح، والقوة وأبادت الظلم عنهم. فتمكنوا من السير ـ في الحياة ـ آمنين، وصار الحكم يترقب رضاهم. وارتقت ثقافتهم، وصناعتهم، وثروتهم، إلى ما يحير العقول.

كل ذلك من بركات تلك الثورة المقدسة.

وأما: في العهود المتأخرة. فخيرها... أكثر، ودورها أوفر وذلك بـ«المآتم» التي كانت تقام له وباسمه عليه السلام.

فبمآتمه تمكن التشيع أن يترقى ويتقدم... حتى فاقت الشيعة الأمم كلها ثقافة، وعزماً، وقوة، وثباتاً، وثروة.

والمآتم الحسينية تعبير صادق عن شعور المسلمين في مبدئهم وقادتهم وهي قوة لهم على محق الظلم. ونصرة للحق، وحديث «المآتم الحسينية وفائدتها» مما ملته الأسماع والألسن والأقلام، فما أكثر ما كتب أو قيل فيه. حتى أن المستشرقين ـ من فلاسفة الغرب ـ تعرضوا له في مؤلفاتهم وأفصحوا عن آرائهم المجيدة عنه وعن فائدته.

وعلى هذا فليس مجال للتساؤل لكثرة الباحثين عنه.

ومع ذلك فنحن نشير إلى مختصر البحث فنقول:

---

(١) سبق البحث حول المآتم الحسينية ـ وفوائدها، في الدورة الثانية العدد الثاني.

«المآتم الحسينية» أرض خصبة خلقها الله، ومهدها الرسول ﷺ وحرثها الحسين بسيفه وقوائم خيله، وزرع فيها بذور الإيمان، والنضال والعزم، والقوة ورواها بدمه الطاهر، ودماء أصحابه وأهل بيته الأنجبين وأصلحها ذريته عليهم السلام من بعده.

فارتفعت بأغصانها المتشعبة. وأظلت بأوراقها على الأمة بكل خير. وأثمرت للمسلمين أغنى ثروة. مما حصدته الأجيال الموالية له، السائر على نهجه وسيرته.

وللمآتم الحسينية منافع يسبح المسلمون فيها، وخير يغورون في فيضه ونذكر المهم من فوائد تلك «المآتم» فيما يلي:

(الأول): أنها مدرسة قائمة ـ مدى الدهر ـ تعلم أبناءها كل علم، وكل ثقافة.

فهي توضيح للأحكام الشرعية، والقوانين الإسلامية للأمة، وتبحث عن التاريخ ـ بأهم أطواره ـ وأبهى صوره.

ويبحث فيها عن الجغرافية بأوسع مناهجها وأضبط طرقها.

وفيها تحقيق عن الرجال ـ مسلمين وغيرهم ـ بأحسن الأصول.

وبيان للعقائد الكلامية بالأدلة الرصينة من توحيد ونبوة، وإمامة، وعدل، ومعاد.

وهكذا يدرس فيها كل ما ينشئ المجتمع، ويرقي الإنسان فلهذا ترى ـ الشيعي ـ أكثر من أفراد كل أمة ـ علماً، وثقافة، وفراسة، ومهارة.

وحبذا ما يقوله الفيلسوف ـ المستشرق ـ (جوزف) الفرنسي في كتابه ـ (الإسلام والمسلمون):

«. . . ولو نظرنا اليوم في أقطار العالم نرى أن

الأفراد التي هي أولى بالمعرفة والعلم والصنعة والثروة، إنما توجد بين الشيعة. . .».

أقول وذلك ببركة هذه المدرسة المجيدة.

(الثاني): أنها مؤتمر ديني يجتمع فيه المسلمون ويبحثون عن أحوالهم ويتداركون مواقع الضعف. ويتبادلون الآراء في شؤونهم، فيتمكنون من التآزر والاتحاد ليسيروا على النهج القويم.

وهذا مما لا يتمكن عليه إلا بالجهد الكثير والمال الوافر والمشقة العظيمة.

ولكن هذه الأمة لما اعتادت عقد هذا المؤتمر الذي وضع أساسه الإمام الحسين بن علي عليه السلام يحصل في كل آن بدون أي مشقة وعناء.

(الثالث): أنها: تثبيت لعقائد الأمة ورد للشبه عن مبدئها ـ وهذا هو أسمى الغايات. فلذلك ترى العامي ـ الشيعي ـ قوياً في عقيدته وإيمانه بأدلة قاطعة وبراهين ساطعة.

وهذا عطاء من الحسين عليه السلام إلى هذه الأمة.

(الرابع): أنها: محكمة سليمة قائمة ـ بين الحق والباطل ـ وهي واسعة المجال للنقد والبحث في المسائل الدينية والسياسية والعلمية وغيرها من مختلف المسائل.

وبذلك تتوسع دائرة التفكير، وينبلج الحق لمريده، وتزداد المعرفة والثقافة.

وبحضورها يتضح الواقع ـ لمن انحاز عنه ـ ولم يتمكن من طلبه بالسؤال.

وهذا مما اختصت به هذه الأمة بـ «المآتم الحسينية».

(الخامس) أنها: بث للمبدأ ونشر للدعوة. وهو الذي قام الحسين عليه السلام لأجله. وأريق دمه في سبيله.

فكم من ضال اهتدى بحضور هذه المآتم؟

وكم من مسيحي أو يهودي أو مجوسي استسلم فيها؟

وكم من منحرف استقام؟

وهذا كله بتوضيح الواقع والمناقشة مع الباطل في تلك المحافل.

(السادس) أنها: جهاد متواصل ضد الظلم في جميع الأزمان وهذا شيء لا غبار عليه.

(السابع) ذكر فضائل قادة الدين ورؤساء المسلمين مما يوجب ثبات العقيدة بهم. واتباع آثارهم الحكيمة، وآرائهم الرصينة. والاقتداء بهم في أخلاقهم الإسلامية السامية.

فإنها هي التي توجب عز المسلمين، وتقدمهم في جميع مجالات الحياة. وكذلك فضل الرجال الصلحاء، والعلماء، والزهاد، والحكام العدول المؤمنين. للاقتداء بهم في صفاتهم الحسنة ومآثرهم الحميدة.

(الثامن) تأثر النفوس بمصائب آل البيت ومظلوميتهم. وهو الذي يكون حافزاً للتفاني في سبيل الحق وإعلاء كلمته والتشبث به. كما حدث ـ عياناً ـ في هدم كيان الظلم عندما انتشرت أخبار الحسين ومظلوميته ومصائبه إلى العالم وتبين مدى ظلم بني أمية وقساوتهم تجاه أهل البيت.

وكثيراً ما سمعنا أن أفراداً لا يعتقدون بالإسلام، أو أشخاصاً من غير الشيعة استسلموا، وتشيعوا، لما أثر في قلوبهم من المصائب التي تحملها الحسين بصبر كبير وفعلها يزيد بعنف كثير.

تلك المصائب التي لا تتحمل إلا في سبيل الحق وإعلاء كلمتهم.

هذه بعض تلك الفوائد ـ الثمينة من المآتم الحسينية ـ وما لم نذكره ضعف ما تلوناه.

وفي الواقع لو أنا أقمنا المآتم الحسينية بنظامها وقانونها لفقنا جميع الأمم عدة وعدداً. كما قال المستشرق (جوزف) في (الإسلام والمسلمون) أيضاً:

«لا يمضي على هذه الفرقة زمان قليل إلا وتفوق سائر المسلمين من حيث العدد».

هذا إن سرنا على هذا النهج باعتقاد وعزم ثابتين.

وإلى هنا... نطوي آخر الكلام... ولعلنا أتينا على شيء في هذه الوجيزة حول نهضة الحسين عليه السلام.

ونسأل الله أن يوفقنا وإياكم وجميع المسلمين لما فيه رضاه.

(إنه خير موفق ومعين)

محمد الرضا الحسيني الجلالي

العدد الثاني الدورة العاشرة شهر صفر الخير سنة ١٣٨٥هـ	أجوبة المسائل الدينية تصدرها لجنة الثقافة الدينية كربلاء - العراق	بدل الاشتراك السنوي فلس ٥٠٠ داخل العراق ٦٠٠ خارج العراق ٥٠ العدد الفردي

كربلاء المقدسة - تلفون ٨١٠

سماحة العلامة السيد عبدالرضا الشهرستاني

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة مدير لجنة الثقافة الدينية المحترم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أرجو التفضل لأجوبة هذه الأسئلة إذ إن الذهنية تفتحت واتسع التفكير وصقلت العقول فأرجو وطيد الأجوبة المقنعة لأهل العصر الحاضر الذين لا يقنعهم التعبد والتقليد ولكم الفضل المؤبد.

تسلسل ١٢٣٥

سؤال (١) ما معنى لا اسم ولا رسم للذات وأنه تعالى علة لكل الأشياء والأشياء كلها اسم ورسم؟

تسلسل ١٢٣٦

سؤال (٢) ما معنى أن الخراج يملك بالضمان؟

تسلسل ١٢٣٧

سؤال (٣) ما معنى أن الإنسان يملك ما يمكن أن يملك؟

تسلسل ١٢٣٨

سؤال (٤) يقال في تعريف العلم إنه الكاشف والمعلوم هو المكشوف فالمكشوف هو الموضوع الذي يقع عليه العلم فلازمه التقدم على العلم ولا شك أن مفهومهما متغاير فإن قيل إن المعلوم غير العلم مصداقاً ومفهوماً يلزم حينئذ أن يكون المعلوم عين الذات ويلزم دخول الحادث في القديم وهذا ينافي الوحدة وإن قيل إنه يعلم المعلومات بغير ذاته أي يعلم بعلم آخر فلا يخلو إما أن يكون متصلاً أو منفصلاً فإن قيل بالاتصال جاءنا التركيب فهو خلف وإن قيل بالانفصال يكون علمه بعلم غير ذاته فيكون آلة يستعين بها فيجيئنا محذور الاحتياج وهذا أيضاً محال ومن اعتقد بهذا الاعتقاد خرج عن الإسلام.

تسلسل ١٢٣٩

سؤال (٥) ما معنى قول القائل الحكمي:

ما وحد الواحد من واحد فكل من وحده جاحد

أرجو التفضل بهذه الأجوبة وأرجو أن لا تكون الأسئلة في سلة المهملات وسنعقبها بأسئلة أخرى وبالختام تقبلوا فائق الاحترام.

مسقط: مطرح، عمان محرم ١٣٨١ هجري

مخلصكم حسن علي هاشم الحيدر آبادي أحد المشتركين

(لا اسم ولا رسم للذات)

جواب تسلسل ١٢٣٥

المعنى أنه لا اسم لله سبحانه مغاير لذاته، فإن أسماء الله ـ أي صفاته ـ عين ذاته المقدسة، لا مغايرة بين الأسماء وبين الذات، كما أنه

لا حد ـ أي لا تعريف بالجنس والفصل ـ له، إذ هو مجهول الكنه... والله تعالى علة لإيجاد كل شيء... والأشياء كلها بين ما يظهر منها ـ وهو الاسم ـ وبين حقيقتها وواقعها وهو الرسم ـ أي الجنس والفصل.

(الخراج يملك بالضمان)
ومن عليه الغرم فله الغنم

جواب تسلسل ١٢٣٦

معنى ذلك أن الإنسان الذي عليه ضمان شيء ودركه، فإنه هو الذي يستحق خراجه وأرباحه، فالدار التي هي ملك للإنسان على الإنسان دركه ـ فإذا تلفت ذهبت من كيسه ـ كما أن للإنسان فائدتها ـ إجارتها ومنافعها إلى الآخر والقاعدة ليست كلية فإن الغاصب ضامن ولا يملك خراج المغصوب.

(يملك الإنسان ما يمكن أن يملك)

جواب تسلسل ١٢٣٧

من الأشياء ليس للإنسان سلطة على تمليكها، مثلاً الإنسان ليس مسلطاً على أن يملك البحر ولذا لو حازه ـ فرضاً ـ لم يملكه، وكذا لا يملك الإنسان المشاعر ـ كعرفات ومنى وما أشبه ـ فالإنسان إنما يملك بأن يدخل الشيء في ملكه إذا كان ذلك الشيء بحيث للإنسان الحق في أن يتملكه، فحاصل معنى الجملة. أن الإنسان يدخل في ملكه بأسباب الإدخال في الملك ـ ما هو مسلط على تملكه.

(العلم كاشف والمعلوم مكشوف)

جواب تسلسل ١٢٣٨

العلم كاشف، والمعلوم مكشوف. . . ولكن كون المكشوف موضوعاً لا يلزم تقدمه الخارجي، بل تقدمه الرتبي ـ والتقدم الرتبي غير التقدم الخارجي ولذا فإن الله سبحانه يعلم الأشياء قبل إيجادها بل نحن نعلم أموراً يقع في المستقبل كظهور الإمام المهدي، وكوقوع القيامة، وكإحياء الأموات عند النفخة، وليس معنى ذلك أن تلك الأمور متقدمة على علومنا، وإنما جاء هذا الاشتباه من التشابه بين لفظ، التقدم الخارجي، والتقدم الرتبي وحيث إن بقية السؤال مبنية على هذه المقدمة. لم يبق لها مجال ـ تلقائياً.

(اللّه ليس بواحد عددي)

جواب تسلسل ١٢٣٩

الوحدة العددية محال في حقه سبحانه فإنه واحد لكن لا بالوحدة المنخرطة في سلك الأعداد، مما له الثاني، أو يمكن أن يكون له الثاني فمعنى الشعر: لم يكن توحد الله عن توحد ـ الواحد العددي ـ فكل من زعم أن الله واحد بالعدد فهو جاحد لوجوده، إذ الوحدة العددية من لوازم الممكن ويمكن للشعر معنى آخر، ولكن ما ذكرنا والله العالم وهو المستعان.

* * *

إلى لجنة أجوبة المسائل الدينية المحترمة

بعد اطلاعنا الكامل على نشرتكم الإسلامية البحتة، والناشرة للتعاليم

الإسلامية التي جاء بها نبينا محمدﷺ والداعية بصوت الحق وتوحيد المسلمين بصف واحد بوجه العدو الزاهق، فرغبت أن أرسل هذه الرسالة وهذه الأسئلة أن تجيبوا عليها من فضلكم والسلام.

تسلسل ١٢٤٠

سؤال (١) ما الفرق بين الكافر والملحد؟

تسلسل ١٢٤١

سؤال (٢) ما الفرق بين الفاسق والمجرم؟

تسلسل ١٢٤٢

سؤال (٣) ما هو السبب أن صلاة الجمعة عند إخواننا أبناء العامة تكون عندهم واجبة وعندنا في الوقت الحاضر مستحبة، فهل يوجد فرق بيننا وبينهم في هذه الناحية؟ أجيبونا يرحمكم الله على هذه الأسئلة.

وسوف نواصل أسئلتنا مع هذه النشرة الإسلامية والعاملة من أجل الإسلام وتطبيق قوانين الحق التي تساعد المظلوم وتخاصم الظالم وهو دين الإنسانية والسعادة في الدنيا والآخرة. الكوفة: سالم علي حيدر

الفرق بين الكافر والملحد

جواب تسلسل ١٢٤٠

الكافر من لا يؤمن بالله سبحانه أو لا يؤمن برسالة النبيﷺ سواء كان الملحد عن جحود وإنكار أم عن جهل وضلال.

والملحد هو المعاند الذي يسعى في إخماد نور الله ويجتهد في إبطال الدعوة الإلهية.

فالملحد أخص من الكافر.

الفرق بين الفاسق والمجرم

جواب تسلسل ١٢٤١

الفاسق هو الخارج عن الحدود الدينية التي عينها الله تعالى فهو الذي يعصي ربه تعالى سواء في نفسه أو في التجاوز إلى حقوق الآخرين.

والمجرم هو الذي يعصي ربه في التعدي والتجاوز إلى حقوق الآخرين فالمجرم أخص من الفاسق.

الفرق بين السنة والشيعة في وجوب صلاة الجمعة

جواب تسلسل ١٢٤٢

إن من شروط وجوب صلاة الجمعة أن يقيمها الإمام المفروض الطاعة وحيث إن السنة يعتبرون كل أمير على المسلمين ولياً للأمر واجب الطاعة فلذلك يستمر وجوب هذه الصلاة عندهم ما دام في المسلمين أمير سواء في ذلك العدل وغير.

أما الشيعة فلما كانت العصمة الإلهية شرطاً أساسياً في الإمام عندهم، فما لم يظهر الإمام الغائب المنتظر عجل الله فرجه لا تكون الصلاة واجبة، لعدم من يصلح لهذا الأمر عدا الإمام المعصوم.

* * *

بسمه تعالى وله الحمد

حضرات الأفاضل العلماء أعضاء لجنة الثقافة الدينية المحترمة تحية إسلامية من صميم القلب تفوح منها رائحة العقيدة والإيمان لمقامكم الكريم.

وبعد فأرجو منكم أن تتفضلوا علي بأجوبة هذه الأسئلة.

سؤال تسلسل ١٢٤٣

اشرحوا لنا شيئاً عن حياة وفضائل ومعجزات وتاريخ إمامنا ومولانا السلطان أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام.

سؤال تسلسل ١٢٤٤

هل إن الشمس تدور حول الأرض أم هي ثابتة في محلها؟[1] هذا ولكم الشكر.

كربلاء ٩/ ٢/ ١٣٨١ علي الحاج محمد

بعض حياة الإمام الثامن
علي بن موسى الرضا عليه السلام

جواب تسلسل ١٢٤٣

الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وأمه السيدة نجمة اسمه مشتق من العلو وقد فاق الكل في عصره في كل منقبة وفضيلة. ونما إيمانه وعلا شأنه، وارتفع مكانه، واتسع إمكانه، وكثر أعوانه وظهر برهانه، حتى أحله المأمون محله مهجة وأشركه بحسب الظاهر في مملكته وفوض إليه أمر خلافته وعقد عليه على رؤوس الأشهاد نكاح ابنته، وضرب اسمه على الدنانير والدراهم، وخطب له على المنابر، وإن كان كل ذلك إنما صدر من المأمون لجلب الأنظار وإسكات العلويين من ذوي الاقتدار، وكانت

(١) سبق منا البحث مفصلاً عن هذا الموضوع في الدورة الأولى العدد الثامن فراجع.

مناقبه عليه السلام علية، وصفاته سنية، وقد جاء في تفسير ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً﴾ أن المراد من قوله تعالى ﴿منها أربعة حرم﴾ علي ابن أبي طالب وعلي بن الحسين وعلي الرضا وعلي التقي عليهم السلام.

مولده عليه السلام

ولد عليه السلام بالمدينة المنورة يوم الجمعة كما في روضة الواعظين والمناقب وعن تاريخ الغفاري أو يوم الخميس كما في جدول مصباح في حادي عشر ذي القعدة كما في مصباح وروضة الواعظين وجنات الخلود وعن تاريخ الغفاري أو خامس عشر وقيل في حادي عشر ربيع الأول كما في المناقب ويدل عليه خبر العيون وقيل ١٣ ذو القعدة وقيل غير ذلك والقول الأول هو المشهور سنة مائة وثمان وأربعين.

دلائل إمامته عليه السلام

ألقابه وكناه

سراج الله ونور الله وقرة عين المؤمنين، وأشهرها الرضا، لقب به لأنه كان رضا لله تعالى في سمائه ورضى لرسوله والأئمة بعده في أرضه، وقيل لأنه رضي به المخالف والمؤالف وقيل لأنه رضي به المأمون، وعن الجواد عليه السلام في حديث طويل بل الله تبارك وتعالى سماه الرضا والمراد بقوله سماه لقبه وأما كنيته عليه السلام فأبو الحسن وأبو علي.

في دلائل إمامته عليه السلام

أخبار كثيرة صريحة من طرق السنة والشيعة منها ما في الكافي عن علي بن يقطين قال كنت عند العبد الصالح (أي موسى بن جعفر) جالساً فدخل عليه ابنه فقال لي يا علي بن يقطين هذا علي سيد ولدي.

ومعنى ذلك أنه ولي على غيره فلا يجوز أن يكون غيره من الأولاد سيداً عليه.

ومنها ما رواه أيضاً في الكافي عن نعيم القابوسي عن أبي الحسن عليه السلام أنه قال إن ابني علي أكبر ولدي وأبرّهم عندي وأحبهم إلي هو ينظر معي في الجفر ولم ينظر فيه إلا نبي أو وصي نبي.

ومنها ما رواه في الكافي أيضاً عن داود الرقي قال قلت لأبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام جعلت فداك إني قد كبر سني فخذ بيدي من النار قال فأشار إلى ابنه أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال هذا صاحبكم من بعدي.

ومنها ما رواه أيضاً في الكافي عن محمد بن الفضيل قال حدثني المخزومي وكانت أمه من ولد جعفر بن أبي طالب قال بعث إلينا أبو الحسن موسى فجمعنا ثم قال لنا أتدرون لِمَ دعوتكم؟ فقلنا لا فقال اشهدوا أن ابني هذا وصيي والقيم بأمري وخليفتي من بعدي... الخبر إلى غير ذلك من النصوص الواردة عن أبيه عليه السلام وقد أوردها الكليني في الكافي والصدوق في العيون والمجلسي في ج١٢ من البحار الطبع السابق والمفيد في الإرشاد والطبرسي في أعلام الورى وغيرهم في غيرها فلاحظ.

معاجزه عليه السلام

في البحار عن الحسن بن علي بن فضال قال قال لنا عبد الله بن المغيرة كنت واقفياً وحججت على ذلك فلما صرت بمكة اختلج في صدري شيء فتعلقت بالملتزم ثم قلت اللهم قد علمت طلبتي وإرادتي فأرشدني إلى خير الأديان فوقع في نفسي أن آتي الرضا عليه السلام فأتيت المدينة فوقفت ببابه فقلت للغلام قل لمولاك رجل من العراق بالباب فسمعت نداءه عليه السلام وهو يقول ادخل يا عبد الله بن المغيرة فدخلت فلما نظر إليّ قال قد أجاب الله دعوتك وهداك لدينه فقلت أشهد أنك حجة الله وأمين الله على خلقه.

وعن بصائر الدرجات عن إبراهيم بن موسى قال ألححت على أبي

الحسن الرضا عليه السلام في شيء أطلبه منه وكان يعدني فخرج ذات يوم يستقبل والي المدينة وكنت معه فجاء إلى قرب قصر فلان فنزل في موضع تحت شجرات ونزلت معه أنا وليس معنا ثالث فقلت جعلت فداك هذا العيد قد أظلنا فلا والله ما أملك درهماً فما سواه فحك بسوطه الأرض حكاً شديداً ثم ضرب بيده فتناول بيده سبيكة ذهب فقال انتفع بها واكتم ما رأيت.

وعن الخرايج روي عن محمد بن زيد الرازي قال كنت في خدمة الرضا عليه السلام لما جعله المأمون ولي عهده فأتاه رجل من الخوارج في كفه مدية مسمومة وقد قال لأصحابه والله لآتين هذا الذي يظن أنه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد دخل لهذا الطاغية فيما دخل فاسأله عن حجته فإن كان له حجة وإلا أرحت الناس منه فأتاه واستأذن عليه فأذن له فقال له أبو الحسن أجيبك عن مسألتك على شريطة تفي لي بها فقال وما هذه الشريطة؟ قال إن أجبتك بجواب يقنعك وترضاه تكسر الذي في كمك وترمي به فبقي الخارجي متحيراً وأخرج المدية وكسرها ثم قال أخبرني عن دخولك لهذا الطاغية فيما دخلت له وهم عنك كفار وأنت ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ما حملك على هذا؟ فقال أبو الحسن أرأيتك هؤلاء أكفر عندك أم عزيز مصر وأهل مملكته أليس هؤلاء على حال يزعمون أنهم موحدون وأولئك لم يوحدوا الله ولم يعرفوه يوسف بن يعقوب نبي ابن نبي قال للعزيز وهو كافر اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم وكان يجالس الفراعنة وأنا رجل من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني على هذا الأمر وأكرهني عليه فما الذي أنكرت ونقمت علي؟ فقال لا عتب عليك إني أشهد أنك ابن نبي الله وأنك صادق. في كشف الغمة قال محمد بن طلحة من مناقبه عليه السلام

أنه لما جعل المأمون الرضا عليه السلام وليّ عهده وأقامه خليفة من بعده كان في حاشية المأمون أناس كرهوا ذلك وخافوا خروج الخلافة من بني العباس وردها إلى بني فاطمة فحصل عندهم من الرضا نفور وكان عادة الرضا عليه السلام إذا جاء إلى دار المأمون ليدخل عليه يبادر من بالدهليز من الحاشية إلى السلام عليه ورفع الستر بين يديه ليدخل فلما حصلت لهم النفرة عنه تواصوا فيما بينهم وقالوا إذا جاء ليدخل على الخليفة اعرضوا عنه ولا ترفعوا الستر فاتفقوا على ذلك فبينا هم قعود إذ جاء الرضا عليه السلام على عادته فلم يملكوا أنفسهم أن سلموا عليه ورفعوا الستر على عادتهم فلما دخل أقبل بعضهم على بعض يتلاومون كونهم ما وقفوا على ما اتفقوا عليه وقالوا النوبة الآتية إذا جاء لا نرفعه له فلما كان في ذلك اليوم جاء فقاموا وسلموا عليه ووقفوا ولم يبتدروا إلى رفع الستر فأرسل الله ريحاً شديدة دخلت في الستر فرفعته أكثر مما كانوا يرفعونه ثم دخل فسكتت الريح فعاد إلى ما كان فلما خرج عادت الريح دخلت في الستر رفعته حتى خرج ثم سكنت فعاد الستر فلما ذهب أقبل بعضهم على بعض وقالوا هل رأيتم؟ قالوا نعم فقال بعضهم لبعض يا قوم هذا رجل له عند الله منزلة ولله به عناية ألم تروا أنكم لم ترفعوا له الستر أرسل الله الريح وسخرها له لرفع الستر كما سخرها لسليمان فارجعوا إلى خدمته فهو خير لكم فعادوا إلى ما كانوا عليه وزادت عقيدتهم.

معاجزه كثيرة لا يسع هذا المختصر وعلى المتتبع والطالب مراجعة الكتب المفصلة في الفضائل والمعاجز.

أخلاقه وآدابه عليه السلام

كان معتدل القامة شديد السمرة وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن

كل شيء فيجيب فيه وكان كلامه وجوابه وتمثيله بآيات من القرآن.

وقال إبراهيم بن العباس ما رأيته سئل عن شيء قط إلا علمه وكان عليه السلام يختم القرآن في كل ثلاثة أيام ويقول لو أردت أن أختم في أقل من ثلاثة أيام لختمت ولكن ما مررت بآية قط إلا فكرت فيها وفي أي شيء نزلت وفي أي وقت فلذلك صرت أختمه في ثلاثة أيام، ما جفا أحداً ولا قطع على أحد كلامه، ولا رد أحداً عن حاجة وما مد رجليه بين يدي جليس ولا اتكى قبله ولا شتم مواليه وعبيده ومماليكه ولا قهقه في ضحكه وكان يجلس على مائدة مماليكه ومواليه. قليل النوم بالليل يحيي أكثر لياليه كثير الصوم والمعروف والصدقة السر في الليالي المظلمة وكان جلوسه على حصير في الصيف وعلى مسح في الشتاء. راجع كتاب المناقب.

نصائحه عليه السلام

سئل عن القناعة فقال القناعة تجتمع إلى صيانة النفس وعز القدر وطرح مؤن الاستكبار، والتعبد لأهل الدنيا ولا يسلك طريق القناعة إلا رجلان إما متعلل يريد الآخرة أو كريم منزه عن لئام الناس عن أبي الصلت قال أنشدني الرضا عليه السلام لعبد المطلب:

يعيب الناس كلهم الزمانا ... وما لزماننا عيب سوانا
نعيب زماننا والعيب فينا ... ولو نطق الزمان بنا هجانا
وليس الذئب يأكل لحم ذئب ... ويأكل بعضنا بعضاً عيانا

وشكا رجل في مجلسه فأنشأ عليه السلام يقول:

اعذر أخاك على ذنوبه ... واستر وغض على عيوبه
واصبر على بهت السفينة ... وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفضلاً ... وكل الظلوم إلى حسيبه

مدة إمامته عليه السلام

طالت مدة إمامته عشرون سنة كما في الإرشاد وروضة الواعظين والمناقب وأعلام الورى للطبرسي وغيرها وفي تاريخ نكارستان وجنات الخلود أن مدة إمامته ٢١ سنة.

سبب وفاته عليه السلام

كان عليه السلام يكثر من وعظ المأمون إذا خلا به ويقبح ما يرتكبه من خلافه فكان المأمون يظهر قبول ذلك منه ويبطن كراهته ولما رأى ميل الناس إلى الرضا عليه السلام خاف من ذلك وعمد إلى قتله عليه السلام، عن المفيد في الإرشاد أن المأمون أمر عبد الله بن بشير أن يطول أظفاره وأخرج إليه شيئاً كالتمر الهندي وقال اعجن هذا بيدك جميعاً ثم أمر للرضا عليه السلام بالرمان وأمر لابن بشير أن يعصره بيده فكان ذلك سبب وفاته ولم يلبث إلا يومان حتى مات، وفي الإرشاد وأعلام الورى عن ابن جهم أن المأمون جعل في موضع أقماع العنب الإبر أياماً ثم نزعت منه وجيء به إلى الرضا عليه السلام فأكل منه فقتله وذكر ذلك من لطيف السموم.

وقال المجلسي في ص ٩٧ من المجلد الثاني عشر من البحار الطبع السابق: اعلم أن أصحابنا والمخالفين اختلفوا في أن الرضا عليه السلام هل مات حتف أنفه أو مضى شهيداً بالسم وعلى الأخير هل سمه المأمون أو غيره؟ والأشهر بيننا أنه عليه السلام مضى شهيداً بسم المأمون يوم آخر صفر سنة مائتين وثلاث وتولى تجهيزه ولده الجواد عليه السلام ودفن في خراسان حيث مرقده الآن.

عبد الرضا الحسيني الشهرستاني

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات أعضاء لجنة الثقافة الدينية المحترمين:

أسأل الله أن يوفقكم لخدمة الدين الإسلامي، وأن يدوم بقاءكم لرفع شعائر الإسلام وأرجو منكم أن تتفضلوا بالجواب عن هذا السؤال.

سؤال تسلسل ١٢٤٥

أين ولد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام وما هي حياته وما هي كيفية الثورة التي ثار بها على هشام بن عبد الملك وكيف استشهد؟

الرجاء بصورة مفصلة هذا ودمتم سالمين.

كربلاء علي الحاج محمد

زيد الشهيد

جواب تسلسل ١٢٤٥

ذكرنا بعض أحواله وخروجه في الدورة التاسعة العددين السادس والسابع وقد ألف العلامة السيد عبد الرزاق المقرم كتاباً خاصاً في هذا الموضوع ونحن نأخذ بعض جمله ومواضيعه.

زيد الشهيد ابن الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام

قال رسول الله في حقه: يأتي زيد وأصحابه يوم القيامة يتخطون رقاب الناس غراً محجلين يدخلون الجنة بغير حساب.

ولادته

ولد زيد بالمدينة بعد طلوع الفجر سنة ست وستين، أو سبع وستين من الهجرة وأمه أم ولد من السند.

الأخبار الواردة في شهادة زيد

أبو ذر الغفاري دخل على النبيﷺ فرآه يبكي فرق له وسأله عما أبكاه فأخبره بأن جبرائيل هبط عليه وأخبره أن ولده الحسينعليه السلام يولد له ابن يسمى علياً ويعرف في السماء بزين العابدين ويولد له ابن يسمى زيداً يقتل شهيداً.

وفي حديث عليعليه السلام أخبرني رسول الله بقتل الحسينعليه السلام وصلب ابنه زيد ابن علي قلت له أترضى يا رسول الله بقتل ولدك؟ قال يا علي أرضى بحكم الله فيّ وفي ولدي ولي دعوتان أما الأولى فاليوم. والثانية إذا عرضوا علي لله عز وجل. ثم رفع يديه إلى السماء وقال يا علي أمّن على دعائي اللهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً وسلط بعضهم على بعض وامنعهم الشرب من حوضي ومرافقتي، ثم قال أتاني جبرائيل وأنا أدعو عليهم وأنت تؤمن؟ فقال لقد أجيبت دعوتكما.

وحديث حذيفة بن اليمان (نظر النبي إلى زيد بن حارثة فقال المظلوم من أهل بيتي سمي هذا والمقتول في الله والمصلوب سمي هذا. وأشار إلى زيد بن حارثة، ثم قال ادن مني يا زيد زادك الله حباً عندي فأنت سمي الحبيب من ولدي)[1].

وقد ذكر العلامة المقرم جميع خصوصيات زيد بن علي بن الحسين بهذه العناوين وغيرها اسمه وكنيته ولقبه وصفاته ونقش خاتمه ونشأته ومؤلفاته ومدرسته وتلاميذه وزهده وعبادته وأدعيته وأدبه وخطبه والحكم

(١) تهذيب تاريخ الشام: لابن عساكر، ج٦، ص١٨. وفي الروض النضير: ج١، ص٥٨. وعن الجامع الكبير: للسيوطي في مسند حذيفة ونقله ابن إدريس في مستطرفاته.

والآداب، رأي العلماء فيه، أحاديث المدح، نظره في الأحاديث، البراءة من دعوى الإمامة، وأسباب نهضته، ومن أراد التفصيل فليراجع الكتاب المذكور.

أسباب نهضته

كان السبب الوحيد الدافع للشهيد زيد بن علي بن الحسين على هذه النهضة تنبيه الأمة على زلات ولاة الأمر وتعريفهم مضار تلك السطوة الغاشمة وذلك الحكم الجائر، ولولا نهضة الهاشميين في سائر الأنحاء والأزمان لذهب الدين الحنيف الذي لاقى المتاعب صادعه وكابد في تأييده كل شدة، إدراج المنكرات، وذلك النهوض الباهر أفاد الأمة شعوراً وإحساساً بما عليه القوة العادية من الأخذ بالمشاق والحكم بالشفاعات.

فرأى كثرة الفساد وتحطيم كيان الإسلام وهدم أسسه ونسيان أحكامه في عهد يزيد وما بعده، وهي الغاية الباعثة للشهيد زيد على الخروج وهي استرجاع الخلافة إلى أهلها، وإظهار العدل في أمة جدهﷺ وقلع الفساد الذي نشروه بين الأمة.

موقفه مع هشام

فإنه كان يقيم في الشام الأيام المتطاولة، وفي كل يوم يطلب الإذن من هشام ليرفع إليه القصص وفيها الشكايات من سوء معاملة عماله معه، فلم يأذن له[1] في حين أنه يشاهد الإذن للأذناب ومن لا حظّ له في العلم والعرفان، وإذا أذن له أمر أهل المجلس بالتضايق وعدم

(١) كامل ابن الأثير: ج٥، ص٨٥.

التوسع له[1] لئلا يظهر للناس كلامه وحسن بيانه، ولكن لم يمنعه ذلك من الجواب وأداء المقصود والرد عليه فكان يسمع هشاماً من الكلام ما هو أحد من السيف وأنفذ من السهم.

قال لزيد في جملة تلك الأيام وقد احتشد لمجلس بأهل الشام: ما يصنع أخوك البقرة فغضب زيد حتى كاد يخرج من اهابه، وقال: سماه رسول الله ﷺ الباقر وأنت تسميه البقرة لشد ما اختلفتما لتخالفه في الآخرة كما خالفته في الدنيا فيرد الجنة وترد النار[2] فانقطع هشام عن الجواب وبان عليه العجز ولم يستطع دون أن صاح بغلمانه أخرجوا هذا الأحمق المائق فأخذ الغلمان بيده فأقاموه.

وفي حديث عبد الأعلى الشامي، أن زيد بن علي لما قدم الشام، ثقل ذلك على هشام لما كان فيه من حسن الخلق وحلاوة اللسان فشكا ذلك إلى مولى له، فقال ائذن للناس إذناً عاماً واحجب زيداً ثم ائذن له في آخر الناس فإذا دخل عليك وسلم فلا ترد عليه، ولا تأمره بالجلوس فإذا رأى أهل الشام هذا، سقط من أعينهم، ففعل بكل ما أشار عليه، أذن للناس وحجبه ثم أذن له في آخر الناس ولما دخل عليه قال السلام عليك يا أمير المؤمنين فلم يرد عليه فقال السلام عليك يا أحول فإنك ترى نفسك أهلاً لهذا الاسم[3] فقال له هشام بلغني أنك تذكر الخلافة وتتمناها ولست هناك وأنت ابن أمة،

---

(١) إرشاد المفيد.

(٢) شرح النهج الحديدي، ج١، ص٣١٥. وعيون الأخبار: لابن قتيبة: ج١، ص٢١٢.

(٣) تاريخ الشام: لابن عساكر، ج٦، ص٢٢.

فقال له زيد إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات وإني لا أعلم أحداً أعظم منزلة عند الله من نبي بعثه وهو ابن أمة فلو كان ذلك يقصر عن منتهى غاية لم يبعث وهو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام فالنبوة أعظم منزلة عند الله أم الخلافة يا هشام[1]؟ وبعد فما يقصر برجل أبوه رسول الله وهو ابن علي بن أبي طالب عليه السلام فغضب هشام وأمر بضربه ثمانين سوطاً[2] فخرج زيد من المجلس وهو يقول: لن يكره قوم قط حر السيوف إلا ذلوا فحملت كلمته إلى هشام فعرف أنه خارج عليه، فقال: ألستم تزعمون أن أهل هذا البيت قد بادوا فلعمري ما انقرض من مثل هذا خلفهم[3] وتمثل زيد بهذين البيتين[4]:

إن المحكم ما لم يرتقب حسباً أو يرهب السيف أو خر القناة صفا
من عاذ بالسيف لاقى فرحة عجبا موتاً على عجل أو عاش فانتصفا

فخرج إلى الكوفة... فاجتمع إليه أهلها فلم يزالوا به حتى بايعوه على الحرب. فخرج ومعه القراء والأشراف فحاربه يوسف بن عمر الثقفي فانهزم أصحاب زيد وبقي هو في جماعة يسيرة، فقاتلهم أشد القتال وقد أصابه سهم في جبهته الشريفة، فطلبوا من ينزع النصل، فأتي بحجام فاستكتموه أمره، فاستخرج النصل، فمات من حينه، فدفنوه في ساقية ماء وجعلوا على قبره التراب والحشيش وأجرى الماء على ذلك وحضر الحجام مواراته فعرف الموضع، فدل يوسف عليه، فاستخرجه يوسف وبعث

---

(١) كامل ابن الأثير: ج٥، ص٨٤.

(٢) تذكرة الخواص: ص١٨٨.

(٣) عمدة الطالب.

(٤) تاريخ الشام: ج٦، ص٢٠.

برأسه الشريف إلى هشام فكتب هشام إلى عامله يوسف، أن اصلبه عرياناً، فصلبه يوسف كذلك، ثم كتب هشام ليوسف، يأمره بإحراق جثته وذروه في الرياح، فأنزلوه من جذعه، فأحرقوه بالنار، ثم ذروه في الفرات.

فليس لزيد بن علي بن الحسين عليه السلام قبر حتى يعرف ويزار سلام الله عليه وعلى من اتبع الهدى.

عبد الرضا الحسيني الشهرستاني

* * *

حضرات أعضاء لجنة الثقافة الدينية المحترمين ـ كربلاء

يرجى من حضراتكم تفسير هذه الآية

سؤال تسلسل ١٢٤٦

﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾

ودمتم ذخراً للأمة الإسلامية

المملكة السعودية ابيق الإحساء

عبد المجيد أحمد خليفة

تفسير قوله تعالى:
﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم.... إلخ﴾

محمد حسن الأعلمي

جواب تسلسل ١٢٤٦

قبل نزول هذه الآية الكريمة كان في شهر رمضان: حكمان مستصعبان على الأمة، وهما:

١ : حرمة النكاح في الليل والنهار من شهر رمضان المبارك فالناس كانوا محرومين من استمتاع النساء في جميع هذا الشهر المبارك.

٢ : حرمة الأكل في الليل بعد النوم، بمعنى أنه إذا صار وقت

الإفطار لشخص وأحياناً أخذته غفوة النوم، ونام قبل الإفطار، حرم عليه الأكل والشرب إلى وقت الإفطار من اليوم الثاني، وهكذا.

فخفف الله تعالى عن هذه الأمة بإرسال هذه الآية المباركة التي تضمنت في جوانبها الإشفاق والرحمة، فنسخت الحكم السابق، فأحل النكاح في الليل وهكذا الأكل بعد النوم وقبله إلى وقت طلوع الفجر، بعد أن كانا محرمين على الأمة.

ترخيص الحكم الأول

قال الله تبارك وتعالى في بيان ترخيص الحكم الأول في آية ـ ١٨٧ ـ من سورة البقرة ﴿أحل لكم ليلة الصيام﴾ وهي الليلة التي يكون في صباحها الصوم ﴿الرفث إلى نسائكم﴾ والرفث: إما كناية عن الجماع أو أنه نفس الجماع، بمعنى أنه يجوز ـ في ليالي شهر رمضان ـ الجماع.

وإنما عدى ﴿الرفث﴾ بـ ﴿إلى﴾، وقيل ﴿الرفث إلى نسائكم﴾ لأنه ضمن معنى ـ الإفضاء ـ كما في مجمع البحرين.

﴿هن﴾ أي النساء ﴿لباس لكم﴾، وكذا ﴿أنتم لباس لهن﴾ وإنما سمى كل من الرجل والمرأة لباساً، لأن كلاً منهما يحفظ الآخر عن ورود بعض الآفات والآلام عليه كما أن شأن اللباس هو هذا فالإنسان إذا لم يلبس الملابس كانت معرضيته للأخطار أكثر من ذلك الإنسان الذي تزيى بالملابس والثياب.

ونقل الشيخ الطبرسي في كتابه قولاً آخر، وهو «إنما جعل كل واحد منهما لباساً للآخر، لانضمام جسد كل واحد منهما إلى جسد صاحبه حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه، فلما كانا يتلابسان عند الجماع، سمي كل واحد منهما لباساً لصاحبه».

﴿علم الله﴾ تعالى ﴿أنكم كنتم﴾ في الخفاء ﴿تختانون أنفسكم﴾ ولا تمتثلون أمره وذلك لاستصعاب ذلك الحكم فمنّ الله تعالى عليكم بالترخيص ﴿فـ﴾ رخصه لكم و(تاب عليكم، وعفا عنكم) وغفر لكم تلك الذنوب التي كنتم تقترفونها في الخفاء ﴿فالآن باشروهن﴾ أي يجوز لكم حينئذٍ الاستمتاع من النساء بجميع أقسامها، فاستمتعوا منهن، وجامعوهن ﴿و﴾ لكن ﴿ابتغوا﴾ أي اطلبوا ﴿ما كتب الله لكم﴾ في هذا العمل، وهو طلب الأولاد الذي من أجله شرعت المناكحة كما أشار إليه الرسول الأعظم بقوله «تناكحوا تناسلوا».

ترخيص الحكم الثاني:

﴿و﴾ بعد أن بين الله تعالى ترخيص الحكم الأول شرع في بيان ترخيص الحكم الثاني فقال تعالى ﴿كلوا﴾ من المأكولات بجميع أنواعها غير المحرمات ﴿واشربوا﴾ من المشروبات بجميع أقسامها غير المحرمات من أول الليل إلى آخره. قبل النوم وبعده ﴿حتى يتبين﴾ أي يظهر ﴿لكم﴾ على التحقيق ﴿الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ والمراد هو ظهور بياض أول النهار المعترض على الأفق المعبر عنه بالفجر الصادق لأنه يرى ذلك البياض عند حدوثه كالخيط الأبيض، بجنبه الخيط الأسود.

ففي ذلك الوقت يلزم على الشخص الصائم أن يمسك نفسه عن الأكل والشرب وعن باقي المفطرات المذكورة في كتب الفقه.

فقوله تعالى ﴿من الفجر﴾ هو بيان لقوله ﴿الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ حتى لا يتوهم خلاف هذا، كما روي عن عدي بن حاتم أنه قال للنبيﷺ: إني وضعت خيطين من شعر أبيض وأسود فكنت أنظر فيهما فلا يتبين لي، فضحك رسول اللهﷺ حتى رئيت نواجذه

ثم قال: يا بن حاتم إنما ذلك بياض النهار وسواد الليل.

إلى هنا بيّن الله تعالى وقت انتهاء الأكل والشرب وابتداء الصوم وأما انتهاء وقت الصوم فبينه بقوله عز من قائل ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ وهو المغرب الشرعي الذي يجوز فيه الإتيان بالفريضة وهي صلاة المغرب، وذلك فيما تجاوزت الحمرة المشرقية عن وسط السماء.

هذا ولكن الترخيص في الحكم الأول وهو جواز مباشرة النساء في الليل إنما يشمل الصائمين الذين لم يعتكفوا في المساجد.

وأما في حال الاعتكاف فلا يشملهم هذا الترخيص فلا يجوز لهم المباشرة للنساء مطلقاً ليلاً كان أم نهاراً، قبل النوم أو بعده.

وذلك لأن للمعتكف شروطاً لا يمكن تجاوزها فمنها المكث في المسجد ثلاثة أيام بلياليها، وعدم الخروج منه إلا لعذر، والصيام معه فبالمباشرة معهن يجب خروجه من المسجد وهذا ينافي الاعتكاف قال الله تعالى ﴿ولا تباشروهن﴾ أي النساء مطلقاً ﴿و﴾ الحال ﴿أنتم عاكفون في المساجد﴾ وقال الشيخ الطبرسي: ولا يجوز الاعتكاف عندنا إلّا في أحد المساجد الأربعة وهو المسجد الحرام والمسجد النبوي، ومسجد الكوفة، ومسجد البصرة.

فـ ﴿تلك﴾ الأحكام التي ذكرت هي ﴿حدود﴾ حدها ﴿الله﴾ تبارك وتعالى لكم ﴿فلا﴾ يجوز أن ﴿تقربوها﴾ بأن لا يعمل بأوامره ونواهيه، ومباحاته ﴿كذلك يبين الله﴾ تعالى ﴿آياته﴾ وحججه على العباد ﴿لعلهم يتقون﴾ الله في أوامره ونواهيه، كي يطيعوا أوامره، ويجتنبوا نواهيه.

محمد حسن الأعلمي

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات أعضاء لجنة الثقافة الدينية المحترمين

بعد أن أهديكم أزكى التحيات العطرة من صميم فؤادي المشتاقة إلى اجتماعكم الباهر. أتقدم بفائق شكري لكم على جزيل تفضلكم علينا وأسأل الله أن يوفقكم لخدمة الدين وتقبلوا فائق شكرنا وبعد: أرجو تفضلكم علينا بأجوبة الأسئلة التالية:

تسلسل ١٢٤٧

سؤال (١) من هم يأجوج ومأجوج وأين يسكنون؟

تسلسل ١٢٤٨

سؤال (٢) من كانت من المؤمنات لا تتكلم إلا بالقرآن أي كلماتها كلها مشتقة من آيات القرآن؟

ولكم من الله حسن الثواب، ودمتم بنعم الله.

أخوكم في الله

وخادمكم عبد الهادي احمد الحلي

في العزيزية

يأجوج ومأجوج

جواب تسلسل ١٢٤٧

هذا بحث عويص طرق بابه بعض المؤرخين وكتب حوله المفسرون وذهب إلى ذلك مذاهب وآراء بيّنا ذلك في نشراتنا السابقة حول «ذي القرنين» والآراء حوله في الدورة الثانية العدد الأول الطبعة الثانية.

وكذلك حول موضوع سد ذي القرنين في الدورة الرابعة العدد السابع فراجع.

فضة ما تكلمت إلا بالقرآن

جواب تسلسل ١٢٤٨

فضة خادمة الزهراء بنت محمد بن عبد الله ﷺ ما تكلمت منذ عشرين سنة إلا بالقرآن وقد بينا ذلك في الدورة الثامنة فراجع.

* * *

إخواني علماء أسرة تحرير أجوبة المسائل الدينية أدامها اللّه

أرجو التفضل بالإجابة على السؤال التالي ولكم الثواب:

سؤال تسلسل ١٢٤٩

ما معنى قول أمير المؤمنين علي عليه السلام عندما ودع أبا ذر رحمه الله: «لو أن السماوات والأرض كانتا على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل الله منها مخرجاً؟».

بغداد مدينة الثورة — المشترك عبد الكريم كاظم الشكري

سيجعل اللّه بعد عسر يسراً لمن اتقاه

جواب تسلسل ١٢٤٩

الذي يظهر لي من هذا الخبر أن أبا ذر لما كان مضيقاً عليه من قبل عثمان، سلاه أمير المؤمنين عليه السلام بأن الله يجعل من الأمور المشكلة مخرجاً لمن اتقاه وأطاعه.

السيد مصطفى آل عثمان

حضرات أعضاء لجنة الثقافة الدينية ـ كربلاء

أرجو أن تجيبوني على سؤالي وهو تسلسل ١٢٥٠

كم سجدة في القرآن المجيد وفي أي سورة وما هو رقم الآية التي هي السجدة؟ وما هي الواجبات من المستحبات؟

أرجو الإجابة على هذا السؤال ولكم جزيل الشكر والسلام على سادتي المحترمين والسلام.

المملكة العربية السعودية

بقية ـ الفرحة ص ب ١٤١ محمد ـ م ـ العمراني

آيات السجود في القرآن

جواب تسلسل ١٢٥٠

السورة	الآية	
السجدة	١٥	سجدة واجبة
فصلت	٣٧	» »
النجم	٦٢	» »
اقرأ	١٩	» »
الأعراف	٢٥	سجدة مستحبة
الرعد	١٦	» »
النحل	٤٨	» »
الإسراء	١٠٧	
مريم	٥٨	سجدة مستحبة
الحج	١٨	» »
الفرقان	٦٠	» »
ص	٢٤	» »
الانشقاق	٣٧	» »

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرات أعضاء لجنة الثقافة الدينية المحترمين تحية إسلامية مباركة أسأل الله تبارك وتعالى أن يحفظكم وينصركم للإسلام.

سؤال تسلسل ١٢٥١

ما هي فلسفة مضار لحم الخنزير والأمراض التي تنتشر من أكله؟

كربلاء طالب صاحب سعيد

فلسفة حرمة لحم الخنزير

جواب تسلسل ١٢٥١

سبق الجواب عن مثل هذا السؤال في الدورة الأولى العدد التاسع فراجع.

بسم الله الرحمن الرحيم

لحضرات أعضاء لجنة الثقافة الدينية الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد فقد طالعت في مجلة «العربي» الكويتية عدد ٥٦ شهر صفر، سؤالاً لأحد القراء، حول كتابة المصحف الكريم التي هي مغايرة لقواعد الإملاء في معظم كلماته، وما تسببه تلك الإشكالات من بلبلة لأذهان الطلبة عندما يشاهدونها في التلفيزيون معروضة أمامهم، ويسأل القارئ عما ينال من يكتب المصحف حسب قواعد الإملاء، من جزاء بسبب مخالفته،

عن المألوف، وقد ردت (العربي) بأن لجنة الفتوى في الأزهر تعارض ذلك لأسباب مبينة هناك.

ونحن بدورنا نسألكم:

سؤال تسلسل ١٢٥٢

ما هو رأي الدين في كتابة المصحف حسب قواعد الإملاء؟

أليس في ذلك تفهم أكثر وأسرع لآيات القرآن الكريم؟

أفيدونا بالجواب المقنع، ولكم الشكر مني.

البحرين: المنامة، شارع الشيخ عبد الله متجر سلمان العرادي.

٢٥ صفر ١٣٨٣ المخلص سعيد السيد مرزوق ماجد

كتابة المصحف الكريم

جواب تسلسل ١٢٥٢

إن لكتابة المصحف الشريف أسلوباً اختصاصياً، اتفقت الأمة الإسلامية على التحفظ بها منذ الصدر الأول، حتى وإن فيها بعض الأغلاط الإملائية نحو مد التاء في قوله تعالى: ﴿إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾ وكحذف الألف من الرحمن، واسمعيل، وهذه كانت حيث الخط المتداول كان كوفياً، فلما استبدل بالنسخ روعيت جميع الجهات التي كانت من قبل من غير تبديل أو تغيير، وهذا من شدة الحذر والاحتياط على عدم تطرق كل تغيير في القرآن حتى ولو كان في أسلوب كتابته.

وهي نية صادقة تقدر، ولا بد من الاقتفاء على هذا الأثر المشكور وإلا لانفتح باب بل أبواب في وجوه المترصدين لتحريف القرآن وتغييره كل يوم بشكل من الأشكال، تارة في خطه وأخرى في أسلوبه وثالثة في

ترتيبه ورابعة في تبويبه وهكذا حتى يؤول الأمر أخيراً إلى التحريف والتغيير الجذري نعوذ بالله من ذلك.

تتمة الاعتذار

اعتذرنا في العدد التاسع من الدورة التاسعة من السائلين الكرام من تأخير أجوبتهم نظراً لكثرة الأسئلة وقلة المجال للنشر والالتزام برعاية الأسبق فالأسبق في وصول الأسئلة إلينا حسب الأرقام وقد ذكرنا إلى رقم ٨٧٠ والآن نبدأ من رقم ٨٧١ ولا يخفى أن المراد من الأرقام غير التسلسل والمراد بالأول عدد الكتب الواردة والمراد بالثاني تسلسل الأسئلة الموجودة في الكتب.

رقم المكتوب	العنوان	الاسم
٨٧١	البصرة عشار جسر الأحمر دور الحكومة رقم الدار ١٧٧ ـ ١	عبد الحميد صالح
٨٧٢	كركوك الحسينية	حسين صالح
٨٧٣	باكستان مدير مجلة مطلع الشمس	آغا جعفر
٨٧٤	ديوانية دار المعلمين	السيد هاشم السيد نعمه جريو
٨٧٥	المسيب	
٨٧٦	بغداد: شركة زيوت النباتية	عبد الزهرة نجيب
٨٧٧	معسكر الغزلاني مقر الجحفل الخفيف	العريف حمود هاني العبد
٨٧٨	بغداد مدينة الثورة شارع ٦٠	ياسين عاصي
٨٧٩	البحرين معامير	عيسى بن محمد
٨٨٠	جلولاء وحدة الميدان النصبية	المضمد حسن الشيخ منصور
٨٨١	قطيف العوامية المملكة السعودية	الخطيب الشيخ سعيد أبو المكارم

٨٨٢	الكاظمية	عبد الصاحب الحائري
٨٨٣	الحلة مأمور بدالة	صادق صالح
٨٨٤	طوز: كاتب ثانوية	الأستاذ قاسم الكاظم
٨٨٥	كربلاء محلة باب النجف	الحاج عمران داود آل عصفور
٨٨٦	سترة ـ واديان ـ البحرين	عبد الحسن إبراهيم
٨٨٧	عمارة ـ محلة المحمودية	ياسين جاسم
٨٨٨	الحلة	السيد عبد الكريم السيد هاشم وتوت
٨٨٩	الكويت ص ٣٤ ب ٣٤	محمد جواد عباس
٨٩٠	البحرين: سوق الخضرة	ميرزا علي عيسى الشعلة
٨٩١	السماوة	علي محسن الرفاعي
٨٩٢	الكاظمية	علي محمد بوليلا
٨٩٣	البحرين: سوق الخضرة	ميرزا علي عيسى الشعلة
٨٩٤	الكاظمية: شارع المفيد	استوديو المفيد
٨٩٥	النعمانية	صفر مشهدي علي الصيفي
٨٩٦	البصرة ـ معقل	عبد الواحد
٨٩٧	الكاظمية بناية البياع المكتبة الإسلامية	مرتضى الحاج كاظم
٨٩٨	البصرة: عامل شركة نفط	ملا عزيبي جبر
٨٩٩	ناحية دبي	حسين صالح سموم
٩٠٠	ايران آبادان: خيابان استخر	عبد الأمير إسماعيل آل صفر
٩٠١	البصرة: سائق الأرصفة	جواد الحاج نعمة
٩٠٢	بغداد: محلة القشل	جاسم عاصم النجار
٩٠٣	الهاشمية	السيد مهدي صالح الحسيني

٩٠٤	النعمانية	صفر مشهدي علي
٩٠٥	الموصل: بريد المركزي	الحاج محمود جاسم
٩٠٦	الموصل	محمد علي تتنجي الحيدري
٩٠٧	قضاء راوندوز	معسكر خليضان فوج الأولى لواء الأول مقر الفوج ـ نائب عريف السيد طاهر
٩٠٨	معسكر دربندخان ف ال ٢٧، ج أول مخابر	مهدي صالح الأسدي
٩٠٩	المملكة العربية السعودية الدمام قيادة سلاح الحدود	محمد حسين عوامي
٩١٠	طوز	الأستاذ قاسم آغا
٩١١	كربلاء	السيد صادق طعمة
٩١٢	الكاظمية	عبد الصاحب الحائري
٩١٣	جلولاء: وحدة الميدان الطبية/ ١٢	حسن الشيخ منصور
٩١٤	كركوك	حسن شاكر
٩١٥	طوز	عبد الواحد عباس البياتي
٩١٦	بغداد: كرخ رحمانية جامع حسين أبودية	فالح حسن الفضلي
٩١٧	جلولاء	حسين الشيخ منصور
٩١٨	الحمزة الشرقي	عبد الكاظم عبد لفتة البديري
٩١٩	حلة شارع أبو القاسم	إبراهيم الحاج عبد الأمير الطائي
٩٢٠	البحرين دائرة الكهرباء ص ب ٢	السيد احمد السيد إبراهيم
٩٢١	مسقط	أحد شباب مسقط
٩٢٢	طوز سوق الكبير	عبد الواحد عباس البياتي
٩٢٣	الحمزة الشرقي	عبد الكاظم عبد لفتة البديري
٩٢٤	حلة شارع ابن خلدون	عبد الأمير موسى مبارك

٩٢٥	البصرة: محلة الجمهورية	الشيخ علي الغيبي السهيلي
٩٢٦	الكوت	طالب الحاج حليو الشمري
٩٢٧	الحبانية	جاسم الحسيني المزيدية
٩٢٨	البحرين ـ كرزكان	جاسم محمد مكي الفردان
٩٢٩	البصرة	ملا يعقوب أحمد الكعبي مقابل جسر المحكمة
٩٣٠	بغداد وزارة الدفاع محطة لاسلكي الحركات الجندي الأول	المخابر حسن عبد الحسين
٩٣١	جلولاء: وحدة الميدان الطبية	العريف المعتمد حسن الشيخ منصور
٩٣٢	القادسية	السيد سلمان السيد عزيز الحلو
٩٣٣	سدة الهندية	الحاج خليل إبراهيم
٩٣٤	النجف الأشرف	عزيز معلة ثم إلى سامي معلة
٩٣٥	النعمانية	صفر مشهدي علي عطار
٩٣٦	قلعة صالح	عبد المنعم المالكي
٩٣٧	البصرة مقهى يوسف عبد الله	الحاج عبد الرضا فرحان
٩٣٨	النجف	السيد احمد الحسيني البغدادي
٩٣٩	السماوة: صوب الكبير	جبار عبد الحسن المكتوب
٩٤٠	قلعة سكر	مدرسة المأمون المعلم كرام أحمد محمد
٩٤١	تلعفر محلة القلقة قرب البريد	عبد القادر سليمان سائق بلدية
٩٤٢	المقدادية	خالد عمران التميمي
٩٤٣	الحمزة الشرقي	عبد الكاظم عبد لفته البديري
٩٤٤	كربلاء	فاضل جاسم محمد الحلي
٩٤٥	العمارة دار المعلمين	الطالب حسن فالح العزاوي

وكلاؤنا في البلاد

بغداد: جامع المصلوب فصيلة السيد محمد السيد محمد طاهر الحيدري.

الكاظمية: المكتبة الإسلامية، السيد محمد علي الحيدري.

البصرة: عشار سوق الندافين، الماجد عبد المجيد حسن الحائري.

النعمانية: حضرة صفر مشهدي علي عطار.

بعقوبة: الأستاذ السيد عبد الحليم السيد علي خان.

قضاء الهاشمية: الشيخ جواد الحاج كاظم دلي البزاز.

الكوت: مكتبة الأضواء حسين علي الوائلي.

طوز: الأستاذ كمال محمد علي معلم.

الكويت: القادسية شارع الفتح ص ب ٤٨٦١ صاحب مكتبة الإيمان حضرة عبد العزيز أبو عباس

مسقط: مطرح سماحة العلامة السيد حسين أسد الله.

الدوحة: قطر ص ب ٣٩ الحاج عبد الأمير الحاج محمد دهنيم.

* * *

يرجى من المشتركين الكرام الذين لم يسددوا بدل اشتراكاتهم مراجعة هؤلاء.

الأعداد ٣ و٤ و٥ الدورة العاشرة شهر ربيع الأول والثاني، وجمادى الأولى سنة ١٣٨٥هـ	أجوبة المسائل الدينية تصدرها لجنة الثقافة الدينية كربلاء - العراق	بدل الاشتراك السنوي فلس ٥٠٠ داخل العراق ٦٠٠ خارج العراق ٥٠ العدد الفردي

كربلاء المقدسة - تلفون ٨١٠

سماحة العلامة السيد عبدالرضا الشهرستاني

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة حجة الإسلام السيد عبد الرضا المرعشي الشهرستاني.

بعد التحية ومزيد الاحترام

طالعنا نشرة (أجوبة المسائل الدينية) وجدنا فيها أحوال كثير من العلماء وأصحاب الرسول وسيرة الأئمة الهداة من آل محمد فهل بإمكانكم أن تشرحوا لنا عن سيرة شباب أهل الجنة الذي أنقذ البشرية من مخالب الضلال وبراثن الطغاة وداوى جروح الدين بدمه الزاكي وأرواح أصحابه الكرام.

ولعمري أن للأجيال في حياة العظماء عظات وعبر ودمتم مؤيدين بنصر الله، محفوظين بعنايته.

عبد الله حسن

(الإمام الحسين بن علي عليه السلام)

الحسين[1] بن علي بن أبي طالب عليه السلام أمه فاطمة بنت محمد بنت عبد الله وقد أقر بعلو نسبه الجمهور، ومناقبه واضحة الظهور وكيف لا يكون كذلك وقد اكتنفه الشرف من جميع أكنافه، جده محمد صلى الله عليه وآله والأب علي عليه السلام والجدة خديجة والأم فاطمة والشقيق الحسن والعم جعفر والبيت هاشم وفي ذلك يقول عليه السلام أنا ابن علي الطهر من آل هاشم.

لقبه وكنيته عليه السلام

أما لقبه عليه السلام الرشيد والطيب والوفي والزكي والسيد والسعيد والمبارك والدليل على ذات الله والتابع لمرضاة الله والشهيد بكربلاء والسبط الثاني والإمام الثالث وكل هذه الألقاب كانت تقال له وتطلق عليه وأشرفها الزكي وأعلاها رتبة ما لقبه به جده صلى الله عليه وآله في قوله عنه وعن أخيه إنهما سيدا شباب أهل الجنة فيكون السيد أشرفهما وكذلك السبط فإنه ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: حسين سبط من الأسباط هذا وذكر في المناقب ألقاباً له فلاحظ.

وأما كنيته عليه السلام أبو عبد الله وأكثر علماء الفريقين لم يذكروا غير هذه الكنية وعن المناقب كنيته أبو عبد الله عليه السلام والخاص أبو علي وزاد في جنات الخلود أبا الأئمة وأبا المساكين وقال صاحب دوائر

---

(١) الحسين مصغر الحسن لفظاً ومعنى وفي التوراة شبير وفي الإنجيل طاب وهو مظهر صفات الله.

المعارف وكيف لا يكون أبا المساكين وهو القائم بشؤونهم والمتكفل بأمورهم وهو كآبائه أجواد كرام، كرموا وجاد قبيلهم من قبلهم، وبنوهم من بعدهم كرماء.

مولده عليه السلام

الأشهر بين علماء الإمامية أن ولادته عليه السلام كانت في المدينة المنورة في الثالث من شهر شعبان، وقيل بعضهم لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة وكان يوم الخميس أو الثلاثاء وكانت السيدة فاطمة عليها السلام علقت به بعد ولادة الحسن بخمسين ليلة وحنكه الرسول صلى الله عليه وآله بريقه، وأذن له في أذنه وتفل في فمه ودعا له، وسماه حسيناً يوم السابع... وعق عنه كبشاً وقال لأمه عليها السلام احلقي رأسه، وتصدقي بوزن شعره فضة، كما فعلت بأخيه الحسن.

قالت صفية بنت عبد المطلب كنت قابلة الحسين بن علي عليه السلام فحينما ولد الحسين طلبه رسول الله صلى الله عليه وآله مني وقال يا عمة أقبليني ابني قلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله بعد لم أطهره قال صلى الله عليه وآله أنت تطهرينه إن الله تعالى قد طهره وزكاه فأخذته إليه اعتنقه وجعل لسانه في فمه فامتصه الحسين وزق العلم والحكمة.

ولقد أحسن وأجاد السيد عباس بن علي نور الدين المالكي الموسوي الحسني في كتاب نزهة الجليس ذكره في القمقام:

مولده في عام أربع مضت ... في شهر شعبان بخمس انقضت
يوم الخميس سيدي قد ولدا ... قيل بل السابع كان مولدا
يكنى بعبد الله وهو السبط ... لم يك مثله كريم قط
نسبه من أشرف الأنساب ... حسبه من أكرم الأحساب
نص عليه بالإمامة النبي ... فيا له من فضل مجد عجب
خير الورى في العلم والزهادة ... والفضل والحلم وفي العبادة

كـرمـه وجـوده قـد بـلـغـا ... مـا لـم يـحـط بـه مـقـال الـبـلـغـا
فـاق الـورى فـي الـجـود والـسـمـاحـة ... والـمـجـد والـكـمـال والـفـصـاحـة
أولاده سـت وقـيـل عـشـر ... وقـيـل تـسـع فـافـقـدوه وأدروا
وقـتـلـه بـكـربـلاء اشـتـهـرا ... مـضـى شـهـيـداً وبـهـا قـد قـبـرا
أمـر يـزيـد وعـبـيـد الله ... ابـن زيـاد الـخـبـيـث الـلاهـي
قـاتـلـه سـنـان وابـن سـعـد ... تـقـوضـوا بـنـجـمـهـم عـن سـعـد
إحـدى وسـتـيـن بـه حـل الـبـلا ... بـقـتـلـه مـع شـهـداء كـربـلا
فـي عـاشـر الـمـحـرم الـمـنـحـوس ... فـي يـوم سـبـت مـا خـلا مـن بـؤس
أو يـوم الاثـنـيـن وقـيـل الـجـمـعـة ... حـل الـبـلا بـه بـتـلـك الـبـقـعـة
وعـمـره سـبـع وخـمـسـون سـنـة ... وبـعـده مـضـى وحـل مـدفـنـه
ومـا جـرى فـي قـتـلـه مـن عـجـب ... مـن الـبـراهـيـن فـفـكـر وأعـجـب
وعـنـد نـبـش قـبـره كـم ظـهـرا ... مـن مـعـجـز عـجـيـب بـهـرا

الأدلة على إمامته عليه السلام

لا كلام عندنا في أنه عليه السلام هو الإمام الحقيقي والخليفة الشرعي بعد أخيه الحسن وقد نص على ذلك أخبار كثيرة منها: قول رسول الله صلى الله عليه وآله هذان ابناي (مشيراً إلى الحسن والحسين) إمامان قاما أو قعدا، منها: وصية أمير المؤمنين إلى الحسن، ومنها آية التطهير الدالة على عصمته وليس هنا مجال لذكرها ومن أراد التوسع فليراجع بحار الأنوار المجلد العاشار من الطبعة الأولى.

بعض كلماته وحكمه عليه السلام

(١ـ) إياك وما تعتذر منه، فإن المؤمن لا يسيء ولا يعتذر، والمنافق كل يوم يسيء ويعتذر.

(٢ـ) للسلام سبعون حسنة: تسع وستون للمبتدئ، وواحدة للراد.

(٣ـ) البخيل من بخل بالسلام.

(٤ـ) إن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم، فلا تملوا النعم.

(٥ـ) من قبل عطاءك فقد أعانك على الكرم.

(٦ـ) مالك إن لم يكن لك كنت له، فلا تبق عليه، فإنه لا يبقي عليك، وكله قبل أن يأكلك.

(٧ـ) دراسة العلم لقاح المعرفة، وطول التجارب زيادة في العقل، والشرف التقوى والقنوع راحة الأبدان ومن أحبك نهاك، ومن أبغضك أغراك.

(٨ـ) قيل له كيف أصبحت يا بن رسول الله ﷺ؟ قال: أصبحت ولي رب فوقي، والنار أمامي، والموت يطلبني والحساب محدق بي، وأنا مرتهن بعملي ولا أجد ما أحب ولا أدفع ما أكره، والأمور بيد غيري، فإن شاء عذبني وإن شاء عفا عني، فأي فقير أفقر مني؟

(٩ـ) من أحجم عن الرأي وعيت به الحيل كان الرفق مفتاحه.

(١٠ـ) ما أخذ الله طاقة أحد إلا وضع عنه طاعته ولا أخذ قدرته إلا وضع عنه كلفته.

(١١ـ) إن الحلم زينة والوفاء مروءة والصلة نعمة والاستكبار صلف والعجلة سفه والسفه ضعف والغلو ورطة ومجالسة الدناة شر ومجالسة أهل الفسق ريبة.

البحار ج ١٧ طبع الكمپاني

أدعيته عليه السلام[1]

اللهم إني أسألك بكلماتك ومعاقد عرشك وسكان سماواتك وأرضك وأنبيائك ورسلك أن تستجيب لي فقد رهقني من أمري عسراً فأسألك أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تجعل من عسري يسراً.

ورد هذا الدعاء في تعقيب الفرائض عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما من مخلوق يدعو به بعد صلاة الفريضة إلا حشر مع الحسين عليه السلام وكان شفيعه في آخرته وفرج الله كربته وقضى دينه ويسر أمره وأوضح سبيله ونصره على عدوه ولم يهتك ستره وشرح صدره ولقنه شهادة أن لا إله إلا الله عند خروج نفسه.

التوسل به عليه السلام

من أراد أن يرحمه الله ويتجاوز عن خطاياه ويغفر ذنوبه ويستر عيوبه فليتوسل بالنبي وفاطمة والحسنين عليهم السلام ويقول:

«اللهم صلِّ على محمد وآل محمد وعلى بنته وابنيهما وأسألك أن تعينني على طاعتك ورضوانك وتبلغني بهم أفضل ما بلغت أحداً من أوليائك إنك جواد كريم غفور رحيم».

معجزاته عليه السلام

معاجزه كثيرة مشهورة مذكورة في كتب المعاجز وغيرها وهاك بعضها:

(١) لم يرتضع من أنثى بل ارتضع من إبهام النبي صلى الله عليه وآله وفي رواية ارتضع من لسانه.

---

(١) نقلاً عن الصحيفة الحسينية: لآية الله الشهرستاني.

(٢) علمه المصارع بالعراق.

(٣) علمه بمشهده.

(٤) تكلمه مع أسد عقور.

(٥) إخراجه من سارية المسجد عنباً وموزاً.

(٦) إخباره باجتماع طغاة بني أمية على قتله.

(٧) إخراج الرطب من النخلة اليابسة.

(٨) إخباره بأن من لحق به استشهد.

(٩) كلام رأسه الشريف وقراءة سورة الكهف.

(١٠) الأسد الذي منع من وطي جسده.

(١١) استجابة دعائه في الاستسقاء.

(١٢) استجابة دعائه على ابن جويرية وتميم بن حصين ومحمد بن الأشعث وعبد الله بن الحصين وجماعة آخرين.

(١٣) إخراجه الماء من خاتمه للقاسم بن الحسن عليه السلام.

(١٤) دخل على مريض فطارت الحمى حين دخل.

(١٥) كلامه مع فرسه.

(١٦) محاماة فرسه عنه.

(١٧) أنه حدث بين عيني حبابة الوالبية الوضح[1] حتى منعها من الرؤية فدرأه الحسين بماء فمه (البصاق) قالت حبابة فرفعت بعد

---

(١) الوضح بالتحريك البرص.

ذلك رأسي فلم أحس منه شيئاً[1].

(١٨) استجابة دعائه عليه السلام لإحياء امرأة لم توص ولها مال وقد شكا ولدها إليه عليه السلام.

(١٩) روي في الخرائج عن جابر الجعفي عن زين العابدين قال أقبل أعرابي إلى المدينة ليختبر الحسين عليه السلام لما ذكره له من دلائله فلما صار بقرب المدينة خضخض ودخل المدينة فدخل على الحسين عليه السلام فقال له أبو عبد الله الحسين عليه السلام أما تستحي يا أعرابي أن تدخل إلى إمامك وأنت جنب؟ فقال أنتم معاشر العرب إذا دخلتم خضخضتم فقال الأعرابي قد بلغت حاجتي مما جئت فيه فخرج من عنده فاغتسل ورجع إليه وسأله عما كان في قلبه[2].

(٢٠) عن الخرائج روي عن مندل بن هارون بن صدقة عن الصادق عليه السلام عن آبائه قال: إذا أراد الحسين عليه السلام أن ينقذ غلمانه في بعض أموره قال لهم لا تخرجوا يوم كذا اخرجوا يوم كذا فإنكم إذا خالفتموني قطع عليكم فخالفوه مرة وخرجوا فقتلهم اللصوص وأخذوا ما معهم واتصل الخبر إلى الحسين عليه السلام فقال لقد حذرتهم فلم يقبلوا مني ثم قام من ساعته ودخل على الوالي فقال الوالي بلغني قتل غلمانك فأجزاك الله فيهم فقال الحسين عليه السلام فإني أدلك على من قتلهم فاشدد يدك بهم قال: أوتعرفهم يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم كما أعرفك وهذا منهم فأشار بيده إلى رجل واقف بين يدي الوالي فقال الرجل ومن أين

---

(١) البحار: ج١٠، عن بصائر الدرجات ودعوات الراوندي عن ابن بابويه.

(٢) قال الجزري الخضخضة الاستمناء وهو استنزال المني في غير الفرج.

قصدتني بهذا؟ ومن أين تعرف أني منهم؟ فقال له الحسين عليه السلام: إن أنا صدقتك تصدقني؟ قال نعم والله لأصدقنك فقال خرجت ومعك فلان وفلان وذكرهم كلهم فمنهم أربعة من موالي المدينة والباقون من جيشان المدينة فقال الوالي ورب القبر والمنبر لتصدقني أو لأهرقن لحمك بالسياط فقال الرجل: والله ما كذب الحسين ولصدق وكأنه كان معنا. فجمعهم الوالي جميعاً فأقروا جميعاً فضرب أعناقهم.

عن الخرائج(٢١) روي أن رجلاً صار إلى الحسين فقال جئتك أستشيرك في تزويجي فلانة قال: لا أحب ذلك وكانت كثيرة المال وكان الرجل أيضاً مكثراً فخالف الحسين عليه السلام فتزوج بها فلم يلبث الرجل حتى افتقر فقال له الحسين عليه السلام قد أشرت إليك فخل سبيلها فإن الله يعوضك خيراً منها ثم قال وعليك بفلانة فتزوجها فما مضت سنة حتى كثر ماله وولدت له ذكراً وأنثى ورأى منها ما أحب.

عن الخرائج (٢٢) روي أنه لما ولد الحسين أمر الله تعالى جبرائيل أن يهبط إلى الأرض في ملأ من الملائكة فيهنئ محمداً فهبط قمر بجزيرة فيها ملك يقال له فطرس بعثه الله في شيء فأبطأ فكسر جناحه فلقاه في تلك الجزيرة فعبد الله سبعمائة عام فقال فطرس لجبرائيل إلى أين؟ فقال إلى محمد صلى الله عليه وآله قال: احملني معك لعله يدعو لي فلما دخل جبرائيل وأخبر محمداً صلى الله عليه وآله بحال فطرس قال له النبي صلى الله عليه وآله قل له يتمسح بهذا المولود فتمسح فطرس بمهد الحسين فأعاد الله عليه في الحال جناحه ثم ارتفع مع جبرائيل إلى السماء.

التهذيب (٢٣) عن أيوب بن أعين عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال إن امرأة كانت تطوف وخلفها رجل فأخرجت ذراعها فمال بيده

حتى وضعها على ذراعها فأثبت الله يد الرجل في ذراعها حتى قطع الطواف وأرسل إلى الأمير واجتمع الناس وأرسل إلى الفقهاء فجعلوا يقولون اقطع يده فهو الذي جنى الجناية فقال ها هنا أحد من ولد محمد رسول اللهﷺ؟ قالوا: نعم الحسين بن علي قدم الليلة فأرسل إليه فدعاه فقال انظر ما لقي ذان فاستقبل القبلة ورفع يديه فمكث طويلاً يدعو ثم جاء إليها حتى خلص يده من يدها.

عن محمد بن جرير الطبري في كتاب دلائل الإمامة بإسناده عن حذيفة قال سمعت الحسين بن عليعليه السلام يقول: والله ليجتمعن على قتلي طغاة بني أمية ويقدمهم عمر بن سعد وذلك في حياة النبيﷺ فقلت له أنبأك بهذا رسول اللهﷺ؟ فقال لا فقال فأتيت النبيﷺ فأخبرته فقال علمي علمه وعلمه علمي لأننا نعلم بالكائن قبل كينونته.

عيون المعجزات للمرتضى عن الصادقعليه السلام عن آبائه قال جاء أهل الكوفة إلى علي فشكوا إليه إمساك المطر وقالوا له استسق لنا فقال للحسينعليه السلام قم واستسق فقام وحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبيﷺ وقال: (اللهم معطي الخيرات ومنزل البركات أرسل السماء علينا مدراراً واسقنا غيثاً مغزاراً واسعاً غدقاً مجللاً سحاً سفوحاً فجاجاً تنفش به الضعف من عبادك وتحيي به الميت من بلادك آمين رب العالمين).

فما فرغ من دعائه حتى غاث الله تعالى غيثاً بغتة وأقبل أعرابي من بعض نواحي الكوفة فقال تركت الأودية والآكام يموج بعضها من بعض.

زوجاته عليه السلام

المشهورات منهن فهي (١) شاه زنان بنت يزدجرد بنت شهريار بن شيرويه ابن كسرى برويز ويقال لها شهربانويه وجهانشاه وسلامة قال في لفظ زجر من مجمع البحرين قال الزمخشري يزدجرد كان له ثلاث بنات سبين في زمن عمر ابن الخطاب فحصلت واحدة منهن لعبد الله بن عمر فأولدها سالماً والأخرى لمحمد بن أبي بكر فأولدها قاسماً والأخرى للحسين فأولدها علياً زين العابدين فكلهم بنو خالة وجاء ذكرها في لفظ «شهرب» و «سلم» من المجمع. (٢) ليلى بنت أبي مرة بن مسعود الثقفي. (٣) قضاعية أم جعفر بن الحسين عليه السلام. (٤) رباب بنت امرئ القيس. (٥) أم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله التميمي. (٦) عاتكة على القول.

عدد أولاده عليه السلام

اختلف المؤرخون والمحدثون في أولاده عليه السلام ففي صحيفة ٧٣ من مطالب السؤول كان له من الأولاد ذكور وإناث عشرة؛ ستة ذكور وأربع إناث إلخ.

وفي دوائر المعارف أربعة بنين وهم (١) زين العابدين وأمه شاه زنان بنت كسرى يزدجرد، (٢) وعلي قتل مع أبيه ودفن بجنبه وأمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي، (٣) وجعفر وأمه قضاعية مات في حياة أبيه ودفن في المدينة كما عن منتخب الطريحي، (٤) عبد الله قتل في حجر أبيه صغيراً يوم الطف.

ويقال له علي الأصغر فعلي الأوسط يقال له الأكبر نسبة إليه ويقال له الأوسط نسبة إلى زين العابدين وبنتان هما سكينة وأمها الرباب وفاطمة النبوية وأمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله تيمية

ونسله عليه السلام من الإمام زين العابدين فقط.

خصائصه عليه السلام

أما خصائصه فكثيرة جداً وغير محصورة عداً فمنها: أن الأئمة من ولده والشفاء في تربته وإجابة الدعاء تحت قبته كما في الحديث ومنها: أنه لا يعد أيام زائريه جائياً وراجعاً من عمره، ومنها: أن الله ألحقه بجده فكان معه في درجته ومنزلته، ومنها: أنه أمطرت السماء دماً وتراباً يوم قتله، ومنها: أنه ولد لستة أشهر كما في البحار عن الكافي أنه لم يولد لستة أشهر إلا عيسى ابن مريم والحسين عليهما السلام، ومنها: أنه من بكى عليه غفر الله له كل ذنب صغيراً أم كبيراً قليلاً أم كثيراً ولكن حققنا البحث في أجوبة المسائل الدينية في عدد سابق وإلى غير ذلك من الخصائص التي يقف عليها المتتبع الخبير في كتب الأخبار والسير وذكر بعضها في وفيات الخلود والمجلسي في البحار وابن شهرآشوب في المناقب وصاحب دوائر المعارف وغيرهم.

فضائله ومآثره عليه السلام

فهو عليه السلام في المآثر والفضائل كجدِّه ووالده وأخيه وهو من أصل واحد كما قال عليه السلام خيرة الله من الخلق أبي ثم قال فأنا ابن الخيرتين.

فضة قد خلصت من ذهب ... فأنا الفضة وابن الذهب
من له جد كجدي في الورى ... أو كشيخي فأنا ابن القمرين

إنه عليه السلام لم يرضع من فاطمة ولا من أنثى كان يأتي به النبي صلى الله عليه وآله فيضع إبهامه في فيه فيمص منها ما يكفيه ليومين وثلاثة فنبت لحم الحسين

من لحم رسول الله ﷺ ودمه من دمه، وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام أن النبي ﷺ كان يؤتى به الحسين عليه السلام فيلقمه لسانه فيمصه فيجتزي به ولم يرضع من أنثى.

وقد وردت الأحاديث الشريفة في فضله كما ذكرها الأستاذ فهمي عويس عضو بوزارة الأوقاف ورئيس جمعية الإمام الحسين الخيرية بعين شمس القاهرة (قال ﷺ: أحب أهل بيتي إلي الحسن والحسين وقال ﷺ: حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، . . .) وقال ﷺ: (من أحب أن ينظر إلى أحب أهل الأرض وإلى أحب أهل السماء فلينظر إلى الحسين). . . وقال ﷺ (هما ريحانتاي من الدنيا). . . وقال ﷺ: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة). . . وقال ﷺ: (هذان ابناي فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني، اللهم إني أحبهما فأحبهما). وقال ﷺ: ألا أخبركم بخير الناس جداً وجدة، ألا أخبركم بخير الناس عماً وعمة، ألا أخبركم بخير الناس خالاً وخالة، ألا أخبركم بخير الناس أباً وأماً. الحسن والحسين جدهما رسول الله ﷺ وجدتهما خديجة بنت خويلد وأمهما فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأبوهما علي بن أبي طالب، وعمهما جعفر بن أبي طالب، وخالهما القاسم ابن رسول الله ﷺ، وخالاتهما زينب ورقية وأم كلثوم بنات رسول الله ﷺ، وجدهما في الجنة، وأبوهما في الجنة، وأمهما في الجنة، وعمهما في الجنة، وخالهما في الجنة، وخالاتهما في الجنة، وهما في الجنة، ومن أحبهما في الجنة، أخرجه الطبراني وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنه.

اللهم إنا نحبهما ونحب من يحبهما، فمتعنا بالنظر إلى وجههما الكريم

وبصحبتهما في جنات النعيم.

وقال ﷺ: «حسين مني وأنا من حسين، حسين سبط من الأسباط» رواه الترمذي عن يعلى بن مرة وكان ﷺ يجثو للحسنين عليهما السلام فيركبان على ظهره، ويقول نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما.

وقال ﷺ: «إن الله تعالى جعل ذرية كل نبي من صلبه خاصة وجعل ذريتي من صلب علي بن أبي طالب».

وأجلس النبي ﷺ الحسن على فخذه اليمنى والحسين على فخذه اليسرى، وأجلس علياً وفاطمة عليهما السلام بين يديه ثم لف عليهما ثوبه ثم قرأ ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾، ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي حقاً».

وقال ﷺ لعلي وفاطمة والحسن والحسين: «أنا سلم لمن سالمتم، وحرب لمن حاربتم» وانصرف ﷺ إلى منزل فاطمة فرآها قائمة خلف بابها فقال: ما بال حبيبتي ها هنا؟ فقالت: ابناك خرجا غدوة وقد غاب علي خبرهما فمضى رسول الله ﷺ يقفو آثارهما حتى صار إلى كهف جبل فوجدهما نائمين، وحية مطوقة على رأسيهما فأخذ حجراً ليضربها فقالت: السلام عليك يا رسول الله ﷺ ما نمت عند رأسيهما إلا حراسة لهما، فدعا لها بخير. ثم حمل الحسن على كتفه اليمنى والحسين على كتفه اليسرى فنزل جبرائيل، فأخذ الحسين عليه السلام وحمله فكانا بعد ذلك يفتخران فيقول الحسن حملني خير أهل الأرض ويقول الحسين عليه السلام حملني خير أهل السماء. وفي ذلك يقول حسان بن ثابت:

فجاء وقد ركبا عاتقيه فنعم المطية والراكبان

وروي عن أبي هريرة أن النبيﷺ جلس في المسجد فقال: «أثن لكع» فجاء الحسنعليه السلام يمشي حتى سقط في حجره، فجعل أصابعه في لحية رسول اللهﷺ ففتح رسول اللهﷺ فمه ـ أي فم الحسين ـ فأدخل فاه في فمه، ثم قال: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿قال لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾، قالوا: يا رسول اللهﷺ من قرابتك الذين وجبت علينا صحبتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناها.

وقال عبد الله بن شداد: خرج علينا رسول اللهﷺ في صلاة العشاء وهو حامل حسناً وحسيناً فتقدم النبيﷺ فوضعه ثم كبر للصلاة، فأطال سجدة الصلاة فرفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر رسول اللهﷺ وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي فلما قضى الصلاة قيل: يا رسول اللهﷺ إنك سجدت بين ظهري صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك قال: كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته «أخرجه النسائي».

وقال ابن عباس: كان عمر بن الخطاب يحب الحسن والحسين ويقدمهما على ولده ولقد قسم يوماً فأعطى الحسن والحسين كل واحد منهما عشرة آلاف درهم، وأعطى ولده عبد الله ألف درهم. فعاتبه ولده وقال: قد علمت سبقي في الإسلام وهجرتي، وأنت تفضل علي هذين الغلامين، قال: ويحك يا عبد الله، ائتني بجدٍّ مثل جدهما وأب

مثل أبيهما وأم مثل أمهما وجدة مثل جدتهما وخال مثل خالهما، وخالات مثل خالاتهما وعم مثل عمهما، وعمة مثل عمتهما. جدهما رسول الله ﷺ وأبوهما علي كرم الله وجهه وأمهما فاطمة، وجدتهما خديجة، وخالهما إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وخالاتهما زينب ورقية وأم كلثوم، وعمهما جعفر بن أبي طالب، وعمتهما أم هاني بنت أبي طالب. هذا ما اقتبسناه من كتاب شهيد كربلاء تأليف الأستاذ فهمي عويس رئيس جمعية الإمام الحسين بعين شمس القاهرة.

محبة الرسول إياه

وفي يوم خرج رسول الله من بيت عائشة، فمر على بيت فاطمة فسمع حسيناً يبكي، فمس بكاؤه شغاف قلبه، فهرع إلى فاطمة وقال لها: ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني؟ ودارت عجلة الزمن دورة، ووقف رسول الله ﷺ في مسجده يخطب، وبينا هو يعظ المسلمين، جاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان، فلم يملك رسول الله ﷺ نفسه بل نزل إليهما وأخذهما وعاد إلى المنبر وهو يضمهما إليه، ثم وضعهما في حجره وقال: صدق الله: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾[1].

مكارم أخلاقه عليه السلام وكرمه عليه السلام

كان يجلس المساكين[2] فمر يوماً بمساكين قد بسطوا كساءً لهم

(١) حياة الحسين: عبد الحميد جودة السحار، ص٩ ـ ١٠.
(٢) تفسير العياشي.

وألقوا عليه كسراً فقالوا: هلم يابن رسول الله ﷺ[1] فثنى وركه فأكل معهم ثم تلا ﴿إن الله لا يحب المستكبرين﴾، ثم قال قد أجبتكم فأجيبوني قالوا: نعم يابن رسول الله ﷺ فقاموا معه حتى أتوا منزله فقال للجارية أخرجي ما كنت تدخرين[2].

قال عمرو بن دينار دخل الحسين على أسامة أو أسلمة بن زيد وهو مريض وهو يقول واغماه فقال له الحسين عليه السلام: وما غمك يا أخي؟ قال ديني وهو ستون ألف درهم فقال الحسين عليه السلام هو علي قال إني أخشى أن أموت فقال الحسين عليه السلام لن تموت حتى أقضيها عنك قال فقضاها قبل موته.

وفد أعرابي إلى المدينة فسأل عن أكرم الناس بها فدل على الحسين عليه السلام فدخل المسجد فوجده مصلياً فوقف بإزائه وأنشأ:

لم يخب الآن من رجاك ومن ... حرك من دون بابك الحلقة
أنت جواد وأنت معتمد ... أبوك قد كان قاتل الفسقة
لولا الذي كان من أوائلكم ... كانت علينا الجحيم منطبقة

فسلم الحسين عليه السلام وقال: يا قنبر هل بقي من مال الحجاز شيء؟ وأنشأ:

خذها فإني إليك معتذر ... واعلم بأني إليك ذو شفقة
لو كان في سيرنا الغداة عصا ... أمست سمانا عليك مندفقة
لكن ريب الزمان ذو غير ... والكف مني قليلة النفقة

---

(١) وفي خبر آخر أنه جلس معهم وقال لولا أنه صدقة لأكلت معكم ثم قال قوموا إلى منزلي فأطعمهم وكساهم، فيمكن الجمع بين الروايتين أن الكسر في أحدهما صدقة والآخر غير صدقة.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب.

قال فأخذها الأعرابي وبكى فقال له: لعلك استقللت ما أعطيناك؟ قال: لا ولكن كيف يأكل التراب جودك وهو المروي عن الحسن بن علي.

قال شعيب بن عبد الرحمن الخزاعي كما في المناقب: وجد على ظهر الحسين عليه السلام يوم الطف أثر فسألوا زين العابدين عن ذلك فقال عليه السلام: هذا مما كان ينقل الجراب على ظهره إلى منازل الأرامل واليتامى والمساكين.

إن عبد الرحمن السلمي علم ولد الحسين سورة «الحمد» فلما قرأها على أبيه أعطاه ألف دينار وألف حلة وحشا فاه دراً، فقيل له من ذلك؟ فقال وأين يقع هذا من عطائه يعني تعليمه؟ وأنشد الحسين عليه السلام:

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها على الناس طراً قبل أن تتفلت
فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت ولا البخل يبقيها إذا ما تولت

عن أنس قال كنت عند الحسين عليه السلام فدخلت عليه جارية فحيته بطاقة ريحان فقال لها أنت حرة لوجه الله فقلت تحيتك بطاقة ريحان لا خطر لها فتعتقها قال كذا أدبنا الله قال الله تعالى ﴿إذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾ وكان أحسن منها عتقها.

جنى غلام له جناية توجب العقاب عليه فأمر به أن يضرب فقال: يا مولاي ﴿والكاظمين الغيظ﴾ قال خلوا عنه فقال: يا مولاي ﴿والعافين عن الناس﴾ قال قد عفوت عنك قال: يا مولاي ﴿والله يحب المحسنين﴾ قال أنت حر لوجه الله ولك ضعف ما كنت أعطيك.

إن أعرابياً جاء إلى الحسين بن علي فقال يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله قد ضمنت دية كاملة وعجزت عن أدائها فقلت في نفسي أسأل أكرم الناس وما رأيت أكرم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال الحسين عليه السلام: يا أخا العرب

أسألك عن ثلاث مسائل فإن أجبت عن واحدة فأعطيك ثلث المال وإن أجبت عن اثنتين أعطيتك ثلثي المال وإن أجبت عن الكل أعطيتك الكل فقال الأعرابي: يا بن رسول الله ﷺ أمثلك يسأل مثلي وأنت من أهل العلم والشرف؟ فقال الحسين عليه السلام: بلى سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: «المعروف بقدر المعرفة» فقال الأعرابي سل عما بدا لك فإن أجبت وإلا تعلمت منك ولا قوة إلا بالله فقال الحسين عليه السلام: أي الأعمال أفضل؟ فقال الأعرابي: الإيمان بالله، فقال الحسين: فما النجاة من المهلكة؟ فقال الأعرابي: الثقة بالله فقال الحسين فما يزين الرجل؟ فقال الأعرابي علم معه حلم فقال: فإن أخطأ ذلك فقال: مال معه مروءة فقال: فإن أخطأ ذلك فقال: فقر معه صبر فقال الحسين عليه السلام: فإن أخطأ ذلك فقال الأعرابي فصاعقة تنزل من السماء وتحرقه فإنه أهل لذلك فضحك الحسين عليه السلام ورمى بصرة إليه فيها ألف دينار وأعطاه خاتمه وفيه فص قيمته مائتا درهم وقال يا أعرابي أعط الدنانير في ديتك واصرف الخاتم في نفقتك فأخذ الأعرابي وقال ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ الآية.

حلمه وعفوه عليه السلام

وجنى غلام له جناية[1] توجب العقاب فأمر بضربه فقال: يا مولاي ﴿والكاظمين الغيظ﴾، وقال خلوا عنه، قال يا مولاي: ﴿والعافين عن الناس﴾ قال قد عفوت عنك، قال: يا مولاي ﴿والله يحب المحسنين﴾ قال: أنت حر لوجه الله ولك ضعف ما كنت أعطيك.

---

(١) شهيد كربلاء.

زهده وتقواه عليه السلام

قيل له ما أعظم خوفك من ربك؟ قال عليه السلام: لا يأمن يوم القيامة إلا من خاف الله في الدنيا.

قال عبد الله بن عبيد كما في البحار لقد حج الحسين عليه السلام خمساً وعشرين حجة ماشياً.

عن أنس بن مالك قال سمعته قائلاً في الصلاة:

يا رب يا رب أنت مولاه ... فارحم عبيداً إليك ملجاه
يا ذا المعالي عليك معتمدي ... طوبى لمن كنت أنت مولاه
طوبى لمن كان خائفاً أرقا ... يشكو إلى ذي الجلال بلواه
وما به علة ولا سقم ... أكثر من حبه لمولاه
إذا اشتكى بثه وغصته ... أجابه الله ثم لباه
إذا ابتلاه بالظلام مبتهلاً ... أكرمه الله ثم أدناه

(فنودي)

لبيك لبيك عبدي وأنت في ... كنفي وكل ما قلت قد علمناه
صوتك تشتاقه ملائكتي ... فحسبك الصوت قد سمعناه
دعاؤك عندي يجول في حجب ... فحسبك السر قد سفرناه
لو هبت الريح من جوانبه ... خرّ صريعاً لما تغشاه
سلني بلا رغبة ولا رهب ... ولا حساب إني أنا الله

قيل لعلي بن الحسين عليه السلام: ما أقل ولد أبيك فقال العجب كيف ولدت كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ـ وكتب الأستاذ فهمي عويس في كتابه شهيد كربلاء أكثر من صحيفة في تقاه عليه السلام صحيفة ١٠٥.

كما في كتاب شهيد كربلاء كان رضي الله عنه رأساً في العلم. غزير الرواية، لطيف الدراية حسن البيان، يباري فهمه سمعه، فصيحاً يفعل كلامه بالألباب فعل الشراب ويدخل الآذان بلا استئذان.

وهكذا الولد يتشيم اباه.

فكان الناس يفدون عليه بالمدينة ويقتبسون من نور علمه قبساً فيضيء الطريق للخابط ويوري القبس للقابس.

وكان حسن الحبر والسير، بهي الملبس، نظيف المجلس، عطر الرائحة، فكانوا ينظرون إلى سمته ودله وهديه (هيئته وسكينته ووقاره) فيتذكرون رسول الله صلى الله عليه وآله فيتشبهون به.

وذكر ابن عمر الحسن والحسين رضي الله عنهما. فقال: إنما كانا يغران العلم غراً وحكي أن الحسن والحسين رضي الله عنهما كانا على شط الفرات إذ نظرا إلى شيخ أعرابي خفف الوضوء والصلاة فقالا: لو قلنا له غلطت ربما لا ينقاد إلى الحق فقالا له: نحن شابان وأنت شيخ وربما تكون أعلم منا بأمر الوضوء والصلاة، فنتوضأ ونصلي أمامك. فإن كان عندنا قصور فعلمنا. فتوضآ وصليا كما رأيا من جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله فتاب الشيخ ورجع عن صنيعه كما في أحسن القصص.

قصة أرينب

بات يزيد ليلة مؤرقاً، فقد كان شارد اللب يفكر في أرينب بنت إسحاق، أن عينيه لم تقع عليها، وقلبه لم يخفق لرؤياها، ولكنه خفق لما سمع بجمالها وحسنها الرائع الأخاذ. فلو أن أرينب لم تكن في كنف رجل لبعث في طلبها ولأجزل لها المال حتى ترضى، ولكنها كانت زوجة عبد الله بن سلام، وقد كان والياً من ولاتهم بالعراق. وفتن يزيد بأرينب، فكان إذا خلا بنفسه يهيم في عوالم الخيال فيزداد شغفاً بأرينب التي خلفها لنفسه بنفسه حتى بان فيه الكسل والكدر فأحس رقيق وصيف معاوية أن يزيد في ضيق، فسأله من السبب في ذلك قال يزيد تحدث الناس بجمال أرينب بنت إسحاق، فوقع مني بموقع الهوى فيها، فلم يزل ما وقع في خلدي ينمو ويعظم في صدري حتى عيل صبري.

وطأطأ رقيق بصره، وجعل فكره يعمل فلم يجد خيراً من مفاتحة معاوية في الأمر، فيزيد يتألم في صمت، ومعاوية لا يشعر بما يحس به ابنه الحبيب من كرب، فنهض وتوجه في سكون الليل نحو سدة معاوية وكان غير محجوب عنه، ولا محبوس دونه، فلما وقع بصر معاوية على رقيق علم أنه ما جاء به في هجعة الليل إلا أمر، فقال معاوية: ما وراءك ما جاء بك؟

قال الرقيق أصلح الله أمرك: إن يزيد يقاسي من وجده وكاد أن يقضي عليه جافاه النوم وأضحى حليف السهاد.

وأحس معاوية قلقاً، فإنه يحب ابنه حتى أنه تخطى الناس كلهم في تقديمه ونصبه إماماً على أصحاب رسول الله وهو موقن أن فيهم من

يفضله، فقال في لهفة: ائتوني به فبعث إليه، فلما جاءه الرسول قال أجب والدك معاوية فأقبل يزيد حتى دخل على أبيه ثم جلس، فقال معاوية: ماذا بك يا بني؟ فبث له شأنه فأطرق معاوية وقد بان في وجهه الهم ثم قال: مهلًا يا يزيد. اكتم يا بني أمرك فإن البوح به غير نافعك والله بالغ أمره، ولا بد مما هو كائن. ووقع أمر يزيد بن معاوية موقعاً ملأه هماً، وأوسعه غماً، فأخذ في الحيلة والنظر، فبيت النية على اتباع أساليب الغدر، والخداع، ولطالما اتبعهما حتى بلغ مأربه.

كتب إلى عبد الله بن سلام: (أقبل حين تنظر في كتابي هذا لأمر حظك فيه كامل ولا تتأخر عنه). فأعد عبد الله بن سلام عدته وانطلق من العراق إلى الشام تتخايل له الأماني والآمال.

ودخل على معاوية فأكرمه وبالغ في تكريمه، وأعد له منزلاً فخماً ونقله إليه، وجلس معاوية إلى أبي الدرداء وأبي هريرة وقال لهما إن ابنتي قد كبرت وأريد تزويجها. وقد رضيت عبد الله بن سلام لدينه وشرفه وفضله وأدبه. وقد كنت جعلت لها في نفسها شورى، ولكن أرجو أن لا تخرج عن رأيي إن شاء الله تعالى.

فخرجا من عنده متوجهين إلى منزل عبد الله بن سلام، ودخل معاوية على ابنته فقال لها: إذا دخل عليك أبو الدرداء وأبو هريرة فعرضا عليك عبد الله بن سلام وإنكاحي إياك منه، وحثاك على المسارعة إلى إرضائي فقولي لهما: عبد الله بن سلام كفء كريم. غير أن تحته أرينب بنت إسحاق، وأنا خائفة أن يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنساء ولست بفاعلة حتى يفارقها.

ووصل أبو الدرداء وأبو هريرة إلى عبد الله بن سلام فأعلماه بما

قال لهما معاوية. فسر وفرح، وردهما خاطبين عنه. فلما مثلا بين يدي معاوية قال: إني كنت قد أعلمتكما أني جعلت لها في نفسها شورى، فادخلا عليها وأعلماها بما رأيت لها.

جلست بنت معاوية وقد طأطأت رأسها وقالت في صوت خفيض عبد الله ابن سلام كفء كريم، وأنا خائفة أن يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنساء فأتولى منه ما أسخط الله فيه، فيعذبني عليه فأفارق الرجاء وأستشعر الأذى، ولست بفاعلة حتى يفارقها.

وانطلق أبو هريرة وأبو الدرداء إلى ابن سلام وأبلغاه ما قالته ابنة معاوية، فعلم أنه لا يحول بينه وبينها إلا أرينب، ففارق زوجته وأشهدهما على طلاقها وبعثهما خاطبين أيضاً. وبات عبد الله بن سلام يرقب سفارتهما بنافد الصبر فإنه ليطمع في أن تتوثق بينه وبين معاوية الأسباب ودخلا على معاوية فتهلل وجهه، فقد زالت العقبة، وقال أبو الدرداء فارق عبد الله امرأته طلباً لما يرضي ابنتك، وخروجاً عما يشجيها.

فأحس معاوية بنشوة تشيع في نفسه، ولكنه تظاهر بالعبوس والتقطب، وقال في إنكار: ما أحسن له طلاق امرأته ولا أجبته، ولو صبر ولم يعجل لكان أمره إلى مصيره.

ونظر إليهما وقال انصرفا في عافية ثم تعودا إلينا فيه وتأخذان إن شاء الله رضانا.

وكتب إلى ابنه يزف إليه خبر ما كان من طلاق عبد الله بن سلام لأرينب.

وعاد بعد ذلك أبو الدرداء وأبو هريرة إلى معاوية فأمرهما

بالدخول عليها وقال لم يكن لي أن أكرهها وقد جعلت لها الشورى في نفسها، فدخلا عليها وعلماها بطلاق عبد الله بن سلام ليسرها ذلك وانتظرا موافقتها ولكنها قالت: جف القلم بما هو كائن، ولا أنكر شرفه وفضله، وإني سائلة عنه حتى أعرف دخيلة خبره ولا قوة إلا بالله.

فإن يك صدر هذا اليوم ولى فإن غداً لناظره قريب

وذاع خبر طلاق عبد الله بن سلام وخطبته ابنة معاوية، وانتظر الناس يوم الزواج.

فقلق ابن سلام واسحتت أبا الدرداء وأبا هريرة فدخلا على ابنة معاوية فقالا لها: لقد أتيناك فما أنت صانعة في أمرك، وأن تستخيري الله يخر لك فيما تختارين، فإنه يهدي من استهداه ويعطي من اجتزاه القادرين.

فقالت إني استبرأت أمره وسألت عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسي.

وعلم عبد الله بن سلام أنه خدع، فهلع واشتد هلعه، وطال جزعه، ولكن ما يجدي الخدع فقد خاب أمله، وطاش سهمه، وفقد درة غالية لطمعه، خدعه معاوية ولطالما خدع أناساً قبله.

وراح عبد الله بن سلام يتحدث عن خدعة معاوية، ويخوض فيه.

ووجه معاوية أبا الدرداء إلى العراق خاطباً لأرينب على ابنه يزيد فخرج حتى قدمها وبها الحسين بن علي عليه السلام فلما علم بوجوده قال ما ينبغي لذي عقل أن يبدأ بشيء قبل زيارة الحسين سيد شباب أهل الجنة إذا دخل موضعاً هو فيه.

فقصد حتى أتى الحسين، فلما رآه الحسين قام إليه وصافحه إجلالاً له ثم قال: مرحباً بصاحب رسول الله ﷺ. وجليسه ففاضت عينا أبي الدرداء لذكر رسول الله ﷺ وقال: جزى الله لبانة أقدمتنا عليك وجمعتنا بك خيراً. والله إني لذي حرص عليك ولقد كنت باشتياق إليك.

وقد وجهني معاوية خاطباً على ابنه يزيد أرينب بنت إسحاق، فرأيت أن لا أبدأ بشيء قبل إحداث العهد بك والتسليم عليك.

قال الحسين عليه السلام كنت ذكرت نكاحها، وأردت الإرسال إليها بعد انقضاء اقرائها، فلم يمنعني من ذلك إلا تخيير أمثالك، فقد أتى الله بك فاخطب رحمك الله علي وعليه فلتختر من اختاره الله لها، وأنها أمانة في عنقك حتى تؤديها إليها، وأعطاها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه.

قال أفعل إن شاء الله، وخرج أبو الدرداء ليخطب على حفيد الرسول وحفيد أبي سفيان فلما دخل على أرينب وقال: كان مما سبق لك وقدر عليك الذي كان من فراق عبد الله بن سلام إياك ولعل ذلك لا يضرك، وأن يجعل الله لك فيه خيراً كثيراً.

وقد خطبك أمير هذه الأمة وابن الملك وولي عهده يزيد بن معاوية وابن بنت رسول الله ﷺ وابن أول من آمن به من أمته، وسيد شباب أهل الجنة يوم القيامة، وقد بلغك سناهما وفضلهما، وجئتك خاطباً عليهما فاختاري أيهما شئت. فسكتت طويلاً ثم قالت: يا أبا الدرداء، لو أن هذا الأمر جاءني وأنت غائب عني أشخصت فيه الرسل إليك واتبعت رأيك ولم أقطعه دونك على بعد مكانك ونأي

دارك، فأما إذا كنت المرسل فيه فقد فوضت أمري بعد الله إليك، فاختر لي أرضاهما لديك، فليس أمرهما عليك خافياً.

قال: أيتها المرأة إنما علي إعلامك، وعليك الاختيار لنفسك قالت عفا الله عنك، إنما أنا بنت أخيك ومن لا غنى بها عنك فأطرق أبو الدرداء قليلاً ثم قال: أي بنية، ابن بنت رسول الله ﷺ أحب إلي وأرضاهما عندي، والله أعلم بخيرهما لك وقد كنت رأيت رسول الله ﷺ واضعاً شفتيه على شفتي الحسين عليه السلام فضعي شفتيك حيث وضعهما رسول الله.

قالت قد أخرته ورضيته.

وتزوج الحسين من أرينب، فحنق عليه معاوية، وازداد حقد يزيد له، فقد حرمه الحسين عليه السلام من أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر.

وساء حال عبد الله بن سلام، وقل ما في يده، فتذكر أنه ترك عند أرينب قبل فراقه إياها بدرات مملوءة درراً، فخرج إلى العراق وفكر في أن يأتي أرينب يطلب ماله، ولكنه خشي جحوده عليه لسوء فعله بها، وطلاقه إياها على غير شيء أنكره، وتصبر وانتظر، واشتدت حاجته إلى المال فقابل الحسين وقال له قد علمت جعلت فداك الذي كان من قضاء الله في طلاق أرينب بنت إسحاق، وكنت قبل فراقي إياها قد استودعتها مالاً عظيماً، وكان الذي كان ولم أقبضه، ولا أظن بها إلا جميلاً، فذاكرها أمري، وأحضضها على الرد علي، فإن الله يحسن عليك ذكرك ويجزل به أجرك.

وانصرف الحسين عليه السلام إلى أهله فقال لأرينب: قدم عبد الله بن سلام، فظهر على أرينب ارتباك مشوب باهتمام، ولم يفت الحسين عليه السلام ما اعتراها فقال: وهو يحسن الثناء عليك.

ثم ذكر أنه كان استودعك مالاً قبل فراقه إياك فأدي إليه أمانته وردي عليه ماله، فقالت أرينب: صدق والله استودعني مالاً لا أدري ما هو، وإنه لمطبوع عليه بطابعه ما أخذ منه شيء إلى يومه هذا.

ثم خرج الحسين عليه السلام ولقي عبد الله بن سلام فقال له ما أنكرت مالك واعترفت بذلك فادخل يا هذا عليها وتوف مالك منها. قال عبد الله أو تأمر بدفعه إلي جعلت فداك؟ قال الحسين عليه السلام لا حتى تقبضه منها كما دفعته إليها وتبرئها منه إذا أدته.

وتقدم الحسين وعبد الله بن سلام، ثم قال الحسين عليه السلام لأرينب: هذا عبد الله قد جاء يطلب وديعته، فأديها إليه كما قبضتيها منه.

فانطلقت أرينب مضطربة الخطى وأخرجت البدرات وقد لاح في وجهها الأسى والحزن.

وظهر على وجه عبد الله ما يصطرع في جوفه من انفعالات، ولمح الحسين عليه السلام ما يقاسيانه من وجد، ووضعت البدرات بين يديه وقالت: هذا مالك، ففض عبد الله خاتم بدرة فحثا لها من ذلك الدر حثوات وقال في رقة: خذي فهذا قليل مني لك.

ولم يقدرا أن يستمسكا، فاستعبرا حتى تعالت أصواتهما بالبكاء فرق لهما قلب الحسين عليه السلام وقال: أشهد الله أنها طالق، اللهم إنك تعلم أني لم أستنكحها رغبة في مالها ولا جمالها، ولكني أردت إحلالها لبعلها.

فانتشرت الغبطة في صدر عبد الله، ورفرف على الحبيبين أمن، وأراد أن يرد إليه بعض ما ساقه إليها من المهر العظيم فأبى وقال: الذي أرجوه عليه من الثواب خير لي منه.

الحسين عليه السلام لا يبايع يزيد

جاء في حياة الحسين عليه السلام تأليف الأستاذ عبد الحميد جودة السحار ص ٥٥ مات الحسن عليه السلام، فقويت في نفس معاوية فكرة استخلاف يزيد، ورأى أنه لو طوى الهاشميين لكان الأمر أهون، ففكر وأمعن التفكير فاهتدى إلى أنه لو زوج ابنه منهم لضمهم إليه، ولقضى بالمصاهرة على أحقاد السنين، فكتب إلى مروان بن الحكم وهو والي المدينة. (أما بعد، فإن أمير المؤمنين أحب أن يرد الألفة ويسل السخيمة ويصل الرحم، فإذا وصل إليك كتابي فاخطب إلى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم على يزيد ابن أمير المؤمنين، وارغب له في الصداق).

كان معاوية يبغي من ذلك أن يرضي عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس والحسين بن علي فأم كلثوم ابنة زينب بنت علي، فلو ارتبطت بينه وبين حفيدة الإمام الأسباب، لرضي رؤساء بني هاشم ونامت الفتن واستلت الأحقاد.

وذهب مروان إلى عبد الله بن جعفر فقرأ عليه كتاب معاوية، وأعلمه بما في رد الألفة من صلاح ذات البين، واجتماع الدعوة، فقال عبد الله إن خالها الحسين بينبع وليس ممن يفات عليه بأمر، فانظرني إلى أن يقدم.

وقدم الحسين فذكر له ذلك عبد الله بن جعفر، فقام من عنده فدخل إلى أم كلثوم، فقال: يا بنية، إن ابن عمك القاسم بن محمد بن جعفر أحق بك.

وحضر مروان فذكر معاوية، وما قصده من صلة الرحم وجمع الكلمة، فتكلم الحسين فزوجها من القاسم، فما كان يقبل يزيد للناس أفيقبله لابنة زينب؟

فغضب مروان وقال في ثورة:

أغدراً يا حسين؟

وغضب معاوية لرفض الحسين هذه الزيجة، فأراد أن يمحو ما حاق به من إخفاق فبايع ليزيد بالشام وكتب بيعته إلى الآفاق وكتب إلى مروان يأمره بجمع من قبله من قريش وغيرهم من أهل المدينة، فلما قرأ مروان كتاب معاوية أبى عن ذلك وأبته قريش فقد كان مروان يطمع فيها لنفسه، فكتب لمعاوية: (إن قومك قد أبوا إجابتك إلى بيعتك ابنك فأرني رأيك).

فكتب إليه يأمره أن يعتزل عمله ويخبره أنه قد ولى المدينة سعيد بن العاص، وكتب إلى سعيد يأمره أن يدعو أهل المدينة إلى البيعة ويكتب إليه بمن سارع وبمن لم يسارع. فلما أتى سعيد بن العاص الكتاب دعا الناس إلى البيعة ليزيد، وأظهر الغلظة وأخذهم بالعزم والشدة وسطا بكل من أبطأ عن ذلك.

فأبطأ الناس منها إلا اليسير، لا سيما بني هاشم فإنه لم يجبه منهم أحد، فكتب سعيد بن العاص إلى معاوية: (أما بعد، فإنك أمرتني أن أدعو الناس لبيعة يزيد ابن أمير المؤمنين، وإني أكتب إليك بمن سارع وبمن أبطأ، وإني أخبرك أن الناس عن ذلك بطاء لا سيما أهل البيت من بني هاشم فإنه لم يجبني منهم أحد، وبلغني عنهم ما أكره، وأما الذي جاهر بعداوته وإبائه لهذا الأمر فعبد الله بن الزبير، ولست

أقوى عليهم إلا بالخيل والرجال، أو تقدم بنفسك فترى رأيك في ذلك والسلام).

فكتب معاوية إليه: (أما بعد فقد أتاني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من إبطاء الناس عن البيعة ولا سيما بني هاشم وما ذكر ابن الزبير وقد كتب إلى رؤسائهم كتباً فسلمها إليهم وتنجز أجوبتها، وابعث بها إلي حتى أرى في ذلك رأيي، ولتشد عزيمتك، ولتصلب شكيمتك وتحسن نيتك، وعليك بالرفق وإياك والخرق فإن الرفق رشد، والخرق نكد.

وانظر حسيناً خاصة فلا يناله منك مكروه ـ فإن له قرابة وحقاً عظيماً، لا ينكره مسلم ولا مسلمة، وهو ليث عرين ولست آمنك إن شاورته أن لا تقوى عليه، فأما من يرد مع السباع إذا وردت، ويكنس إذا كنست، فذلك عبد الله بن الزبير فاحذره أشد الحذر ولا قوة إلا بالله، وأنا قادم عليك والسلام).

وسلم سعيد كتب معاوية إلى عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر والحسين ابن علي.

وكتب إلى الحسين: (أما بعد، فقد انتهت إلي منك أمور لم أكن أظن بها رغبة عنها، وإن أحق الناس بالوفاء لمن أعطى بيعته من كان مثلك في خطرك وشرفك ومنزلتك التي أنزلك الله بها، فلا تنازع إلى قطيعتك واتق الله ولا تردن هذه الأمة في فتنة، وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون).

فكتب إليه الحسين عليه السلام: (أما بعد، فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عني أمور، ولم تكن تظنني بها رغبة بي عنها، وإن الحسنات

لا يهدي لها ولا يسدد إليها إلا الله تعالى، وأما ما ذكرت أنه رقى إليك عني فإنما رقاه الملاقون المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الجمع. وكذب الغاوون المارقون، وإني ما أردت حرباً ولا خلافاً، وإني لأخشى الله في ترك ذلك منك ومن حزبك القاسطين المحلين، حزب الظلم وأعوان الشيطان الرجيم، ألست قاتل حجر وأصحابه العابدين الذين كانوا يستفظعون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فقتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكدة جرأة على الله واستخفافاً بعهده؟ أولست بقاتل عمرو بن الحمق الذي أخلقت وأبلت وجهه العبادة فقتلته من بعد ما أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم نزلت من سقف الجبال؟ أولست المدعي زياداً في الإسلام فزعمت أنه ابن أبي سفيان، وقد قضى رسول الله ﷺ أن الولد للفراش وللعاهر الحجر، ثم سلطته على أهل الإسلام يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ويصلبهم على جذوع النخل؟ سبحان الله يا معاوية لكأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك. أولست قاتل الحضرمي الذي كتب إليه فيه زياد أنه على دين علي كرم الله وجهه، ودين علي هو دين ابن عمه ﷺ الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين، رحلة الشتاء ورحلة الصيف، فوضعها الله عنكم بنا منة عليكم. وقلت فيما قلت لا ترد هذه الأمة في فتنة، وإني لا أعلم لها فتنة أعظم من إمارتك عليها، وقلت انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد ﷺ وإني والله ما أعرف أفضل من جهادك، فإن أفعل فإنه قربة إلى ربي، وإن لم أفعله فأستغفر الله لديني وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى. وقلت فيما

قلت، متى تكدني أكدك، فكدني يا معاوية فيما بدا لك، فلعمري لقديماً يكاد الصالحون، وإني لأرجو أن لا تضر إلا نفسك، ولا تمحق إلا عملك فكدني ما بدا لك، واتق الله يا معاوية، واعلم أن لله كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها واعلم أن الله ليس بناس لك قتلك بالظنة وأخذك بالنهمة، وإمارتك صبياً يشرب الشراب ويلعب بالكلاب ما أراك إلا وقد أبقت نفسك، وأهلكت دينك، وأضعت الرعية والسلام).

كتب معاوية في وصيته لابنه يزيد يا بني إني قد وطأت لك البلاد وذللت لك العباد ولست أخشى عليك إلا من أربعة رجال، فإنهم لا يبايعونك وينازعونك في هذا الأمر، أولهم عبد الرحمن بن أبي بكر فإنه صاحب دنيا فمده بدنياه ودعه وما يريد يصيِر لا لك ولا عليك، والثاني عبد الله بن عمرو فإنه صاحب قرآن ومحراب، وقد تخلى عن الدنيا ورغب في الآخرة ولا أظنه ينازعك في هذا الأمر ولا يريده، والثالث عبد الله بن الزبير سيراوغك مراوغة الثعلب، ويجثو لك جثوة الأسد، فإن حاربك فحاربه، وإن سالمك فسالمه وإن أشار عليك فاقبل منه مشورته، والرابع الحسين بن علي عليه السلام فإن الناس تدعوه حتى يخرج عليك فإن ظفرت به فاحفظ قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله.

مات معاوية وكتب يزيد إلى ولاته بالأمصار أن يأخذوا البيعة له وكتب إلى عامله بالمدينة في صحيفة كأنها أذن فارة (أما بعد، فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة).

وبعث بالصحيفة مع الرسول إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان

عامله على المدينة.

فنادى الوليد بن عتبة عبيد الله بن عمرو بن عثمان وهو غلام حدث وطلب منه أن ينطلق إلى المسجد ليدعو الحسين عليه السلام وابن الزبير فخرج الغلام حتى أتى المسجد فألقاهما جالسين فأتاهما فقال لهما: أجيبا الأمير فإنه يدعوكما، فالتفت كل من الحسين وابن الزبير إلى الآخر، وقد بان في وجهه التساؤل، فإن الغلام أتاهما في ساعة كان الوليد يجلس فيها للناس ولا يأتيان في مثلها، فالتفت ابن الزبير إلى الغلام وقال: انصرف الآن نأتيه.

ثم أقبل أحدهما على الآخر، فقال ابن الزبير للحسين عليه السلام أظن أن طاغيتهم قد هلك فبعث إلينا في مثل هذه الساعة ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشو في الناس الخبر وقال الحسين عليه السلام ما أظن غيره.

وسكت ابن الزبير برهة وقال يا حسين فما تريد أن تصنع؟ قال عليه السلام أجمع فتياني الساعة، ثم أسير إليه، فإذا بلغت الباب احتبستهم عليه ثم دخلت عليه، قال ابن الزبير إني أخافه عليك إذا دخلت.

فقال الحسين عليه السلام في ثقة: لا آتيه إلا وأنا على الامتناع قادر وجمع الحسين عليه السلام إليه مواليه وأهل بيته ـ وكانوا ثلاثين رجلاً ـ وأمرهم بحمل السلاح ثم أقبل يمشي حتى انتهى إلى باب الوليد وقال لأصحابه إني داخل، فإن دعوتكم أو سمعتم صوتي قد علا، فادخلوا علي بأجمعكم، وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم.

فدخل الحسين عليه السلام فلقي الوليد ومروان جالسين، وجاء الحسين عليه السلام حتى جلس فأقرأه الوليد الكتاب، ونعى له معاوية ودعاه إلى البيعة فقال الحسين عليه السلام إنا لله وإنا إليه راجعون، إنها لمصيبة عظيمة

ولنا فيها شغل عن البيعة.

فقال الوليد: لا بد من ذلك، قال الحسين عليه السلام إن مثلي لا يبايع سراً ولا أراك تجتزئ بها مني سراً دون أن تظهرها على رؤوس الناس علانية فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمراً واحداً.

وكان الوليد رجلاً يحسب العواقب فقال له: انصرف يا أبا عبد الله وأتنا غداً مع الناس فلم يستطع مروان عدو بني هاشم أن يكبت عواطفه فقال للوليد: إن فاتك الثعلب لم تر إلا غباراً فاحذر أن يخرج حتى يبايعك أو فاضرب عنقه.

فوثب عند ذلك الحسين عليه السلام وقال: يا بن الزرقاء أنت تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت.

ثم التفت إلى الوليد وقال: أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق والفجور ومثلي لا يبايع مثله. ولكن غداً نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أينا أحق بالخلافة والبيعة هنا هجم فتيانه فخرج معهم.

ثم قام من عندهما وانطلق مع أصحابه إلى منزله.

فقال مروان للوليد: عصيتني وخالفت أمري والله لا قدرت على مثلها أبداً.

وقال الوليد: يا مروان إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني، والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وإني قتلت حسيناً. لو قال لا أبايع والله إني لا أظن امرءاً

يحاسب بدم الحسين لتخفيف الميزان عند الله يوم القيامة.

فقال مروان متهكماً: فإذا كان هذا رأيك فقد أصبت فيما صنعت.

خروج الحسين عليه السلام من المدينة:

لما خرج الحسين عليه السلام من عند الوليد دخل داره يفكر ويدبر أمره وأهمه فكره فما يستطيع أن يبايع ليزيد، فلو بايع له لأقر الفسق والجور وثبت دعائم الظلم والطغيان، ومكن للباطل. وما كان الحسين ليرضى أن يحيد عن الجادة وإن كان في ذلك تشريده وتشريد أهله أو هلاكه وهلاك ناصريه.

وقوي عزمه على القيام ضد السلطان الجائر يزيد بن معاوية ولكن ذكر سيرة جده العظيم أنه فر بدينه من مكة من وجه أبي سفيان واضطهاده، وتحصن بالمدينة حتى إذا ما اشتد ساعده محق حزب أبي سفيان فعمل بسيرة جدِّه وفر بدينه من وجه يزيد وأتباعه ولاذ بمكة المكرمة حتى إذا ما سنحت له الفرصة قام ضد الجور والطغيان.

وبات تلك الليلة على نية الخروج إلى مكة، وكان في مقدوره أن يخرج وحده وكان أسهل وأيسر للفرار من وجه أعوان يزيد، ولكنه خشي إن خرج وحده أن ينكل عامل يزيد بأهله وهو يعلم حقد بني أمية الموروث لبني هاشم، فعزم على أن يخرج بأهله جميعاً لينجيهم اضطهاد الأمويين، وخرج إلى أهله يأمرهم بالتأهب للرحيل، فتأهب أبناؤه وأبناء الحسن عليه السلام وإخوته وجل أهل بيته ومواليه، وجاء إليه محمد بن الحنفية وقال له يا أخي: أنت أحب الناس إلي وأعزهم علي،

ولست أدخر النصيحة لأحد من الخلق أحق بها منك، تنح بتبعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت ثم ابعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك فإن بايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك، ولا تذهب به مروءتك ولا فضلك إني أخاف أن تدخل مصراً من هذه الأمصار وتأتي جماعة من الناس فيختلفون فيما بينهم، فمنهم طائفة معك وأخرى عليك فيقتتلون فتكون لأول الأسنة فإذا خيرت هذه الأمة كلها نفيا أبا وأما أُضيعها وأُذلها أهلا. فقال له الحسين عليه السلام فأين أذهب يا أخي؟ قال: وإن كنت ذاهباً فاذهب إلى مكة فإن اطمأنت بك الدار فسيل ذلك وإن تكن الأخرى خرجت إلى بلاد اليمن فإنهم أنصار جدك وأبيك وهم أرأف الناس وأرقهم قلوباً وأوسع الناس بلاداً فإن اطمأنت بك الدار وإلا لحقت بالرمال والجبال، وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس ونعرف عند ذلك الرأي.

قال الحسين عليه السلام يا أخي والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية... فقطع محمد بن الحنفية كلامه وبكيا ثم قال الحسين عليه السلام: يا أخي فقد نصحت فأشفقت، وأرجو أن يكون رأيك سديداً موفقاً وأنا عازم على الخروج إلى مكة، وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي أمرهم أمري ورأيهم رأيي. وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة، فتكون لي عيناً عليهم لا تخفي عني شيئاً من أمورهم... ثم دعا بدواة وبياض، وكتب هذه الوصية لأخيه محمد:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب

إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية. . . إن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله؛ جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين وهذه وصيّتي يا أخي إليك، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، ثم طوى الكتاب وختمه بخاتمه، ثم دفعه إلى أخيه محمد.

وتجهز الحسين عليه السلام للخروج، فدخل قبر الرسول ليودعه قبل الرحيل، فبان في وجهه الأسى العميق وغامت عيناه بالدموع، وقال وهو يشرق بعبراته:

بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله لقد خرجت من جوارك كرهاً، وفرق بيني وبينك، وأخذت قهراً أن أبايع يزيد شارب الخمور وراكب الفجور وإن فعلت كفرت، وإن أبيت قتلت. فها أنا خارج من جوارك كرهاً[1].

ثم قال: السلام عليك يا رسول الله، أنا الحسين بن فاطمة، فرخك وابن فرختك، وسبطك الذي خلفتني أمتك، فاشهد عليهم يا نبي الله أنهم قد خذلوني وضيعوني ولم يحفظوني، وهذه شكواي إليك

(١) كتاب شهيد كربلاء.

حتى ألقاك... ثم قام فصف قدميه فلم يزل راكعاً وساجداً... فلما كانت الليلة الثانية خرج إلى القبر أيضاً وصلى ركعات. فلما فرغ من صلاته جعل يقول: اللهم هذا قبر نبيك محمد، وأنا ابن بنت نبيك وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم إني أحب المعروف، وأنكر المنكر. وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق القبر ومن فيه إلا اخترت لي ما هو لك رضا ولرسولك رضا.

وإذا سرقته عينه ودب في أجفانه دبيب النعاس... فرأى رسول الله ﷺ قد أقبل عليه حتى ضمه إلى صدره، وقبّل بين عينيه وقال: حبيبي يا حسين كأني أراك عن قريب مرملاً بدمائك مذبوحاً من القفا بأرض كرب وبلاء على يد عصابة من أمتي. وأنت مع ذلك عطشان لا تسقى، وظمآن لا تروى، وهم مع ذلك يرجون شفاعتي، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة... حبيبي يا حسين إن أباك وأمك وأخاك قدموا علي وهم مشتاقون إليك وإن لك في الجنان لدرجات لن تنالها إلا بالشهادة... فجعل الحسين عليه السلام في منامه ـ ينظر إلى جده ويقول: يا جداه لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا، فخذني إليك وأدخلني معك في قبرك، فقال له رسول الله لا بد لك من الرجوع إلى الدنيا حتى ترزق الشهادة، وما قد كتب الله لك فيها من الثواب العظيم، فإنك وأباك وأخاك وعمك وعم أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة.

فانتبه الحسين من نومه فزعاً... ثم قص رؤياه على أهل بيته وبني عبد المطلب، فلم يكن في ذلك اليوم أحد أشد غماً من آل بيت رسول الله ﷺ.

حسر الصبح عن وجهه نقاب الظلام. فخرج الحسين يتسمع الأخبار فلقيه مروان. فقال: يا أبا عبد الله إني لك ناصح فأطعني ترشد. فقال الحسين عليه السلام: وما ذاك قل حتى أسمع؟ فقال مروان: إني آمرك ببيعة يزيد بن معاوية فإنه خير لك في دينك ودنياك.

فقال الحسين عليه السلام: إنا لله وإنا إليه راجعون وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد.

ولقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «الخلافة محرمة على آل أبي سفيان»... وطال الحديث بينهما حتى انصرف مروان وهو غضبان.

وهاجر الحسين من مدينة جده لثلاث مضين من شعبان سنة ستين، فخرج منها خائفاً يترقب، قال:

رب نجني من القوم الظالمين وركب الحسين الجادة العظمى، فخاف عليه أهل بيته خوفاً شديداً، فما يفعلون إذا ما داهمهم أعوان يزيد، أيدعون الحسين يقع غنيمة باردة في أيديهم؟ كلا فما كانوا ليتخلوا عنه وإن بادوا عن بكرة أبيهم، فقد كان الحسين عليه السلام حبيب قلوبهم بل كان الروح التي تسري في أبدانهم، ولولا حبهم الشديد له وتعلقهم به ما تركوا جميعاً ديارهم الآمنة ليخرجوا معه لا يدرون ما يخبئه لهم الغد من أحداث، وما قد ينزل بهم من متاعب وأهوال، واستخفوا بالمخاطر، وركبوا الصعاب إرضاء للحسين الحبيب، وقد خرجوا جميعاً راضي النفوس، فهم على يقين من أن الحسين ما غضب إلا لله، وما ثار إلا لإعلاء كلمة الحق.

كانوا جميعاً يخافون عليه فقالوا له: لو سلكت الطريق الأقرع

لكان أصلح فقال: أتخافون الطلب. أجل أخاف أن أحيد حذر الموت[1]

إذا المرء لا يحمي بنيه وعرضه وعترته كان اللئيم المسيبا
ومن دون ما يبغي يزيد بنا غدا نخوض بحار الموت شرقاً ومغربا
ونضرب ضرباً كالحريق مقدماً إذا ما رآه ضيغم فر مهربا

واستمر منطلقاً حتى قابل عبد الله بن مطيع القرشي فقال له عبد الله جعلت فداك إني أنصحك إذا دخلت مكة فلا تبرحن منها. فهي حرم الله والأمان للناس، فأقم فيها وتألف أهلها، وخذ البيعة على كل من دخلها من الناس، وعدهم العدل وارفع الجور عنهم، وأقم فيها خطباء تخطب وتذكر على المنابر شرفك وتشرح فضلك، ويخبرونهم بأن جدك رسول الله ﷺ وأباك علي ابن أبي طالب وأنك أولى بهذا الأمر من غيرك، وإياك أن تذكر الكوفة فإنها بلد مشؤوم قتل فيها أبوك ولا تبرح من حرم الله تعالى فإن معك أهل الحجاز واليمن كلها.

وسيقدم إليك الناس من الآفاق وينصرفون إلى أمصارهم، وادعهم إلى بيعتك، فاقبل نصيحتي وسر مسدداً، فوالله إن فعلت لترشدن.

قال الحسين عليه السلام جزاك الله عني كل خير، فإني قابل نصيحتك ومضى حتى إذا ما لاحت له أرض مكة، نظر إلى السماء وقال في ابتهال:

«اللهم خذ لي بحقي، وقر عيني، رب اهدني سواء السبيل» وهبط الحسين مكة، البلدة التي يأمن فيها أو مستجيراً بحرم الله ممن يريدون أخذه بالشدة لمبايعة يزيد، وبقي عاكفاً بأم القرى لا يدعو الناس لبيعته، فما هاجر طلباً للسلطان بل هاجر فراراً من الظلم والطغيان

---

(١) حياة الحسين: عبد الحميد جودة السحار، صحيفة ٨٤.

فما كان ليرضى أن يمالئ في دينه، وما كان ليقبل أن يبايع لمثل يزيد ليتحكم في رقاب المسلمين.

وذاع في مكة أن الحسين عليه السلام لم يبايع ليزيد، وانتشر في الأمصار أن ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لائذ ببيت الله الحرام ممن يريدون أن يرغموه على البيعة كرهاً، فمالت قلوب الناس إليه، وبذرت في الصدور بذور المقت لبني أمية وأعوانهم.

كتاب أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام

فلما بلغ أهل الكوفة وقادة معاوية، وامتناع الحسين عليه السلام من البيعة ليزيد، امتنعوا عن مبايعة يزيد، واجتمع الرجال عند سليمان بن صرد فقالوا نكتب إلى الحسين عليه السلام فقال لهم سليمان يا معشر الناس، إن معاوية قد هلك وقد امتنع الحسين عليه السلام من البيعة ونحن شيعته وأنصاره فإن كنتم تعلمون أنكم تنصرونه وتجاهدون بين يديه فافعلوا، وإن خفتم الوهن والتخاذل فلا تغروا الرجل. قالوا بل نقاتل عدوه قال لهم إذاً اكتبوا على اسم الله فكتبوا إليه. وأرسلوا وفداً على رأسهم أبو عبد الله الجدلي بالكتاب الآتي.

«بسم الله الرحمن الرحيم: إلى الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام من سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجية، ورفاعة بن شداد البجلي وحبيب بن مظاهر الأسدي وعبد الله بن وال وشيعته من المسلمين والمؤمنين وسلام عليك ورحمة الله وبركاته، أما بعد، فإنا نحمد الله الذي لا إله إلا هو ونصلي على محمد وآل محمد، واعلم يا بن محمد المصطفى وابن علي المرتضى، أن ليس لنا إمام غيرك، فاقدم إلينا، لنا ما لك

وعليك ما علينا، فلعل الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى. واعلم أنك تقدم على جنود مجندة، وأنهار متدفقة، وعيون جارية، وإن لم تقدم على ذلك فابعث إلينا أحداً من أهل بيتك يحكم بيننا بحكم الله تعالى وسنة جدك رسول الله ﷺ، واعلم أن النعمان بن بشير في قصر الإمارة ولسنا نشهد معه جمعه ولا جماعته، ولو أنك أقبلت إلينا لكنا أخرجناه إلى الشام والسلام».

وبعثوا الكتاب مع رسولين فخرجا مسرعين حتى قدما على الحسين عليه السلام ومعهما خمسون صحيفة، وما انقضى يومان حتى وصل إليه كتاب آخر فيه[1]:

«بسم الله الرحمن الرحيم: إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، أما بعد، فإنه لا إمام غيرك لنا، يا بن رسول الله العجل العجل». وما انقضى يومان آخران حتى بلغه آخر فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم: قد أينعت الثمار، فاقدم إلينا يا بن بنت رسول الله ﷺ مسرعاً» وتواترت الكتب إليه فسأل الرسول عن أمر الناس فقالوا: إنهم كلهم معك.

فتفكر الحسين عليه السلام في أمر هذه الكتب أن لب دعوتهم وخرج من المدينة فراراً من الظلم والاضطهاد فيكون أقدم على الخير والرشاد.

ها هم أهل العراق يدعونه فحق عليه أن يلبي دعوتهم، فهم يدعونه إلى الرشاد، وله في رسول الله ﷺ أسوة، ما كان للحسين أن يحجم وهو رجل الإقدام فكتب إليهم.

«بسم الله الرحمن الرحيم: من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين،

---

(١) حياة الحسين: عبد الحميد جودة السحار.

أما بعد: فإن هانياً وسعيداً قدما إلي بكتبكم، وكان آخر من قدما إلي من رسلكم، وقد فهمت ما ذكرتموه أنه ليس لكم إمام غيري، وتسألوني القدوم إليكم، لعل الله يجمعكم على الحق والهدى، وإني باعث إليكم أخي وابن عمي المفضل عندي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، وقد أمرته أن يكتب لي بحسن رأيكم وما أنتم عليه، وأنا أقدم إليكم إن شاء الله»[1].

ودعا الحسين عليه السلام بمسلم بن عقيل، وأمره بتقوى الله واللطف بالناس، فإن رأى الناس مجتمعين على رأيه يعجل له بالخير، ودعا بدليلين يدلانه على الطريق.

فخرج مسلم والدليلان وأخذوا في السير فدخلوا المدينة ووصلوا بمسجد الرسول صلى الله عليه وآله ثم انطلقوا إلى العراق، فلما توغلوا في المسالك ضل الدليلان ونفد الماء فأصابهم عطش شديد وأحسوا جفافاً في أفواههم وأخذوا يترنحون ويبحثون عن ماء وقد زاغت أبصارهم، وحل بهم إعياء شديد، فسقط رجل، ثم سقط آخر، وظل مسلم يضرب في الطريق وحده حتى بلغ قافلة كانت تمخر عباب الفضاء العريض[2].

وكتب مسلم إلى الحسين كتاباً يقول فيه:

«أما بعد: فإني أخبرك يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله أني قد أتيت مع الدليلين فضلاً عن الطريق، واشتد العطش بهما فماتا وقد تطيرت

---

(١) قد اختلفت صور الكتب الواردة إلى الحسين بن علي في كتاب شهيد كربلاء بذكر الكتب مع اختلاف يسير مع بعض كتب أُخر.

(٢) حياة الحسين.

من وجهي هذا، فإن أردت أن تعفيني وتبعث غيري فافعل».

فوصل الكتاب إلى الحسين عليه السلام فكتب جوابه:

«بسم الله الرحمن الرحيم: من الحسين إلى ابن عمه مسلم بن عقيل، إذا قرأت كتابي هذا فامض على ما أمرتك والسلام».

الرحيل إلى الكوفة

وسار مسلم إلى الكوفة فلما دخلها أقبلت الشيعة إليه يبايعونه نيابة عن الحسين عليه السلام ويحلفون له لينصروه بأنفسهم وأموالهم، فبايعه ثمانية عشر ألفاً.

فكتب مسلم إلى الحسين عليه السلام مع عباس بن شبيب الشاكري وقيس بن مسهر الصيداوي (أما بعد: فإن الرائد لا يكذب أهله، وإن جميع أهل الكوفة معك، وقد بايعني منهم ثمانية عشر ألفاً، فعجل الإقبال حين تقرأ كتابي هذا والسلام عليك ورحمة الله وبركاته).

فتأهب الحسين عليه السلام للخروج بأهله ومواليه إلى العراق وذاع نبأ ذلك التأهب في مكة، فأشفق المشفقون من ذلك الخروج وجاء رجل إلى الحسين عليه السلام وقال: إني جئتك لحاجة أريد ذكرها نصيحة لك، فإن كنت تراني ناصحاً قلتها لك، وأديت ما يجب علي من الحق فيها وإن ظننت أنني غير ناصح كففت عما أريد قوله لك.

قال الحسين عليه السلام قل قال بلغني أنك تريد العراق وإني مشفق أن تأتي بلداً فيه عمال يزيد وأمرائه ومعهم بيوت المال، وإنما الناس عبيد الدرهم والدينار فلا آمن عليك من أن يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك

معه. وذلك عند البذل وطمع الدنيا.

قال عليه السلام: جزاك الله خيراً من ناصح، لقد مشيت يا بن عم بنصح وتكلمت بعقل ولم تنطق عن الهوى، ولكن مهما يكن من أمر أخذت برأيك أم تركت مع أنك عندي أحد مشير وأعز ناصح وجاء عبد الله بن عباس إلى الحسين عليه السلام وقال: يا بن العم قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق فبين لي ما أنت صانع.

قال رضي الله عنه: إني قد أجمعت على المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى.

وقال ابن عباس بكلام فأجابه الحسين عليه السلام إني أستخير الله وأنظر ما يكون.

وعلم ابن الزبير بعزم الحسين على الخروج فأحس غبطة فقد كان على يقين من أن الناس في الحجاز لا يعدلون بالحسين أحداً، فإذا خرج الحسين خلى له الحجاز فدعا الناس لبيعته، ورأى أن يدخل على الحسين عليه السلام يزين له الخروج فأتاه وقال له:

ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم وكفنا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الأمر دونهم فأخبرني ما تريد أن تصنع؟

قال الحسين عليه السلام: والله لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة ولقد كتب إلي شيعتي بها وأشراف أهلها وأستخير الله.

قال ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت بها. ثم خشي أن يتهمه فقال: أما أنك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر ها هنا ما خولف عليك إن شاء الله.

وتم كل شيء ولم يبق إلا الرحيل، فأتى الحسين عبد الله بن عباس

فقال في يأس: يا بن العم إن أهل العراق غدر فلا تقربنهم أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوهم ثم اقدم عليهم، فإن أبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن فإن فيها حصوناً وشعاباً وهي أرض عريضة طويلة ولأبيك بها شيعة، وأنت عن الناس في عزلة، فتكتب إلى الناس وترسل وتبث دعاتك فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية.

قال الحسين عليه السلام: يابن العم إني والله لا أعلم أنك ناصح مشفق ولكني قد أزمعت وأجمعت على المسير.

قال ابن عباس: فإن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك فوالله إني لخائف أن تقتل.

دخول ابن زياد الكوفة

كان أهل الكوفة يرقبون قدوم الحسين عليه السلام وإذا بركب قادم يتوسطه رجل على بغلة شهباء، عليه ثياب بيض، وعمامة سوداء، متلثماً وبيده قضيب من خيزران، فهرعوا إليه فسلم عليهم بقضيبه فقالوا له: قدمت خير مقدم يا بن بنت رسول الله وصار لا يمر من الناس إلا ويسلم عليهم وهم يردون التحية مستبشرين فرحين، وانطلق الناس خلفه حتى إذا ما اقترب من قصر الإمارة التفت مسلم بن عمر الباهلي إليهم وقال لهم: تأخروا يا ويلكم عن وجه الأمير فليس هو ظنكم وطلبتكم.

وسمع النعمان ضوضاء الناس فأشرف من أعلى القصر، وأسفر الراكب عن وجهه فامتعض الناس، ولاح على الوجوه خيبة الأمل، فقد كان الرجل عبيد الله بن زياد ولم يكن الحسين المنتظر، وتطلع

عبيد الله إلى النعمان وقال: يا نعمان حققت قصرك وتركت مصرك ـ وفتح نعمان القصر فدخل ابن زياد وأهله، ثم قال ابن زياد يا نعمان ناد لي في الناس للصلاة جامعة، فنادى فاجتمع خلق كثير فصعد المنبر وقال:

أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه نفسي أنا عبيد الله بن زياد وقد ولاني مصركم هذا يزيد، وأمرني بالإنصاف للمظلوم، وإعطاء المحروم والإحسان إلى مسيئكم، وأنا متبع فيكم أمره.

ثم نزل عن المنبر وأمر أن ينادي في قبائل العرب أن اثبتوا على بيعة يزيد من قبل أن يبعث إليكم من الشام رجالاً يقتلون رجالكم ويسبون نساءكم... فجعل أهل الكوفة ينظر بعضهم بعضاً ويقولون: ما لنا والدخول بين السلاطين وأصبح مسلم بن عقيل موعوكاً فلم يخرج للصلاة فلما كان وقت الظهر خرج إلى المسجد فأذن وأقام فلم يأته أحد، فصلى وحده، فلما فرغ من صلاته إذا هو بغلام فقال له: يا غلام ما فعل أهل هذا المصر؟ قال إنهم أنقضوا بيعة الحسين وبايعوا يزيد. فلما سمع كلام الغلام صفق يداً على يد، وخرج يخترق الشوارع حتى بلغ محلة بني خزيمة، فوقف هناك بإزاء بيت شاهق، فخرجت من ذلك البيت جارية فقال لها: لمن هذه الدار؟ قالت: لهاني بن عروة قال مسلم ادخلي عليه وقولي له رجل بالباب، فإن سألك عن اسمي قولي له: إنه مسلم بن عقيل. فغابت الجارية قليلاً ثم خرجت تقول له: ادخل يا سيدي دخل مسلم فألقى هانياً عليلاً، ونهض هاني ليعتنقه فلم يقدر وجلسا يتحدثان حتى أتى حديثهما إلى عبيد الله بن زياد فأظهر مسلم كرهاً لوفوده فقال هاني: سيبلغه مرضي وربما يأتي يعودني، فإذا جاء فخذ هذا السيف وادخل المخدع فإذا جلس فدونك فاقتله واحذر أن يفوتك

فإن فاتك قتلك وقتلني والعلامة بيني وبينك إذا قلعت عمامتي عن رأسي وأضعها على الأرض فإذا رأيت ذلك فاخرج عليه واقتله ـ قال مسلم أفعل.

وأرسل هاني إلى ابن زياد يستجفيه، فأرسل إليه معتذراً وقال ما علمت بعلتك وإني رائح إليك العشية. فلما صلى ابن زياد صلاة العشاء أقبل يعود هانئاً ومعه حاجبه فقيل لهاني ابن زياد بالباب يريد الدخول عليك.

فقال هاني لجاريته: ادفعي السيف لمسلم.

دخل ابن زياد وجلس إلى جانبه وحاجبه قائم على رأسه فجعل يحادثه ويسأله عن حاله وهاني يشكو الذي يجده، وخلع عمامته ووضعها على الأرض ثم وضعها على رأسه ولم يزل يفعل ذلك ومسلم لم يخرج وقام ابن زياد فخرج مسلم فقال له هاني: من الذي منعك من قتله؟

قال: منعني خبر سمعته من رسول الله ﷺ قال الإيمان ضد الفتك، لا يفتك مؤمن، قال هاني لو قتلته لقتلت كافراً.

وخفي على ابن زياد مكان مسلم بن عقيل، فأرسل مولاه معقلاً إلى المسجد الأعظم ليجرس أخباره... وأعطاه ثلاثة آلاف درهم ليهبها له ويبايعه متى عرف مقره، ويطل معه حتى يطلع على جميع أسراره، فدخل هذا المولى المسجد فسمع قوماً يقولون هذا يبايع لابن رسول الله ﷺ ويشيرون إلى مسلم ابن عوسجة فجاء إليه وصار يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الواله، كأنما قد شغفه آل البيت حباً، فسأله عن حاله فقال: إني امرؤ من أهل الشام قد أنعم الله علي بحب آل البيت ومن أحبهم ومعي ثلاثة آلاف درهم، أردت بها لقاء رجل

منهم بلغني أنه قدم الكوفة يبايع لابن رسول الله ﷺ. . . ورأى ابن عوسجة ذلك الرجل وقد شهدت عليه عدول الدمع بحب آل البيت فاغتر ببيعته وأدخله على مسلم بن عقيل في دار هاني بن عروة فأخذ بيعته وأمر أبا ثمامة الصائدي بقبض المال لشراء السلاح ولزمه معقل أياماً وهو يتلطف ولا يشعر به أحد حتى اطلع على جلية أمره فأرشد عنه ابن زياد.

وكان هاني من كبار الأمراء فطلبه ابن زياد فجاء الأمراء إليه ولم يزالوا به حتى أدخلوه على عبيد الله، فأمره بإحضار مسلم فلم يقبل فضربه بحربة على وجهه، فشج حاجبه وكسر أنفه وحبسه.

وجاء قومه من بني مذحج مع عمرو بن الحجاج فوقفوا على باب القصر يظنون أنه قتل، فسمع عبيد الله لهم جلبة فقد كانوا يتصايحون.

يا بن زياد تقتل صاحبنا ولم يخلع طاعة ولم يفرق جماعة؟ يا هاني إن كنت حياً فكلمنا، فقد أتاك قومك مذحج يقتلون عدوك. فالتفت ابن زياد إلى شريح القاضي وقال له:

اخرج إليهم وأعلمهم أن صاحبهم حي، وأن الأمير خباه لأشياء يسأله عنها فخرج إليهم وقال لهم: صاحبكم جالس مع الأمير يسأله عن أشياء وهذه الساعة يخرج إليكم. فاطمأنت الجموع على هاني وقال الناس الحمد لله على السلامة.

وسمع مسلم بن عقيل الخبر فركب ونادى بشعاره (يا منصوراه) فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة وساروا حتى قصر الإمارة وشعر بهم ابن زياد فأمر بإغلاق أبواب القصر واشتد أمرهم فأمر

عبيد الله من عنده من الأشراف أن يشرفوا عليهم فيمنوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة ويعدوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة فقالوا لقومهم الذين مع مسلم الحقوا بأهليكم ولا تعجلوا الشر ولا تعرضوا أنفسكم للقتل فإن جنود يزيد قد أقبلت وقد أعطى الله الأمير عهداً لئن أقمتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم أن يحرم ذريتكم العطاء ويفرق مقاتليكم في مغازي الشام فلما سمعوا مقالتهم أخذوا يتفرقون ثم ركب هؤلاء الأشراف وساروا في الكوفة يخذلون الناس عن مسلم. فانفرط عقد جمعهم حتى بقي وحده فدخل المسجد ليصلي المغرب وليس معه إلا عشرة وعندما سلم من صلاة المغرب لم يجد منهم أحداً فخرج وحيداً لا يدري أين يذهب ولا يعرف كيف يصنع فوقف على باب امرأة يقال لها طوعة، فسلم عليها، فردت عليه، فقال لها يا أمة الله اسقيني ماءً، فسقته فجلس، وأدخلت الإناء ثم خرجت فقالت: يا عبد الله ألم تشرب؟، قال بلى، قالت قم واذهب إلى أهلك، فسكت ثم عادت فقالت له مثل ذلك، فسكت ثم قالت فئ لله، سبحان الله، يا عبد الله فاذهب إلى أهلك فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أحله لك فقال: يا أمة الله ما لي في هذا المصر أهل ولا منزل، فهل لك إلى أجر ومعروف، ولعلي أكافئك به بعد اليوم، فقالت وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل كذبني هؤلاء القوم وغروني قالت: أأنت مسلم؟ قال نعم والله إني لمسلم فأدخلته بيتاً من دارها وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعش وجاء ابنها وهو بلال بن أسيد الحضرمي فعلم بمكان مسلم فوشى بذلك إلى ابن زياد لعنه الله فأحضر محمد بن الأشعث وضم إليه ستين أو سبعين رجلاً وأنفذه لإحضار مسلم فلما بلغوا دار المرأة

وسمع مسلم وقع حوافر الخيل فخرج إليهم بسيفه واقتحموا عليه الدار فشد عليهم حتى أخرجهم منه ثم عادوا إليه فشد عليهم كذلك واختلف هو وبكير ابن حمران الأحمري ضربتين فضرب بكير فم مسلم فقطع شفته العليا وبلغ السيف شفته السفلى وضربه مسلم على رأسه ضربة منكرة وثنى بأخرى على حبل العاتق، وجعل يحاربهم حتى قتل منهم جماعة فلما رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق ظهر البيوت فأخذوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في أطناب القصب فيرمونها عليه فخرج إليهم مصلتاً سيفه فقاتلهم في السكة وهو يقول:

أقسمت لا أقتل إلا حراً وإن رأيت الموت شيئاً نكرا
كل امرئ يوماً ملاق شراً ويخلط البارد سخناً مرا
أخاف أن أكذب أو أغرا أضربكم ولا أخاف ضرا

فناداه ابن الأشعث إنك لا تكذب ولا تغر ولك الأمان، فلم يلتفت إلى ذلك وتكاثروا عليه، فطعنه رجل من خلفه، وانتزعوا سيفه، وكأنه عند ذلك يئس من نفسه فدمعت عيناه ثم قال: هذا أول الغدر أين أمانكم إنا لله وإنا إليه راجعون، وبكى فقيل له إن من يطلب مثل الذي تطلب لا يبكي إذا نزل به مثل الذي نزل بك، قال: والله ما لنفسي أبكي ولا لها من القتل أرثي وإن كنت لا أحب لها طرفة عين تلفاً ولكن أبكي لأهلي المقبلين إلي، أبكي للحسين وآل الحسين، ثم أقبل على ابن الأشعث فقال له إنك ستعجز عن أماني فهل تستطيع أن تبعث رجلاً على لساني يبلغ حسيناً فإني لا أراه إلا قد خرج، أو هو خارج غداً وإن ما ترى من جزعي ـ لذلك فيقول له إن ابن عقيل بعثني إليك وهو أسير في أيدي القوم لا يرى أنه يمسي حتى يقتل،

وهو يقول لك ارجع فداك أبي وأمي بأهل بيتك ولا يغرنك أهل الكوفة فإنهم أصحاب أبيك الذين كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل، إن أهل الكوفة كذبوك، وليس لمكذوب رأي وانتهى بابن عقيل إلى باب القصر وقد اشتد به العطش، فإذا قلة بها ماء بارد فقال: اسقوني من هذا الماء فقال له مسلم بن عمرو: أتراها ما أبردها والله لا تذوق منها قطرة أبداً حتى تذوق الحميم في نار جهنم، فقال له ويلك من أنت؟ فقال أنا الذي عرف الحق إذ أنكرته ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيت وخالفت أنا مسلم بن عمرو الباهلي، فقال له ابن عقيل لأمك الثكلى، ما أجفاك وأفظاك! وأقسى قلبك أنت يا بن باهلة أنت أولى بالحميم والخلود في نار جهنم، ثم تساند إلى الحائط فأتي بماء فأخذ كلما شرب امتلأ القدح دماً، فلما ذهب بالثالثة ليشرب سقطت ثناياه في القدح فقال الحمد لله لو كان من الرزق المقسوم لشربته، وأدخل على ابن زياد فلم يسلم عليه بالإمرة فقال الحرس: ألا تسلم على الأمير؟ فقال: اسكت ويحك والله ما هو لي بأمير فقال ابن زياد لا عليك سلمت أم لم تسلم فإنك مقتول شر قتلة، فقال له مسلم إنك والله لا تدع سوء القتلة، وقبح المثلة وخبث السريرة، ولؤم الغلبة لا أحد أولى بها منك.

فقال ابن زياد: يا عاق يا شاق خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين وألقيت الفتنة بينهم، فقال مسلم: كذبت إنما شق عصا المسلمين معاوية وابنه، وإنما ألقى الفتنة أنت وأبوك، وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يد شر بريته، فقال ابن زياد: منتك نفسك أمراً حال الله دونه وجعل لأهله، فقال مسلم ومن أهله يا بن مرجانة إذا لم

نكن نحن أهله؟ فقال أهله أمير المؤمنين يزيد، فقال مسلم: الحمد لله رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم فقال ابن زياد يا مسلم: بماذا أتيت هذا البلد وأمرهم ملئتهم، فشتتت أمرهم وفرقت كلمتهم، فقال مسلم: ما لهذا أتيت ولكنكم أظهرتم المنكر، ودفنتم المعروف وتآمرتم على الناس بغير رضى منهم، وحملتموهم على غير ما أمركم الله به، وعملتم فيهم بأعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف، وننهى عن المنكر وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة، وكنا أهل ذلك، فجعل اللعين يشتم علياً والحسن والحسين وعقيلاً، فأعرض عنه مسلم حينئذ ولم يكلمه بعدها أبداً.

ثم أمر ابن زياد بكير بن حمران أن يصعد به إلى أعلى القصر فصعد به وهو يسبح الله ويستغفره، ويصلي على النبي وآله، فضرب عنقه ورماه من أعلى القصر ثم أمر لعنه الله بهاني بن عروة فأخرج وضربت عنقه وجعلوا يجرونهما بأرجلهما في الأسواق وأمر بعد ذلك بجثتيهما فصلبتا بالكناسة، وبعث برأسيهما إلى يزيد لعنه الله فشكره على ذلك وأمره بقتل الحسين عليه السلام[1].

الحسين عليه السلام عند الكوفيين

ولم تزل الكراهية ظاهرة على الناس في قتال الحسين عليه السلام لأنه ابن الرسول الأقدس وسيد شباب أهل الجنة ولم تغب عن أذهانهم مصارحات النبي صلى الله عليه وآله وأبيه الوصي وفي أخيه المجتبى وقد عرفوا فضله

(١) المجالس الفاخرة: تأليف السيد عبد الحسين شرف الدين، صحيفة ٧٢.

يوم أجدبت الكوفة وقحط الناس ففزعوا إلى (أبي الحسن) فأخرج السبط الشهيد الحسين عليه السلام للاستسقاء وببركات نفسه القدسية ونوره المتكون من الحقيقة المحمدية استجاب الله دعاءه وأرسل المطر حتى أعشبت الأرض بعد جدبها وهو الذي ملك المشرعة يوم صفين فسقى المسلمين بعد أن أجهدهم العطش.

شجاعته عليه السلام

ومن شجاعته عليه السلام ـ ١ ـ كان[1] بينه وبين الوليد بن عقبة منازعة في ضيعة فتناول الحسين عليه السلام عمامة الوليد عن رأسه وشدها في عنقه وهو يومئذ وال على المدينة فقال مروان بالله ما رأيت كاليوم جرأة رجل على أميره.

ـ ٢ ـ قيل للحسين يوم الطف انزل على حكم بني عمك قال: لا والله لا أعطينكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد ثم نادى يا عباد الله إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقال عليه السلام موت في عز خير من حياة في ذل وأنشأ يوم قتل:

الموت خير من ركوب العار والعار أولى من دخول النار

والله ما هذا وهذا جاري

ـ ٣ ـ روى محمد بن الحسن أنه لما نزل القوم بالحسين وأيقن أنهم قاتلوه قال لأصحابه قد نزل ما ترون من الأمر وأن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت حتى لم يبق منها إلا كصبابة[2]

---

(١) البحار: ج١٠

(٢) الصبابة: بالضم البقية من الماء في الإناء.

الاناء وإلا خسيس عيش كالمرعى الوبيل[1] ألا ترون الحق لا يعمل به وأن الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله وإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما[2] وأنشأ متمثلاً لما قصد الطف:

سأمضي فما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى خيراً وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مذموماً وخالف مجرما
أقدم نفسي لا أريد بقاءها لنلقى خميساً في الهياج عرمرما
فإن عشت لم أذمم وإن مت لم ألم كفى بك ذلاً أن تعيش فترغما

أصحابه عليه السلام

كثيرون وهناك أسماء بعضهم ـ ١ ـ عبد الله بن يقطر ـ ٢ ـ أنس بن الحارث الكاهلي ـ ٣ ـ ميثم التمار ـ ٤ ـ رشيد الهجري ـ ٥ ـ سليم بن قيس الهلالي ـ ٦ ـ أسعد الشيامي ـ ٧ ـ عبد الله بن عبد ربه الخزرجي ـ ٨ ـ حبيب بن مظاهر ـ ٩ ـ برير بن خضير الهمداني ـ ١٠ ـ وهب بن عبد الله الكلبي ـ ١١ ـ عمرو بن خالد الأزدي ـ ١٢ ـ مسلم بن عوسجة ـ ١٣ ـ جوت مولى أبي ذر ـ ١٤ ـ زهير بن القين ـ ١٥ ـ نافع بن هلال ـ ١٦ ـ أبو ثمامة الصائدي ـ ١٧ ـ الحجاج الجعفر ـ ١٨ ـ عمرو الجعفي كما في دائرة المعارف وكل من استشهد معه داخل تحت هذا العنوان وبعضهم أدرك علياً عليه السلام.

---

(١) والوبيل بالتحريك الثقل.
(٢) والبرم بالتحريك السآمة والملل.

أيام وفاته عليه السلام

أما يوم وفاته فكان يوم الجمعة وقيل يوم السبت وقيل يوم الاثنين ذهب إليه العلامة في المنتهى والتحرير كما نقل عنهما صاحب دوائر المعارف.

أما شهر وفاته عليه السلام ففي عاشور من محرم باتفاق المؤرخين.

أما سنة وفاته عليه السلام إحدى وستين هجري.

مدفنه عليه السلام

أرض كربلاء وهي من أراضي العراق ومشهده بها معروف ويزار من جميع الآفاق والجهات ومن أسمائه الحائر.

فضل زيارته عليه السلام

جاءت روايات كثيرة في فضل زيارته بل في وجوبها كما عن الصادق عليه السلام أنه قال زيارة الحسين بن علي واجبة على كل من يقر للحسين بالإمامة من الله عز وجل. وقال الصادق عليه السلام زيارة الحسين تعدل مائة حجة مبرورة ومائة عمرة متقبلة قال رسول الله صلى الله عليه وآله من زار الحسين بعد موته فله الجنة قال شيخنا المفيد في صحيفة ٢٦٩ من الإرشاد والأخبار في هذا الباب كثيرة قد أوردنا منها جملة كافية في كتابنا المعروف بمناسك المزار وقال آية الله العلامة في صحيفة ١٣١ من التحرير وفي زيارته فضل كثير روى محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام قال مروا شيعتنا بزيارة الحسين فإن إتيانه يزيد في الرزق ويمد في العمر ويدفع مواقع السوء وإتيانه مفترض على كل مؤمن يقر بالأمانة من

الله وعن الحسن عليه السلام من أتى قبر الحسين عليه السلام في السنة ثلاث مرات أمن من الفقر ويستحب زيارته في يوم عرفة والعيدين وأول رجب ونصفه ونصف شعبان وليلة القدر ويوم عاشوراء والعشرين من صفر وفي كل شهر هذا ما نقلناه من دوائر المعارف وعن كامل الزيارة عن أبي خديجة أنه قال للصادق عليه السلام ما يبلغ من زيارة قبر أبي عبد الله؟ قال أفضل من كل عمل.

وعنه عليه السلام أن المنفق درهماً في زيارة بيت الله يعوض عنه بألف درهم والمنفق في زيارة قبر الحسين عليه السلام درهماً يعوض عنه بعشرة أضعاف ذلك ويرفع له من الدرجات مثلها ورضى الله خير له وداعية محمد له وأمير المؤمنين وولده المعصومين عليهم السلام خير له.

مدة عمره عليه السلام

اختلفوا في مدة عمره عليه السلام ففي الإرشاد سنه الشريف ٥٨ وفي أعلام الورى للطبري والأنوار النعمانية ٥٧ وخمسة أشهر وفي نور الأبصار للشبلنجي ٥٥ سنة وفي مقاتل الطالبيين ٥٦ سنة وشهوراً وفي طبقات الشعراني ٥٦ سنة وفي الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي مثله بزيادة بعض أشهر وفي تاريخ أبي الفداء ٥٥ سنة وأشهر وفي تهذيب الشيخ وتحرير العلامة ٥٨ سنة وقيل ٥٩ سنة، وقال مؤلف دوائر المعارف بعد ذكر هذه الأقوال من العجب أن جمعاً اتفقوا على أنه ولد سنة ٣ من الهجرة وقتل سنة ٦١ منها ثم اختلفوا في مدة عمره وأن جمعاً اتفقوا أنه ولد سنة ٤ من الهجرة وقتل سنة ٦١ منها ثم اختلفوا أيضاً في مدة عمره.

نصرع الإمام ومقتله

لقد توالت على ابن رسول الله جروح دامية من مطاردة الفرسان ومضاربتهم وفي أثناء مناصرته لأنصاره وأصحابه والكف عنهم الجيش وعن أهل بيته حتى بلغ المسناة فإذا رماه ابن نمير لعنه الله بسهم فجرح ما بين فمه وحنكه وملأ كفيه فحمد الله وقال (اللهم احصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً، ولا ترض الولاة عنهم أبداً) ثم ضربه الكندي على رأسه بالسيف فقطع البرنس أدمى رأسه وامتلأ دماً فقال الحسين: «لا أكلت بيمينك وحشرك الله مع الظالمين وألقى البرنس ولبس القلنسوة، ثم شج جبينه أبو الحتوف الخارجي بالحجارة فسالت الدماء على وجهه وأقبل شمر برجاله يحول بين الحسين عليه السلام ورجاله والحسين مطروح على رمضاء كربلاء يجود بنفسه فرفع رأسه وبصره وإذا بأجلاف القوم زاحفون من سفح التلال نحو مخيمه للسلب والنهب، فأثار الغيرة في حسين المجد روحاً جديدة، فنهض زاحفاً على ركبتيه قائلاً: «يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم المعاد فكونوا أحراراً في دينكم وراجعوا أحسابكم وأنسابكم إن كنتم عرباً».

فصاح شمر: «ما تقول يا بن فاطمة؟» قال الإمام: «أقول أنا الذي أقاتلكم وتقاتلوني، والنساء ليس عليهن جناح، فارجعوا بطغاتكم وجهالكم عن التعرض لحرمي فقالوا: «ذلك لك ارجعوا».

ومكث الإمام عليه السلام صريعاً يعالج جروحه الدامية والناس يتقون قتله وكل يرغب في أن يكفيه غيره. فصرخ بهم شمر قائلاً: «ويحكم

ماذا تنظرون بالرجل، اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم، فهاجوا على الحسين واحتوشوه فضربه زرعة من شريك على كتفه الأيسر ورماه الحصين في حلقة وضربه آخر على عاتقه وطعنه سنان بن أنس في ترقوته، ثم بوأني صدره ثم رمى بسهم في نحره وطعنه صالح بن وهب في جنبه.

وسلبوا ما على الحسين عليه السلام ـ حتى سراويله ونعليه ـ ثم تمايل الناس إلى رحله وثقله وما على أهله، حتى أن الحرة كانت لتجاذب على قناعها وخمارها، والمرأة تنتزع ثوبها من ظهرها فيؤخذ منها والفتاة تعالج على سلب قرطها وسوارها والمريض يجتذب الأديم من تخته.

ثم نادى ابن سعد في أصحابه: «من ينتدب إلى الحسين فيوطئ الخيل صدره وظهره، فانتدب عشرة فوارس، وداسوا بحوافر خيلهم جنازة الإمام، ورضوا جناجن صدره وصلى ابن سعد على قتلى جيشه ودفنهم وترك الشهداء الصالحين على العراء ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾.

عبد الرضا الحسيني المرعشي الشهرستاني

العددان ٦، ٧

الدورة العاشرة

شهر
جمادى الثاني، ورجب
سنة ١٣٨٥هـ

كربلاء تلفون ٨١٠

اجوبة المسائل الدينية
تصدرها
لجنة الثقافة الدينية
كربلاء - العراق

سماحة العلامة السيد عبدالرضا الشهرستاني

بسم الله الرحمن الرحيم

أصحاب السماحة حضرات أعضاء لجنة الثقافة الدينية المحترمين:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

وبعد، فلا يخفى على أحد ما لرسائل أجوبة المسائل الدينية من أثر تثقيفي بناء في نفوس الناشئة من أبناء المسلمين الذين يجدون لديكم الصدور العامرة الرحبة لعلاج مشاكلهم، وللإجابة على ما يبدو لهم من الأسئلة.

ونحن في الوقت الذي نقدر للجنة المحترمة جهودها المتواصلة في خدمة الثقافة الإسلامية وخدمة الناشئة من أبناء المسلمين، نرغب إلى اللجنة الموقرة أن تجيب بتفصيل على السؤال التالي:

ما هو المخطط الفقهي لتنظيم المال وتقلبه في جهاز الدولة الإسلامية وفي قطاعات الإنتاج العام والخاص، حسب النظرية الإسلامية؟

والله نسأل أن يمدكم بتوفيقه وسداده

النجف الأشرف: مجتبى السيد علي البهشتي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الدعاة الميامين.

وبعد؛ فهذا عرض موجز لنظام المال وتداول الثروة في الإسلام... رغبت أن أقدمهما إلى القراء، إجابة على سؤال بعضهم... وتمهيداً لدراسة أوسع في الموضوعين، أرجو أن أوفق لتقديمهما في وقت قريب؛ إن شاء الله.

وقد حاولت في هذا البحث أن ألخّص النظرية الإسلامية في تنظيم سير المال وتداول الثروة داخل جهاز الدولة وفي مجالي الإنتاج والتوزيع وأن أستعرض ملامح هذين النظامين بشكل مقتضب سريع، من غير تفصيل وإسهاب؛ لإعداد ذهن القارئ للدخول في دراسة أوسع، ولكي يتوفر له بعض المعرفة بالنظرية الإسلامية في هذا الحقل بصورة مسبقة، قبل أن يدخل تفاصيل الدراسة في كتابنا القادم، إن شاء الله.

والله ولي التوفيق

النجف الأشرف — محمد مهدي الآصفي

١٥/ ٨/ ١٣٨٥هـ

٩/ ١٢/ ١٩٦٥م

النظام المالي

في الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

تختلف الحياة الاجتماعية عن الحياة الفردية بما تحتاج إليه من المرافق الحياتية العامة.

وما لم تتيسر هذه المرافق العامة في المجتمع، لا يمكن أن تعيش أمة من الناس في ظلال حياة اجتماعية، مهما كانت بدائية.

وإدارة هذه المرافق تقع بطبيعة الحال على عاتق المجتمع نفسه، والحكومة تمثل المجتمع في القيام بإدارة شؤون المرافق العامة للحياة.

ولا يتم هذا العمل من دون أن يوجد هناك موارد مالية تستعين بها الدولة على إدارة الحياة الاجتماعية.

والنظام المالي في الفقه الإسلامي يعني: تنظيم موارد الدولة المالية، وتوزيع هذا المال على المرافق العامة للحياة.

ويظهر من ذلك: أن البحث عن النظام المالي يشتمل على جانبين:

الجانب الأول: البحث عن الموارد المالية التي ترد الدولة.

الجانب الثاني: البحث عن النفقات العامة والأشخاص الذين تنفق الدولة عليهم هذا المال.

* * *

وتفادياً لما قد يحصل من أخطاء ومضاعفات خلال هذا البحث... يجب أن ننبه هنا، سبقاً، أن دراستنا للنظام المالي دراسة نظرية خالصة

لا تطبق على الأوضاع الحاضرة... وتطبيق هذا النظام بالشكل المعروض في هذا البحث يتوقف على وجود جهاز حكومي شرعي وحاكم أعلى يقره الإسلام.

ولا يأخذ هذا النظام ـ حتى وإن طبق بجميع خطوطه التفصيلية والإجمالية ـ طابعاً شرعياً إلهياً... ما لم تتوفر في الهيئة الحاكمة القائمة بالتنفيذ الشروط والمقومات التي يذكرها الفقهاء ـ رحمهم الله ـ في الفقه.

* * *

موارد الدولة المالية

يمتاز النظام المالي في الإسلام ـ كما سنستعرض جانباً منه في هذا الحديث ـ عن غيره من النظم المالية بصلاحيته الواسعة لموازنة مواردها المالية بنفقاتها العامة.

والدول الحديثة تنظم نفقاتها عادة على ضوء من رصيدها المالي. وعلى العكس تماماً، نجد أن الدولة الإسلامية تنظم مواردها المالية في حدود نفقاتها العامة ومصروفها.

وهذه الظاهرة تدل على وجود صلاحية فائقة في النظام المالي للفقه الإسلامي، لمسايرة الحاجات المادية في المجتمع، وتسيير المرافق العامة... من دون أن يقع عبء هذه «المطاطية» على كاهل الطبقة الفقيرة في المجتمع.

وسوف نعرض على القارئ ملامح من التخطيط الشرعي لموارد الدولة؛ ليلمس ـ القارئ ـ بنفسه هذه الصلاحية المالية مقرونة إلى العدالة الاجتماعية.

ويمكننا هنا أن نقسم الموارد المالية للدولة الإسلامية إلى أقسام خمسة:

١ ـ الدخل المالي الذي يرد الحكومة عن طريق الضرائب.

٢ ـ الدخل المالي الذي يرد الحكومة عن طريق العقارات.

٣ ـ الدخل المالي الذي يرد الحكومة عن طريق قيامها بنشاطات اقتصادية خاصة.

٤ ـ الدخل المالي الذي يرد الحكومة عن طريق القرض.

٥ ـ الدخل المالي الذي يرد الحكومة عن طريق ولايتها العامة على المواطنين.

١ ـ الضرائب المالية

وأهم الضرائب المالية في الإسلام: الزكاة، والخمس، والجزية، والضرائب المالية الأخرى التي تفرضها الدولة على المسلمين، فيما إذا اقتضت الضرورة الاجتماعية[١].

الهدف من تشريع الضريبة في الإسلام:

والمهم في تشريع الضرائب المالية في الإسلام: إن الغرض منها ليس فقط تهيئة المال الكافي لتسيير المرافق الاجتماعية وتغطية نفقات الدولة الإسلامية، وإن كان ذلك جزءاً كبيراً من الغرض في التشريع الضريبي على كل حال... بل المهم من تشريع الضرائب المالية أنها أداة تشريعية لامتصاص الثروات الفائضة عن دخول الطبقات الغنية وإعادتها إلى الطبقات الفقيرة أو إلى المرافق الاجتماعية التي تنشأ لصالح الفقراء.

---

(١) قد تتم جباية وتوزيع الضرائب المالية بمباشرة وإشراف الحاكم الشرعي الأعلى عصر حضور الإمام (الحاكم).
وقد يقوم المسلمون أنفسهم بتوزيع الحقوق المالية المفروضة عليهم على المستحقين مباشرة، مع إحراز الاستحقاق، حال عدم وجود حكومة شرعية. والنتيجة سواء. فالمهم توزيع هذا الفائض المالي على فئات الفقراء وعلى المرافق الاجتماعية، مهما يكن شكل ذلك.

وتؤدي هذه العملية ـ بهذا الشكل من اللف والدوران ـ إلى توزيع الثروة في البلاد بصورة عادلة، وتحقيق العدالة الاجتماعية في التوزيع.

وفوق ذلك كله... فالضرائب المالية وسيلة طبيعية لمنع حصول التضخم المالي في المجتمع.

وإلى هذا الأصل التشريعي تشير الآية الكريمة:

﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فللّه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم، وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا...﴾[1].

ومما يلاحظ أن هذه الضرائب ـ ما عدا زكاة الفطرة والأضحية التي تتعلق بأشخاص المسلمين ـ تتعلق بالثروات التي يملكها الإنسان، والتي لا يستغني عنها في حال.

واستمرارية تداول هذه الثروات بين أيدي الناس تضمن استمرارية تحصيل هذه الضرائب في المجتمع، وتعطي ضمانات تشريعية كافية لاستمرار بقاء المرافق الاجتماعية في المجتمع الإسلامي.

ويجد القارئ ـ فيما يلي ـ عرضاً سريعاً لأهم الثروات التي تتعلق بها الضرائب المالية في الإسلام:

١ ـ الثروة النقدية:

وهي تتكون من الذهب والفضة المسكوكين بسكة المعاملة. وتجب عليهما الزكاة بشرط النصاب ومرور حول كامل على تملكهما.

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٨.

٢ ـ الثروة الحيوانية:

وتتكون من الإبل والبقر والغنم. وتجب فيها الزكاة بعد بلوغها النصاب ومرور حول كامل، ولو كانت سائمة وغير عاملة. أما المعلوفة والعاملة ـ ولو في بعض الحول ـ فلا يجب فيها شيء.

٣ ـ الثروة النباتية:

وتتكون من الحنطة والشعير والتمر والزبيب. وتجب فيها الزكاة بعد بلوغ النصاب، لو تمت في ملك مالكها.

٤ ـ الثورة المعدنية:

والمعادن على ثلاثة أقسام: منها ما يقبل الانطباع، كالذهب والفضة والنحاس والحديد. ومنها ما لا يقبل الانطباع، كالياقوت والزبرجد وغيرهما من الأحجار الكريمة. ومنها المايع، كالنفط والزئبق... ويجب فيها الخمس بعد إخراج المؤونة.

٥ ـ الثروة البحرية:

وهي كل ما يستخرج من البحار بالغوص. ويجب فيها الخمس.

٦ ـ الثروة الحربية:

وهي كل ما يستولي عليه المسلمون في الحرب من أموال الكفار، من أموال ثابتة وصالحة للنقل، كالأسلحة والنقود وغير ذلك. ويجب فيها الخمس إذا كانت الحرب والحيازة بإذن النبي أو الإمام عليه السلام.

٧ ـ الثروة التجارية:

وهي كل ما يفضل للتاجر عن مؤونة عياله سنة كاملة من أرباح التجارة. ويتعلق بها الخمس.

٨ ـ الثروة الصناعية:

وهي كل ما يفضل لذوي الصناعات من أرباح الصناعة بعد وضع مؤونة عياله سنة كاملة، ويتعلق بها الخمس.

٩ ـ الثروة الزراعية:

وهي كل ما يفضل للزارع من مؤونة عياله سنة كاملة من أرباح الزراعة، ويتعلق بها الخمس.

١٠ ـ الثروة الأرضية:

وهي الأراضي التي يشتريها المواطن الذمي من المواطن المسلم، سواء كانت من الأراضي المفتوحة عنوة أو من الأراضي التي أسلم عليها أهلها. ويجب فيها الخمس.

١١ ـ الثروة المدخرة:

وهو المال المدخر في الأرض الذي يعثر عليه المسلم في دار الحرب أو في الوطن الإسلامي، من غير أن يعرف مالكه الشرعي، ويتعلق بها الخمس.

١٢ ـ ضريبة الأموال المختلطة، أو مبدأ «من أين لك هذا؟!»:

المال المختلط يفرز منه المال الحرام، ويرد إلى أصحابه الشرعيين إذا عرف قدره، ويفرز منه الخمس لحساب الدولة إذا لم يعرف قدره... ذلك كله في الضرائب التي تتعلق بالثروات والأموال. أما الضرائب التي تتعلق بالرؤوس والأفراد فأهمها:

١٣ ـ زكاة الفطرة:

وتجب بحلول شهر شوال على كل مكلف بالغ حر متمكن عن نفسه وعمن يعيله. وهي صاع من القوت الذي يتناوله عادة من الحنطة

والشعير والأرز والتمر أو غير ذلك.

١٤ ـ ضريبة الفداء:

وهي ضريبة مالية يقدرها الإمام، تفرض على الأسرى المحاربين ليطلق سراحهم بعد انتهاء فترة الحرب.

١٥ ـ ضريبة الجزية:

وهي ضريبة مالية يقررها الإمام حسب ما يراه من المصلحة على الرؤوس أو الأراضي على الذميين المسالمين، الذين يعيشون في الوطن الإسلامي أو في الأقطار المحمية من قبل الدولة الإسلامية... عوضاً عما تقوم به الدولة الإسلامية في هذه الأقطار من الخدمات العامة.

١٦ ـ الأضحية.

١٧ ـ الضرائب المالية التي تحددها الحكومة تبعاً للضرورات الاجتماعية.

ذلك كله فيما يخص الضرائب المالية المحددة من حيث العلاقة والكمية والوقت.

وقد تطرأ على الحياة الاجتماعية أوضاع غير عادية ـ أو تحدث ثغرات مالية كبيرة، تتطلب نفقات كثيرة لا تغطيها الموارد المالية التي شرعت للحالات الاعتيادية، كما يحدث ذلك في أوقات الحروب... ففي مثل هذه الأحوال تلتجئ الدولة الإسلامية إلى فرض ضرائب مالية جديدة في حدود حاجة البلاد وإمكانيات الأمة المادية، لملء هذه الثغرات.

ونجد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة إشارات واضحة إلى تشريع هذا النوع من الضرائب:

قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط

الخيل، ترهبون به عدو الله وعدوكم...﴾[1].

وقال تعالى: ﴿... وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم...﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿... وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم...﴾[3].

والآية الأولى صريحة في الأمر بإعداد العدة الحربية الكافية، والآيتان الأخيرتان قرنتا الجهاد بالنفس بالجهاد بالمال. ولما كان الجهاد بالنفس لا حد له في الشريعة الإسلامية، كان الجهاد بالمال بحكمه لا يحده شيء غير الحاجة.

كال ذلك فيما إذا اقتضت الضرورة الحربية ذلك.

وهناك حقوق خاصة للفقراء والضعفاء والمساكين والمحرومين غير الزكاة والخمس، يقررها التشريع الإسلامي لصالح هؤلاء في حالات الضرورة المعاشية، ويندب إليه في غير حالات الضرورة.

قال السيد الطباطبائي في «الميزان»:

«وسبيل الله على ما يستفاد من كلامه ـ تعالى ـ هو ما توقف عليه قيام دين الله على ساقه، وأن يسلم من انهدام بنيانه، كالجهاد، وجميع مصالح الدين الواجبة حفظها، وشؤون مجتمع المسلمين التي ينفسخ عقد المجتمع لو انفسخت، والحقوق المالية الواجبة التي أقام الدين بها صلب المجتمع الديني، فمن كنز ذهباً أو فضة والحاجة قائمة والضرورة عاكفة فقد كنز الذهب والفضة ولم ينفقها

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٨٢.

في سبيل الله، فليبشر بعذاب أليم، فإنه آثر نفسه على ربه، وقدم حاجة نفسه أو ولده الاحتمالية على حاجة المجتمع الديني القطعي...

«ولا يتم هذا كله إلا بنشر المبرات، وفتح باب الخيرات والعمل بالواجبات على ما يليق بها، والمندوبات على ما يليق بها. وأما القصر على القدر الواجب وترك الإنفاق المندوب من رأس، فإن فيه هدماً لأساس الحياة الدينية، وإبطالاً لغرض الشارع، وسيراً حثيثاً إلى نظام مختل، وهرج ومرج، وفساد عريق لا يصلحه شيء. كل ذلك عن المسامحة في إحياء غرض الدين والمداهنة مع الظالمين... إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»[1].

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «ولكن الله عز وجل فرض في أموال الأغنياء حقوقاً غير الزكاة، فقال عز من قائل: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم، للسائل والمحروم﴾. فالحق المعلوم غير الزكاة، وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله، يجب عليه أن يفرضه على قدر طاقته وسعة ماله، فيؤدي الذي فرض على نفسه»[2].

وعن سماعة: قال «سألت أبا عبد الله عليه السلام، قلت: قوم عندهم فضول وبإخوانهم حاجة شديدة، وليس تسعهم الزكاة. أيسعهم أن يشبعوا ويجوع إخوانهم، فإن الزمان شديد؟

فقال عليه السلام: المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحرمه؛ فيحق على المسلمين الاجتهاد فيه، والتواصل والتعاون

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٩/ ٢٦١ ـ ٢٧٦.

(٢) وسائل الشيعة: ٦/ ٢٧٠.

والمواساة لأهل الحاجة، والعطف منكم... تكونون على ما أمر الله فيهم: رحماء بينكم، متراحمين»[1].

وعن المفضل بن عمرو عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أيما مؤمن حبس مؤمناً عن ماله، وهو محتاج إليه، لم يذقه الله من طعام الجنة، ولا يشرب من الرحيق المختوم»[2].

وأخرج مسلم من طريق أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «من كان له فضل من ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان عنده فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له»[3].

٢ ـ الدومين العقاري

ونعني به الدخل الذي يرد الدولة عن طريق وارداتها العقارية. والعقارات التي تملكها الدولة أو تملك التصرف فيها، وهي: الأراضي الزراعية المحياة المفتوحة، والأراضي الموات، والغابات، والأجمات، والمعادن، ورؤوس الجبال، والبحار، والأنهار، وبطون الأودية، وسواحل البحار... بتفصيل يأتي.

ويرد الدولة عن طريق هذه العقارات رصيد مالي كبير، تسدد به كثيراً من نفقاتها، وتغطي بها على كثير من مصارفها.

وقد يكون العقار ملكاً للحكومة، فتصرف ريعها على المرافق العامة، وقد يكون ملكاً للأمة، فيشرف على ريعه الإمام، وقد يكون

---

(١) وسائل الشيعة: ط ٢: ٦/ ٥٩٧.

(٢) محاسن البرقي: ١٠٠.

(٣) سنن البيهقي: ٤ / ١٨٢.

وقفاً على المسلمين، فتشرف عليها الحكومة المتمثلة في شخص الإمام.

ونعرض على القارئ فيما يلي شرحاً لهذه العقارات:

١ ـ الأراضي:

تعتبر الأراضي من أهم موارد الدولة الإسلامية.

وليس الغرض من استيلاء الدولة على الأراضي تغطية نفقاتها عن طريق الريع الذي تدره هذه الأراضي على الدولة فحسب... بل الغرض من ذلك ـ قبل ذلك كله ـ المنع من حدوث أي توسع في ملكية الأراضي يؤدي إلى «الإقطاع»، وثم توزيع هذه الأراضي بين الفلاحين توزيعاً عادلاً يتماشى مع حاجاتهم الخاصة وإمكانياتهم على الإحياء.

والأراضي التي تملكها الدولة الإسلامية أو تملك الإشراف عليها هي كما يلي:

أ ـ الأراضي التي استولى عليها المسلمون من بلاد الكفار من دون قتال، سواء كانت أراضي محياة أو ممات. وهي من الأنفال[١].

ب ـ أراضي الفتح الإسلامي العامرة: وهي ملك المسلمين. يشرف عليها الإمام، ويؤجرها أو يستثمرها، ويصرف حاصلها على المسلمين. وهي لا تخص جيلاً دون جيل، وإنما هي للأجيال جميعاً[٢].

ج ـ أراضي الفتح الإسلامي (البائرة): وهي ملك للإمام الممثل لجهاز الحكم، يجعل عليها من يعمرها، أو يودعها من يعمرها؛

---

(١) راجع مستمسك العروة الوثقى: ٩/ ٥٢٠.

(٢) انظر: رياض المسائل: كتاب الجهاد؛ وتذكرة الفقهاء: كتاب الجهاد.

ويصرف ريعها على المرافق العامة.

د ـ أراضي دار الإسلام (البائرة): والأرض الموات ملك للإمام، يصرف ريعها في شؤون الأمة والحكومة، سواء كانت مملوكة وباد أهلها، أم كانت غير مملوكة من أولي الأمر، كالمفاوز والصحاري النائية. فإذا أحياها أحد بإذن الإمام، جاز له أن يتصرف فيها إزاء خراج يدفعه للدولة عن الأرض، وإن كانت الأرض لغيره قبل ذلك؛ لقوله عليه السلام: «من أحي أرضاً ميتة فهي له»[1]. وقد قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الأرض لله، يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين. إنا وأهل البيت الذين أورثنا الأرض، ونحن المتقون، والأرض كلها لنا؛ فمن أحيى أرضاً ميتاً من المسلمين فليعمرها، وليؤد خراجها إلى الإمام»[2].

وفي صحيحة عمر بن يزيد عن الصادق عليه السلام: «إن الأرض كلها لنا فما أخرج الله تعالى منها من شيء فهو لنا»[3].

هـ ـ الأراضي الموقوفة، التي يتولى شأنها الإمام: ويكثر مثل هذه الأراضي في بلاد المسلمين. وقد حث عليه الشارع المقدس، واعتبرها صدقة جارية لأصحابها. ويتولى الإمام شؤونها فيما إذا لم يعين الواقف عليها أحداً.

* * *

ولو قدر للمسلمين أن يطبقوا نظام الأراضي بهذا الشكل، لما كانوا يواجهون اليوم مشكلة باسم «مشكلة الأراضي» أو

---

(١) وسائل الشيعة: إحياء الموات.

(٢) وسائل الشيعة ـ ط ـ: ٣/ ٢٢٦.

(٣) الحدائق النضرة ٥: ٥٦.

«الإقطاع»... ولما احتاجوا إلى الحلول الدخيلة لمعالجة مشكلة الأراضي.

فالدولة في المجتمع الإسلامي تملك الكثرة الغالبة من الأراضي المحياة والموات... فتستثمر الأراضي المحياة، أو تودعها لدى الفلاحين بصورة عادلة... كما تهيئ الوسائل الإنشائية والفلاحية لإحياء الأراضي الموات، وتبديلها إلى حقول عامرة بالنبات ومدن عامرة بالإنسان.

وإذا كان يتم توزيع الأراضي والمواد والوسائل الإنشائية والفلاحية بصورة عادلة، لم يكن ليظهر شيء باسم «الإقطاع» وسوء توزيع الأراضي في البلدان الإسلامية.

٢ ـ سواحل البحار:

وهي ملك الإمام (من الأنفال)، كما ذكره المحقق في «الشرائع»[1].

والمناطق الساحلية ذات أهمية كبرى في التجارة والصيد البحري والحروب والرحلات البحرية وغير ذلك. ويرد الدولة وارد مالي كبير عن طريق الاستيراد والتصدير البحري التجاري، وجباية أموال خاصة تفرضها الدولة على المستوردين والمصدرين.

٣ ـ الغابات والأحراش:

وتعتبر الغابات من أهم ضروريات البلاد؛ وذلك لتأثيرها الكبير في تلطيف الجو وتزويد البلاد بالثروات النباتية.

ولا يحسن الناس، من دون إشراف الدولة، الاستفادة من

---

(١) راجع شرائع الإسلام: الأنفال.

الغابات؛ ولذلك كان من الضروري استيلاء الدولة على الغابات والأحراش.

والغابات تمد الدولة بين حين وآخر بثروة خشبية وغذائية وطبية. وتعتني الدولة عناية كبيرة بالإبقاء على الغابات والأحراش والأجمات، رعاية للمصلحة العامة. وهي في الفقه الإسلامي ملك للإمام، ومن الأنفال:

٤ ـ رؤوس الجبال والأودية:

وهي نقاط غنية بالثروات الأرضية. ويملكها الإمام.

٥ ـ صفايا الملوك وقواطعها:

وهي الإقطاعات الزراعية الكبيرة التي كان يملكها الملوك قبل أن يحكم الإسلام البلاد. وهذه القطائع ـ في الغالب ـ قطع أثرية من الأرض اغتصبها الملوك من الرعايا؛ فيعيد الإمام صرف ريعها على الرعايا المسلمين والمسالمين مرة أخرى.

٦ ـ المعادن والمناجم:

والمعادن: منها المعادن الفلزية، كالذهب والفضة والرصاص والنحاس والحديد... ومنها المايعة، كالنفط والزئبق... والجامدة، وهي التي لا تقبل الصهر، كالأحجار الكريمة والفحم الحجري.

والمعادن والمناجم تمد الصناعة بالمواد الأولية؛ ولذلك، فاستيلاء الدولة على المناجم يعني استيلاء الدولة على الإنتاج الصناعي بصورة عامة، والتمكن من تكييفها بالشكل الذي يلائم العدالة الاجتماعية.

والإمام (رئيس الدولة) في المجتمع الإسلامي يملك كافة المناجم

والمعادن. وهذا ما ذهب إليه علماؤنا الإمامية، كـ «الكليني» وشيخه «القمي» في تفسيره و «المفيد» و «الشيخ الديلمي» و «القاضي»، واختاره في «الكفاية» و«الذخيرة» و«كشف الغطاء»... ويشهد له حديث الصادق عليه السلام عن الأنفال، حيث عدّ المعادن منها[1]. وقوله عليه السلام في جواب من قال: ما الأنفال؟: «منها المعادن والآجام»[2].

والدولة إما أن تقوم بنفسها باستخراج المناجم، وإما أن تعهد أمرها إلى الشركات الخاصة بهذا الأمر لقاء أجر تدفعه.

٧ ـ الأنهار والبحار:

وقد عدّهما «أبو الصلاح» وصاحب «المقنعة» من الأنفال التي يملكها الإمام. ويؤيده بعض الأحاديث الصحيحة[3].

وللبحار أهمية كبيرة من الناحية التجارية والحربية والأسفار... كما أنها تدرّ ربحاً كبيراً على الدولة عن طريق الصيد.

والأنهار كذلك لا تقل أهمية عن البحار. فهي تزود الأراضي المجاورة لها والبلدان القريبة والبعيدة منها بالماء... كما يمكن استغلالها لتوليد الطاقة الكهربائية.

وبذلك، فهي تدر أموالاً كبيرة على الدولة... كما أن الدولة ـ باعتبار استيلائها على الأنهار ـ تتمكن من تأميم مشاريع الماء والكهرباء على الناس.

---

(١) راجع «مستمسك العروة الوثقى»: ط ٢، ٩/ ٥٢٤، ٥٢٥.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر: ٩/ ٥٢٥.

٣ ـ مشاريع الإنتاج والزراعة الحكومية

تزداد حاجة الناس إلى المرافق العامة والتكافل الاجتماعي كلما تتقدم حياة الإنسان. ولا تفي الضرائب المالية التي تتقاضاها الحكومة من الأمة إلا بجزء يسير من نفقات الدولة في تشييد هذه المرافق.

وفي الحالات العامة، يقصر الدخل المالي الذي يرد الحكومة عن طريق الضرائب والعقارات عن تسديد نفقاتها؛ فتضطر الحكومة إلى البحث عن موارد مالية لتغطية نفقاتها المالية.

وتتجه اليوم الدول الرأسمالية والاشتراكية ـ بشكل سواء ـ إلى القيام بإنشاء مشاريع تجارية وصناعية وزراعية، وممارسة الإنتاج والتجارة بصورة واسعة؛ لإيجاد موارد مالية جديدة لتسديد نفقاتها.

وتتم هذه المهمة في الدول الاشتراكية على حساب الشركات الأهلية وإبعاد الفرد عن مسرح النشاط الصناعي والزراعي...

بينما تتم هذه المهمة في الدول الرأسمالية بشكل أخف من ذلك.

وقد قام فعلاً كثير من الدول الرأسمالية بإنشاء مشاريع حكومية للماء والكهرباء، ومصالح المبايعات والسفر والبرق والبريد... وغير ذلك من الشؤون الاجتماعية وحاجات الإنسان.

والدولة الإسلامية في حياة صاحب الرسالة ﷺ وفي عهد الخلفاء الأوائل، لم تكن ـ بحكم الظروف الاجتماعية في ذلك الوقت ـ بحاجة إلى مزيد من الدخل المادي، ولم تضق مواردها المالية عن نفقاتها... وفي الوقت نفسه لم تغلق على

نفسها أبواب هذا الدخل المادي المشروع عند ما تلجأ الظروف المادية إلى البحث عن موارد مالية جديدة.

ويعتبر إنشاء المشاريع الحكومية للتجارة والإنتاج من أهم هذه الوسائل التي تدر على الحكومة دخلاً مادياً كبيراً يغطي كثيراً من نفقاتها.

ولا يفقد الباحث في النظام المالي للدولة الإسلامية ـ في حدود ما عرضنا له في هذا الحديث ـ ملامح عامة لمسألة توفر الحكومة على الإنتاج والتجارة، بشكله المشروع، في القطاع العام.

فقد رأينا ـ فيما تقدم من هذا الحديث ـ أن الدولة تستولي على الأراضي المحياة والموات المفتوحة عنوة، والأراضي التي انجلى عنها أهلها، والأراضي الموات بشكل عام... وأنه لا يجوز لأحد أن يتصرف في شيء من هذه الأراضي بغير إذن خاص من الإمام.

وفي مثل هذه الوضعية التشريعية، لا يتيسر لأحد ـ مهما بلغت إمكانياته ـ أن يملك من الأراضي الزراعية أكثر من حاجته الخاصة بشكل يؤدي إلى الإضرار بالآخرين، وأن يقتطع قطعاً كبيرة من الأراضي الزراعية بشكل يؤدي إلى ظهور «الإقطاع».

والدولة وحدها هي التي تملك الإمكانيات النقدية والأرضية الواسعة التي تمكنها من إحياء قطع كبيرة من الأراضي لحسابها، والقيام بممارسة النشاط الزراعي بصورة واسعة تتجاوز حدود طاقة الفرد، وإحداث مزارع وحقول نموذجية تخضع للتطورات الزراعية الجديدة.

هذا في المجال الزراعي...

وفي المجال التصنيعي: تستولي الدولة على كافة المواد الصناعية الخام بصورة مباشرة أو غير مباشرة، من مواد معدنية ونباتية.

والشركات الصناعية الأهلية لا تتيسر لها أن تستحصل شيئاً من هذه المواد إلا بمقدار.

والدولة وحدها ـ بحكم هذا الاستيلاء ـ يتيسر لها أن تنشئ مؤسسات صناعية كبيرة، وتستولي على سير التصنيع في البلاد.

وإذا تم للحكومة الاستيلاء على الأوضاع الإنتاجية وتسيير النشاط التصنيعي والزراعي، فسوف تلتجئ إلى ممارسة النشاط التجاري لنقل هذه المنتجات إلى الأسواق، ومنها إلى أيدي المستهلكين.

ولا يمكن ـ عادة ـ فصل النشاط التجاري عن النشاط الإنتاجي، مهما كان شكله وحدوده.

وبهذا الشكل، نجد أن الإطار التشريعي للنظام المالي في الإسلام تستدرج الحكومة بصورة تدريجية إلى النزول إلى الأسواق وممارسة النشاط الإنتاجي والتجاري.

على أننا لا ننسى أن نشير إلى أن الغرض من مداخلة الحكومة في النشاط التجاري والإنتاجي ليس هو الدخل المادي فحسب...

وإنما الغرض منها ـ قبل ذلك كله ـ تكييف وضع الإنتاج والتجارة في البلاد، وتلطيف الأجواء التجارية والإنتاجية، والمحافظة على مستوى الأسعار.

وعلى العكس من النظم الاشتراكية المتطرفة، لا يحاول الإسلام أن يحتل الأسواق التجارية ويقضي على النشاط الإنتاجي والتجاري في البلاد... ولا يؤمن بسلامة هذا النظام. فإن الفردية ركن هام

من أركان النشاط الإنتاجي، والقضاء على الإنتاج الفردي يؤدي إلى شلل جهاز الإنتاج في البلاد.

والدولة في المجتمع الإسلامي حينما تدخل الأسواق التجارية لا تمثل السلطة العامة، وإنما تتدخل في النشاط الإنتاجي والتجاري كما يتدخل أي فرد آخر في هذا العمل يملك إمكانيات مادية أوسع مما يملكه الآخرون.

والجهاز الحكومي للإنتاج والتجارة لا يتأتى له أن يستمر في العمل ما لم تسيّر نفسه وتمونه بما يدر عليه هذا العمل من ربح مادي، وما لم تستحصل على ربح مادي تستخدمه في تسيير مرافق البلاد العامة.

ومما تقدم يتبين شكل المشاريع الحكومية التجارية والإنتاجية في المجتمع الإسلامي...

فالدولة تدخل «أولاً» في العمل كما يدخل أي فرد آخر، وينشئ مع الآخرين علاقات وروابط تجارية كما يرتبط الآخرون بغيرهم بسلسلة من العلاقات والروابط التجارية. ولا يحق لها أن تتحكم بما تملك من قوة تنفيذية في أوضاع الأسواق، كما لا يحق لها أن تلجئ الشركات الأهلية إلى الانسحاب عن السوق بشكل من الأشكال.

وتطلب الدولة «ثانياً» من وراء نشاطها الإنتاجي والتجاري ربحاً مادياً عادلاً، لتغطية نفقاتها العامة، ولتسيير الجهاز ذاته.

وأي فرد آخر أو شركة أهلية يستطيع أن يعارض الجهاز الحكومي فيما دون هذا المستوى من الربح أو في المستوى نفسه؟

والفائدة التي تجنيها الأمة من مداخلة الحكومة في الإنتاج والتجارة هي تحديد الأسعار في مستوى عادل، وتكييف أوضاع السوق إلى صورة عادلة، بعيدة عن الأثرة والاحتكار والتحكم في الأسواق.

وكل من خطر له على بال أن يستغل حاجة السوق ليرفع من أسعار البضائع، أو خطر له أن يحتكر البضاعة لحين آخر. فالأجهزة الحكومية تقف له بالمرصاد، وتتحداه، وتراقبه رقابة لا هوادة فيها.

فهي في الوقت الذي تدر على الحكومة دخلاً مالياً كبيراً، تعتبر أداة لتلطيف أجواء الإنتاج والتجارة في البلاد.

٤ ـ القرض

وكثيراً ما تقوم الدول بإنشاء مشاريع زراعية وثقافية وصحية وعسكرية كبيرة... كإنشاء السدود والجسور والبنايات، وإحداث الطرق والشوارع المبلطة، والمدن والقرى النموذجية...

وإنشاء هذه المشاريع يتطلب رصيداً مالياً كبيراً يخرج عن عهدة الحكومة، ولا تفي الضرائب والموارد التي ترد الحكومة عن طريق العقارات وغيرها بتمويلها.

في مثل هذه الأحوال، لا تفقد الدولة الإسلامية مبررات شرعية لتمويل هذه المشاريع عن طريق عقد قروض طويلة الأجل، تدفعها الحكومة بشكل أقساط يمتد أداؤها إلى الأجيال اللاحقة.

وقد ترجع الدولة في عقد قروض طويلة الأجل إلى أفراد الأمة

مباشرة، وقد ترجع إلى البنوك الأجنبية، كما قد ترجع إلى الدول الأخرى.

ولا يجوز للدولة ـ من جهة شرعية ـ أن تدفع إزاء هذه القروض أرباحاً نقدية وغير نقدية، إلا إذا كانت تضطر إلى ذلك لحاجة ضرورية... فتصطنع في ذلك بعض المبررات الشرعية التي يذكرها الفقهاء في باب «الربا» من الفقه.

وهنا يبدو للباحث الفقيه اعتراضان على هذا النحو من القروض نحاول أن نجيب عليهما بصورة سريعة:

فقد يثار التساؤل عن جواز تحميل خزانة الدولة تبعات أداء هذه القروض، ولا سيما إذا كانت خزانة الدولة قاصرة عن أداء نفقات هذه المشاريع.

وقد يتساءل ثانياً عن مشروعية تحميل الأجيال التالية تبعات أداء هذه القروض التي عقدتها الأجيال السابقة ولم تشترك هي في شأن من شؤونها.

ويظهر الجواب عن التساؤل الأول إذا علمنا أن النظام المالي للمجتمع الإسلامي قرر سهماً خاصاً من سهام الزكاة لأداء ديون الغارمين ـ إذا كانت هذه الديون لأغراض مشروعة.

والدولة الإسلامية ـ كشخصية حقوقية يمثلها الحاكم الأعلى ـ تتمتع بكافة الحقوق الشرعية التي يتمتع بها سائر الأشخاص في الدولة؛ ولذلك، فمن حقها أن تستغل هذا الحق الشرعي لأداء ديونها بشكل أقساط وحسب إمكانيات الخزينة.

وفيما يخص التساؤل الثاني: ينبغي أن نشير إلى أن الاستفادة

من هذه المشاريع لا تخص الجيل الحاضر؛ بل يتاح للأجيال القابلة أن تستفيد من هذه المشاريع بصورة أوسع.

وأكثر من ذلك، نجد أن هذه القروض قد تستخدم لتوسيع مشاريع الإنتاج الصناعي والزراعي وإنتاج المكائن والأدوات النقلية.

والجيل الحاضر لا يستطيع أن يستفيد من هذه المشاريع في توسعة نشاطها الإنتاجي وواردها المالي كما تستفيد منها الأجيال اللاحقة.

فمن وجهة شرعية، نجد أن هذه القروض تقع لصالح الأجيال اللاحقة أكثر من أن تقع لصالح الجيل الحاضر.

والدولة ـ كشخصية معنوية ـ لا تفنى بموت شخص الإمام أو الرئيس. ولذلك، فليس هناك ما يمنع من تحمل الدولة لأعباء هذه القروض في الأجيال اللاحقة، بعد صحة وقوع العقد. نظراً لاستمرارية الدولة، ووجود المصلحة المبررة؛ ونظراً لاستغلال الأجيال المقبلة لهذه المشاريع.

وبهذه الصورة، نجد أن الدولة الإسلامية تستطيع أن توفر لنفسها مورداً مالياً للقيام بأعمال عمرانية وفلاحية وتصنيعية عن طريق عقد القروض الطويلة الأجل.

٥ ـ شؤون الولاية العامة

الفيء:

وهو ما يرجع إلى المسلمين من المشركين، مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب... وما يتركه الكفار للمسلمين من غير أن يقاتل عليه

المسلمون. ويشمل الأموال المنقولة ـ كالنقود والأثاث ـ وغير المنقولة ـ كالعقارات.

ويملكها رئيس الدولة الإسلامية ليصرفها في شؤون الدولة العامة والمصالح الاجتماعية.

والأصل التشريعي لذلك قوله تعالى:

﴿وما أفاء الله على رسوله منهم، فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء، والله على كل شيء قدير﴾[1].

إرث من لا وارث له:

بما أن الإمامة هي الولاية الشرعية على المسلمين... يعتبر الإمام وارثاً لمن لا وارث له من أقارب وموالي. والذي يموت عن غير وارث من الأقارب والموالي، يضبط أمواله فوراً لينقل إلى خزينة الدولة.

* * *

وبعد...

ذلك إجمال من تفصيل عن موارد الدولة المالية في المجتمع الإسلامي. ولا بد أن الباحث قد لمس بنفسه ـ خلال هذا البحث ـ ملامح العدالة الاجتماعية في تخطيط هذه الموارد، وتوزيع الضرائب منها بصورة خاصة على طبقات الأمة بشكل عادل.

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٦. راجع في ذلك تفسير مجمع البيان: ٩/ ٢٥٩، ٢٦٠.

نفقات الدولة

تمهيد

بعد أن استعرضنا الملامح العامة لموارد الدولة الإسلامية بصورة سريعة. . . يأتي دور البحث عن النفقات العامة للدولة.

والنفقات العامة ـ عادة ـ هي التي تحدد موارد الدولة من حيث السعة والضيق.

وقد رأينا ـ فيما تقدم من هذا الحديث ـ أن الموارد المالية للدولة الإسلامية تتصف بصلاحية واسعة لتغطية النفقات العامة للدولة، مهما توسعت هذه النفقات وازدادت.

تعريف النفقات

ونعني ـ عادة ـ من هذه الكلمة: صرف مبالغ مالية لتقديم خدمات عامة لأفراد الأمة، وتسيير المرافق العامة في البلاد وإعاشة الفقراء.

* * *

ومما تقدم، يظهر للباحث أمور ثلاثة:

١ ـ أن الحكومة لا تستنفد هذه الخدمات العامة عن أفراد الأمة لمصلحتها من غير أجر، وبدون تقديم جزاء عادل. . . بعكس كثير من الحكومات التي كانت تسبق الإسلام أو التي لحقت الإسلام.

وليس بغريب عنا أساليب العنف التي كانت تستعملها الحكومة

القيصرية لتشغيل العمال بسحب العربات الثقيلة والقيام بالأعمال الشاقة، من غير إجراء وجزاء... اللهم إلا مما يقوّم أجسامهم من الخبز والماء. وجاء الإسلام بأصل تشريعي هام يقضي باحترام عمل المؤمن أو احترام شخصه.

فلا تجوز أعمال السخرة وتسخير الفرد لمصلحة الحكومة أو الأمة، ولا يجوز استخدام فرد في عمل... ما لم يرتفع عنصر الإجبار عن العمل أولاً، ويدفع للعامل جزاء عمله ثانياً بشكل عادل.

جاء قوم من بعض الأقاليم إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ليقولوا له: إن في بلادهم نهراً قد طمرت الأيام مجراه فعفا، وإن في حفره من جديد خيراً لهم... ورجوه بعد ذلك أن يأمر عامله على إقليمهم بأن يسخرهم في احتفار النهر...

فما كان من علي عليه السلام إلا أن قبل فكرة احتفار النهر... غير أنه أبى عليهم ما ارتضوه لأنفسهم من التسخير... فكتب إلى عامله ـ واسمه قرضة بن كعب ـ يقول:

«أما بعد: فإن قوماً من أهل عملك أتوني فذكروا أن لهم نهراً قد عفا ودرس، وأنهم إن حفروه عمرت بلادهم وقووا على كل خراجهم، وزاد في‌ء المسلمين قبلهم. وسألوني الكتاب إليك لتأخذهم بعمله وتجمعهم لحفره والإنفاق عليه. ولست أرى أن أجبر أحداً على عمل يكرهه... فأدعهم إليك، فإن كان الأمر في النهر على ما وصفوا، فمن أحب أن يعمل فمره بالعمل. والنهر لمن عمل دون من كرهه.

ولئن يعمروا ويقووا أحب إليّ من أن يضعفوا. والسلام»[1].

٢ ـ يجب على الحكومة فقط ـ بصفتها صاحبة السلطة الشرعية ـ أو الإمام فقط ـ بصفته رئيساً للحكومة ـ القيام بهذه النفقات...

بعد البحث والدراسة العميقة لملابسات الحياة الاجتماعية، وحدود ميزانية الدولة، واستشارة ذوي الخبرة في الموضوع.

٣ ـ توزيع هذه الخدمات بصورة عادلة على أبناء الأمة، من غير لحاظ جانب شخصي أو نفوذ اجتماعي.

وقد رأينا أن الحكومة الإسلامية كانت تفرض الضرائب المالية على الأفراد في حدود إمكانياتهم المالية بصورة عادلة، من غير ملاحظة أية جهة شخصية.

وهذه التسوية في فرض الضرائب تقتضي التسوية في توزيع الخدمات وتقديم النفقات على أبناء الأمة.

وأي تمييز في توزيع هذه الخدمات على أبناء الأمة يعتبر خروجاً عن حدود التشريع.

عرض لنفقات الدولة:

ولكي نبحث عن نفقات الدولة الإسلامية، أحب أن نواكب آية الزكاة وآية الخمس، ونستعرضهما عرضاً سريعاً.

فقد جمعت هاتين الآيتين وجوهاً كثيرة من نفقات الدولة الإسلامية في عرض سريع وموجز.

قال الله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين، والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم، وفي الرقاب، والغارمين، وفي سبيل الله،

---

(١) الإمام علي صوت العدالة الإنسانية: ١٣٢.

وابن السبيل. . .﴾[1].

ويلمح الباحث في سياق الآية الكريمة نحوين من المصارف، يختص الأول بتملك هذه النفقات، ويختص الثاني بصرفها عليه.

ويشعر بذلك موضع «اللام» و «في» في الآية الكريمة.

فقد أضافت الآية الكريمة الصدقات إلى الفقراء والمساكين والعاملين والمؤلفة قلوبهم بـ «اللام»، مما يشعر بأنهم أشخاص حقيقيون يملكون هذه الصدقات.

وإضافة ﴿الصدقات﴾ إلى ﴿الرقاب﴾ و ﴿الغارمين﴾ و ﴿سبيل الله﴾ و﴿ابن السبيل﴾ بكلمة ﴿في﴾ أو بالعطف عليها مما يشعر بأنها مرافق عامة وجهات اجتماعية تختص بهذه المصارف وليست أشخاصاً تملك ذلك.

فالنفقات المالية للدولة الإسلامية على نحوين:

١ ـ نفقات عامة تبذل على أشخاص حقيقيين يملكونها.

٢ ـ نفقات عامة تصرف على جهات ومرافق اجتماعية تختص بها من دون أن تملكها.

وعلى ضوء من هذا النهج، نحاول أن نستعرض آية الزكاة بالبحث الفقهي. . . ونتناول هذه المصارف واحداً بعد آخر.

١ ـ النفقات الشخصية

وهي النفقات التي تبذل للأشخاص التالية أسماؤهم:

١ ـ الفقراء، ٢ ـ المساكين، ٣ ـ العاملون عليها، ٤ ـ المؤلفة قلوبهم.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

(١، ٢) ـ الفقراء والمساكين:

الظاهر أن المسكين أشد فقراً من الفقير، بحيث يضطر أن يمد يده للسؤال.

والفقير هو المحتاج المتعفف، الذي لا يملك قوت سنته، ولم يبلغ به الحال حد الاستجداء[١].

والفقراء والمساكين ـ في حدود هذا المعنى ـ يملكون سهماً من سهام الزكاة، يصرفونه على شؤونهم الخاصة والعامة مما يحتاجون إليه.

أقسام الفقر:

والفقر على ثلاثة أقسام:

فقد ينشأ الفقر عن عجز الشخص عن الاكتساب، لآفة في جسمه أو لعاهة تلازمه.

وقد يكون الشخص قادراً على الاكتساب، ولا يحمل أي مرض يقعده عن العمل... ولكن اشتغاله بالخدمات العامة يمنعه عن الاكتساب، فلا يملك قوت سنته.

وقد يكون الشخص سليماً قوياً فارغاً من أي نشاط عملي أو فكري، مهملاً، عاطلاً.

ولكل من هذه الأقسام الثلاثة حكم خاص في التشريع الإسلامي:

أ ـ المرض والشيخوخة:

فإن كان الفقر ناشئاً عن عجزه عن العمل لعاهة جسمية أو مرض

---

(١) راجع تفسير التبيان: ٥/ ٢٨٣. وتفسير الطبري: ١٠/ ١٥٩.

عصبي أو شيخوخة، فلا شك في شمول الآية له.

ب ـ القائمون بالخدمات العامة:

وقد يكون الفقر ناشئاً عن الاشتغال بالخدمات الاجتماعية العامة، كالتعليم، والتبشير، والدعوة، والطبابة، وحفظ الأمن الداخلي، وحفظ الثغور، والجهاد، والإدارة... وما شابه ذلك.

وهؤلاء ـ في الغالب ـ أناس يصلحون للاكتساب والعمل، وليس بهم شيء من الكسل أو الإهمال... ولكن اشتغالهم بالخدمات الاجتماعية لا يفسح لهم مجالاً للعمل والاكتساب، فيدخلون في عداد الفقراء الذين لا يملكون قوت سنتهم.

ولكي لا نتقزز من إطلاق هذه الكلمة على أشخاص محترمين لهم مكانتهم الاجتماعية، ينبغي أن نشير ثانياً إلى أن الآية الكريمة لا تقصد بالفقراء السائلين باليد، أو المقعدين والعاجزين والمرضى فحسب... وإنما تشمل كل من يقصر ماله عن تمويله سنة كاملة (واحدة).

وفي هؤلاء من يملك بيتاً يليق بشأنه، ومركباً خاصاً، وخادماً، ومرافق أخرى تليق بشأنه الخاص.

قال السيد الطباطبائي اليزدي:

«ودار السكنى والخادم وفرس الركوب المحتاج إليها بحسب حاله، ولو لعزه وشرفه، لا يمنع من إعطاء الزكاة وأخذها»[1].

ولا يقتصر فيما يدفع لهم على قدر الحاجة والكفاف، وإنما يبذل لهم من مال الزكاة ما يلائم مكانتهم الاجتماعية وما يغنيهم.

فقد سئل أبو جعفر عليه السلام: «كم يعطى الرجل من

---

(١) العروة الوثقى: كتاب الزكاة.

الزكاة؟ فقال: أعطه من الزكاة حتى تغنيه»[1].

وقال أحد لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: «أعطي الرجل من الزكاة مائة درهم؟ قال: نعم. قال: مائتين؟ قال: نعم. قال: خمسمائة؟ قال: نعم... حتى تغنيه؟»[2].

وكذلك يظهر للباحث من خلال الكتاب والسنة أنه ليس في تقبل هذه الطائفة للزكاة ما يشعر بالضعة، وإنما هو حق طبيعي لهم، يتقاضونه من الدولة كما يتقاضون أي حق آخر لهم.

ويدخل رجال الثقافة، والفقهاء، والعلماء، والأطباء، ورجال الشرطة، والإدارة، والجند... في عداد هؤلاء، وتيسر لهم الدولة حياتهم المادية؛ ليتفرغوا لما يقدمون للمجتمع من خدمات عامة، وإن كانوا يقدرون على الاكتساب.

قال الفقيه اليزدي في «العروة الوثقى»:

«لو اشتغل القادر على الكسب بطلب العلم المانع عنه، يجوز له أخذ الزكاة إذا كان مما يجب تعلمه عيناً أو كفاية؛ وكذا إذا كان مما يستحب تعلمه»[3].

وعن مؤلف «جواهر الكلام» عن «نهاية الأحكام»و «السنن» و«التحرير» وغيرها:

«لو كان التكسب يمنع عن التفقه في الدين، جاز أخذها؛ لأنه مأمور به إذا كان من أهله... وجاز الاشتغال بالتعليم والتعلم عن

---

(١) جواهر الكلام: كتاب الزكاة.

(٢) نفس المصدر.

(٣) العروة الوثقى: كتاب الزكاة.

الاكتساب»[1].

وكذلك شأن القضاة والحكام، والجند والشرطة، وأطباء المستشفيات العامة، والسعاة ـ كما تصرح به الآية الكريمة ـ من الذين يقومون بالخدمات الاجتماعية داخل الإدارة الحكومية وخارجها.

أصل التوظيف في الإسلام:

ومن هنا يتبين للباحث شكل «التوظيف» في الدولة الإسلامية.

فالراتب الذي يأخذه الموظف في مجتمع غير إسلامي... إنما يأخذه تجاه ما يقدمه من خدمات اجتماعية في حقول الثقافة والطب والمحافظة على الأمن والإدارة...

... أما في الدولة الإسلامية، فهذه الخدمات تعتبر واجبات شرعية عينية أو كفائية، يستحقها المجتمع على كل فرد مسلم أو فرد خاص بعينه.

فالمريض يستحق على الطبيب المعالجة، والجاهل يستحق على العالم التثقيف، والمجتمع يستحق على رجال الشرطة والجند الأمن الداخلي والخارجي، والأمة تستحق على الحكومة الرعاية... ولا يجوز مطالبة شيء ـ عادة ـ إزاء هذه الحقوق، إذا اعتبرناها فرائض شرعية واجبة.

وما يقدم لهم ليس إلا مساعدة محترمة يقوم بها المجتمع بالنسبة إلى هؤلاء، ليتفرغوا لمهامهم الاجتماعية.

فلا يجوز للأستاذ أن يتقاضى أجراً من الدولة إزاء تدريسه، كما لا يجوز للجندي أن يتقاضى أجراً إزاء حمايته للوطن، ولا يجوز للطبيب

---

(١) جواهر الكلام، كتاب الزكاة: ٧٧.

أن يتقاضى شيئاً إزاء معالجة المرضى ـ إذا توقف العمل عليهم وكان واجباً كفائياً أو عينياً عليهم.

قال الفقيه الشيخ الأنصاري(رحمه الله) في «المكاسب»:

«مما يحرم التكسب به ما يجب على الإنسان فعله عيناً أو كفاية، تعبداً أو توصلاً، على المشهور ـ كما في «المسالك» ـ، بل عن «مجمع البرهان» كان دليله الإجماع»[1].

تخلص فقهي:

وفي الأوضاع الاجتماعية التي عاصرت التاريخ الإسلامي، لم يتحقق الشكل السليم للمجتمع الإسلامي. ولذلك لم تؤمم الحاجات الرئيسية للمجتمع، ولم يضمن القائمون بالخدمات الاجتماعية من قبل الدولة بالشكل الذي يريده الإسلام.

فكان هؤلاء يضطرون إلى الاحتيال بصورة شرعية لأخذ الأجرة لإمرار حياتهم الخاصة.

وقد أربك هذا الواقع اللا إسلامي موقف الفقهاء...

فالضرورة تلجئهم إلى الاعتراف بذلك من جانب... والأدلة الشرعية تمنعهم عن ذلك من جانب آخر.

فتجد هذا الموقف المربك الحاصل من محاولة الجمع بين ضرورة الأوضاع الاجتماعية غير الإسلامية وبين مقتضى الأدلة الشرعية في كلام الشيخ الأنصاري:

«ثم إنه قد يفهم من أدلة وجوب الشيء (أي الخدمات الاجتماعية) كونه حقاً لمخلوقه يستحقه على المكلفين. فكل من أقدم عليه فقد أدى حق ذلك المخلوق. فلا يجوز له أخذ الأجرة منه ولا من غيره ممن

---

(١) المكاسب للشيخ الأنصاري: ١/ ٦١.

وجب عليه أيضاً كفاية. ولعل من هذا القبيل تجهيز الميت وإنقاذ الغريق، بل ومعالجة الطبيب لدفع الهلاك.

«ثم إن هنا إشكالاً مشهوراً، وهو أن الصناعات التي يتوقف النظام عليها يجب كفاية لوجوب إقامة النظام. بل قد يتعين بعضها على بعض المكلفين عند انحصار المكلف القادر فيه... مع أن جواز أخذ الأجرة مما لا كلام فيه. وكذا يلزم أن يحرم على الطبيب أخذ الأجرة على الطبابة، لوجوبها عليه كفاية أو عيناً. وقد يتقصى عنه بوجوه»[1].

ومما تقدم يبدو واضحاً للباحث شكل التوظيف في المجتمع الإسلامي. فهو حق يقدمه الموظف للمجتمع من غير أن يحق له أن يطالب بجزاء عنه. والدولة بدورها يجب عليها تقديم المساعدات المادية المحترمة إليه، حتى يتفرغ للعمل.

ج ـ الفقراء المهملون

وهؤلاء هم طائفة من الناس يؤثرون حياة الذل ـ إذا كان فيه شيء من الراحة ـ على أن يخوضوا ميادين الحياة، ويعتمدوا على ما يدره عليهم عطف الناس، وإن كان ضئيلاً مقروناً بالذل.

ويقف التشريع الإسلامي موقفاً حاسماً من هؤلاء. ولا يجوز تقديم أي مساعدة مالية من بيت المال لهؤلاء مهما بلغ الأمر.

قال الفقيه الشيخ محمد حسن (صاحب الجواهر):

«فمن يقدر على اكتساب ما يموّن نفسه وعياله على وجه يليق بحاله، لا تحل له؛ لأنه كالغني. وكذا ذو الصنعة اللائقة بحاله التي

---

(١) المكاسب: ١/ ٦٣.

تقوم بذلك، كالتجارة والحياكة ونحوهما، بلا خلاف معتد به»[1].

٣ ـ العاملون عليها:

وهم السعاة والجباة الذين يقومون بجمع الضرائب المالية وجبايتها، والولاية عليها، وتنظيم شؤونها وتسجيل حساباتها.

٤ ـ المؤلفة قلوبهم:

وهم كفار يستمالون للجهاد مع المسلمين، أو مسلمون ضعفاء الإيمان يستمالون إلى حفظ الثغور والأمن في الوطن الإسلامي.

. . . ذلك فيما يخص الأشخاص الذين تبذل لهم الدولة النفقات التي تنهض بأمرهم.

٢ ـ الجهات والمرافق العامة

وفي الرقاب، والغارمين، وفي سبيل الله:

قلنا ـ فيما تقدم من هذا الحديث ـ أن موقع ﴿في﴾ في الجزء الثاني من الآية الكريمة يشعر بأنه من الإنفاق على جهة عامة أو مصلحة اجتماعية، وليس من الإنفاق على شخص خاص أو تمليك لفرد من الأفراد.

ومن ذلك يستظهر الباحث أمرين:

الأول ـ أن مصرف الزكاة في الآية الكريمة لا يقتصر على الأشخاص، بل يشمل الجهات العامة والمرافق الاجتماعية التي تخدم المصلحة العامة من الجهات المذكورة في الآية، كما تشمل الأشخاص المعوزين والعاملين والمؤلفة قلوبهم.

---

(١) جواهر الكلام: كتاب الزكاة: ٧٧.

وقد أساءت المالكية فهم هذه الآية بوجهها وسياقها الخاص، حيث قالت:

«لا يجوز أن يصرف الزكاة في بناء مسجد أو مدرسة أو حج أو جهاد أو إصلاح طريق أو سقاية أو قنطرة أو نحوها من تكفين ميت، ولكل ما ليس فيه تمليك، لمستحق الزكاة»[1].

وقد رأينا ـ فيما تقدم ـ أن الإنفاق قد يتم عن طريق التمليك لفرد من الأفراد، كما قد يتم عن طريق الإنفاق على مشروع خيري أو مصلحة اجتماعية تخدم الأمة من الجهات المتقدمة في الآية الكريمة.

الثاني ـ أن استغلال هذه المرافق لا يخص الطبقات الفقيرة من المجتمع... وإنما هي مرافق عامة للعموم.

ومن هنا قال الفقيه كاشف الغطاء(رحمه الله):

«لا يعتبر في المدفوع إليه الإسلام والإيمان، ولا عدالة ولا فقر ولا غير ذلك»[2].

وقال آية الله الحكيم في المستمسك:

«هل تعتبر الحاجة إلى الزكاة في مصرف هذا السهم أولا؟ وهل يعتبر الفقر... أم لا يعتبر كما عن «كاشف الغطاء»، واختاره في «الجواهر»، لقرب احتمال أن يكون المراد بها أنه لا تحل له على نحو التمليك، ولو كان المصرف ﴿سبيل الله﴾. ولذا لا يظن الإشكال في جواز انتفاع الغني بالقناطر والخانات»[3].

فإذن، تكون جملة من هذه السهام لرفع مستوى الحياة العامة

---

(١) الفقه على المذاهب الأربعة: كتاب الزكاة.

(٢) جواهر الكلام: كتاب الزكاة: ٩١.

(٣) مستمسك العروة الوثقى: ط١، ٩/ ٢٣٧.

وليست لخدمة طبقة خاصة، وجزء منها فقط يخصص لمصلحة الفقراء والمعوزين كأشخاص وجماعات.

في سبيل اللّه:

«سبيل الله» جهة من مصارف الزكاة، ولا يعنى به شخص خاص.

ومعنى «سبيل الله»: الطريق الذي يؤدي إلى رضاء الله تعالى. وهو يشمل كافة المرافق الاجتماعية الخيرية. وإضافة «السبيل» إلى «الله» من شؤون هذا المعنى.

وليس في هذه الكلمة ما يدل على حصر دلالتها على الجهاد والغزو فقط وما يلزمهما من شؤون وعدة.

ولذلك، فقد توسع العلماء في تفسير هذه الكلمة...

قال الفقيه الشيخ محمد حسن (صاحب الجواهر) ـ رحمه الله ـ:

«... فلا ريب حينئذ في أن الأقوى عموم (سبيل الله) لكل قربة. فيدخل ـ حينئذ ـ جميع المصاريف ويزيد عليها. وإنما يفارقها في النية. ضرورة شموله لجميع القرب، من بناء الخانات وتعمير روضة أو مدرسة أو مسجد، أو إحداث بنائها، أو وقف أرض أو تعميرها أو وقف كتب علم أو دعاء ونحوها أو تزويج عزّاب أو غيرها، أو لتسبيل نخل أو شجر أو ماء، أو مأكول، أو شيء من آلات العبادة، أو إحجاج أحد، أو إعانة على زيارة، أو في قراءة أو في تعزية، أو تكرمة علماء أو صلحاء أو نجباء، أو إعطاء أهل الظلم والشر ليخلص الناس من ظلمهم ومن شرهم، أو إعطاء من يدفع الظلم عن الناس ويخلّص الناس من شرّهم، أو بناء ما يتحصن به المؤمنون عنهم

وشراء الأسلحة لدفاعهم، أو إعانة المباشرين لمصالح المسلمين، من تجهيز الأموات أو خدمة المساجد والأوقاف العامة. . . أو غير ذلك.

«ومن هنا قال الأستاذ في كشفه: إنه لا يعتبر في المدفوع إليه الإسلام والإيمان، ولا عدالة، ولا فقر، ولا غير ذلك؛ للصدق»[1].

وأحب أن ألفت النظر إلى الفقرة الأخيرة التي نقلها الشيخ مؤلف «جواهر الكلام» عن «كاشف الغطاء» فيما يخص الفئات التي تستفيد من هذا المورد المالي.

فإن هذا السهم من سهام الزكاة لما كان يخص المرافق الحياتية العامة، فلا يمكن تخصيصه بالمسلمين أو المؤمنين أو العدول منهم خاصة؛ نظراً إلى أن المرافق المدنية موضوعة للخدمات الاجتماعية العامة، وليست تخص فئة بذاتها.

* * *

ولنعقب مصرف الزكاة في القرآن بآية من القرآن الكريم في مصرف الخمس: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن للّه خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل. . .﴾[2].

والظاهر من الآية الكريمة: أن خمس الغنائم والمكاسب يقسم على ستة سهام.

(١) سهم منه لله. (٢) وسهم للرسول. (٣) وسهم لولاة الأمر بعد الرسول (ذوي القربى). (٤) وسهم لليتامى من بني هاشم. (٥) وسهم للمساكين منهم. (٦) وسهم لأبناء السبيل منهم.

والنصف الأول من السهام الستة يعود إلى ولي الأمر ـ وهو

---

(١) جواهر الكلام ـ كتاب الزكاة ـ: ٩١.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

سهم الله والرسول وذوي القربى ـ وليس لعامة المسلمين، وإنما هو من أموال الدولة الخاصة، ينفقها ولي الأمر على المصالح والمرافق الاجتماعية وحاجات الحكومة الخاصة، بالشكل الذي يرتئيه الحاكم الشرعي الأعلى للدولة الإسلامية.

وهذا وارد مالي كبير للدولة الإسلامية، يساوي عشر الوارد الصافي العام لمجموع الأمة، تصرفه الدولة على المرافق الاجتماعية في الدولة.

والنصف الآخر منه ـ وهو سهم ﴿اليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ ـ يعود لأشخاص الفقراء من بني هاشم، فإن نقص عن حاجة الفقراء من بني هاشم فليكمله الإمام من سهم ولي الأمر، وإن زاد على حاجاتهم شيء أضاف الزائد إلى حصة الدولة[1].

وتخصيص فقراء بني هاشم بهذا الجزء من الخمس لعدم استحقاقهم شيئاً من زكاة الآخرين. فجعل الله ذلك لهم عوضاً عن الزكاة.

وإذا أضيف الزائد من سهام الفقراء من بني هاشم إلى سهم ولي الأمر ـ وهي تزيد غالباً على حاجاتهم، إذا تشددت الدولة في جبايتها ـ بلغ وارد الدولة من صافي الأرباح والمكاسب حدود الخمس.

وهذا وارد مالي ضخم، يضاف إلى واردات الحكومة الإسلامية الأخرى، ويمكنها من القيام بكثير من المشاريع والمرافق والحاجات العامة في البلاد.

ومما يدل على أن النصف الأول من السهام الستة ملك لجهة خاصة هي الحكومة الإسلامية، وليس لشخص ولي الأمر... وهو عطف

---

(١) راجع مصباح الفقيه: الزكاة: ١٤٥.

«الرسول» و «ذوي القربى» على «الله».

وواضح أن الغرض من إضافة السهم الأول من الخمس إلى الله تعالى ليس هو الملكية، وإنما هو تخصيص هذا الجزء من الخمس لشؤون الولاية والحكومة الشرعية... وكذلك سهم النبيﷺ بعد وفاته.

والغرض من إرث الإمام الحاكم لسهم الله ورسوله هو الخلافة ونهوض الإمام بعد النبي بشؤون الولاية والحكومة خلافة عن الله ورسوله. وليس الغرض هو الوراثة النسبية والسببية.

فالنصف الأول من السهام الستة يعود إلى الحكومة الإسلامية التي يلي أمرها الحاكم الشرعي، والنصف الثاني منها يعود إلى فقراء بني هاشم بعد إضافة الزائد منه إلى سهم ولي الأمر.

ولأمر ما عطف «الرسول» و«ذوي القربى» على «الله» باللام، ووحّدها سياقاً جملياً واحداً هو العطف باللام: ﴿فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى﴾ وعطف اليتامى والمساكين وابن السبيل عليهم بغير اللام: ﴿واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾.

ولا يخلو وجود هذين السياقين في التعاطف في النصف الأول والنصف الثاني من الآية الكريمة عن دلالة على وجود تفاوت في إضافة السهام إلى هاتين الطائفتين.

ولا يهمنا نحن بهذا الصدد الحديث عن عصر حضور الإمام، وإنما نريد أن نحدد ملامح النظام في عصر الغيبة؛ حيث يتولى الفقيه الجامع للشرائط مهام الحكومة الشرعية والولاية نيابة عن الإمام.

وفي مثل هذه الحالة لا تعود السهام إلى شخص الفقيه، وإنما

لجهة الولاية والحكومة التي يتولاها الفقيه.

* * *

وبعد... فهذا عرض سريع لنظام المال في الإسلام، قدمناه إلى القراء بهذا الشكل من الإيجاز والاختصار، ليكون تمهيداً لدراسة واسعة في هذا الموضوع، إن شاء اللّه تعالى.

* * *

مراجع البحث

القرآن الكريم

الأموال: قاسم بن سلام (أبو عبيد)

التبيان في تفسير القرآن: الشيخ الطوسي

تذكرة الفقهاء: العلامة الحلي

جامع البيان في تأويل آي القرآن: الطبري

جواهر الكلام: الشيخ محمد حسن

الحدائق النضرة: الشيخ يوسف البحراني

رياض المسائل: السيد الطباطبائي

السنن: البيهقي

شرائع الإسلام: المحقق الحلي

العروة الوثقى: السيد كاظم اليزدي

الفقه على المذاهب الأربعة: عبد الرحمن الجزيري

المحاسن: البرقي

مستمسك العروة الوثقى: السيد محسن الطباطبائي الحكيم

مصباح الفقيه: المحقق الهمداني

المكاسب: الشيخ الأنصاري

الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي

وسائل الشيعة: الحر العاملي

تداول الثروة
في الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

أهمية تداول الثروة:

تقوم الحياة الاجتماعية على قاعدة التبادل والمقايضة.

ولا يستطيع الإنسان أن يوفر لنفسه حاجاته الخاصة عن طريق الإنتاج الشخصي، حتى في أكثر صور الحياة بدائية.

وقد أدرك الإنسان منذ عهد هذه الحقيقة، واستحدث طريقة المقايضة والتداول لإشباع حاجاته... بعد أن كان إنتاجه الشخصي لا يفيده مباشرة في إشباع حاجاته وسد رغباته.

وزاول هذا النظام في حياته منذ أن أدرك نفسه وحاجاته... وعمل على تطويره وتنظيمه كأي ظاهرة اجتماعية أخرى.

النظام المالي، والاقتصاد السياسي، وتداول الثروة:

ولكي ندخل البحث عن بينة، ينبغي أن نميّز بين هذه الأقسام الثلاثة من العلوم التي تنصب على «الثروة» جميعاً.

ورغم ارتباط هذه الفروع الثلاثة من المعرفة البشرية، فهناك حدود خاصة لكل واحد من هذه الفروع، تميّزه عن الفرعين الآخرين...

فـ «النظام المالي» يبحث عن موارد الدولة المالية ومصارفها.

و «الاقتصاد السياسي» يبحث عن إنتاج الثروة وتوزيعها واستهلاكها.

... بينما يبحث علم «تداول الثروة» عن انتقال الثروة من

شخص إلى شخص آخر وتداولها في الأيدي.

المقايضة:

وكانت المقايضة تعتبر الشكل الأول لتداول الثروة... مارسها الإنسان أول ما التجأ إلى مزاولة التداول في حياته.

وكانت المقايضة صورة بدائية عن التداول، تكلف الإنسان كثيراً من المتاعب.

فما كان ـ مثلاً ـ على صاحب الحنطة الذي يريد لحماً إلا أن يعثر على شخص يملك لحماً ويرغب في تعويضه بحنطة.

وكان المقياس الوحيد لتقييم البضاعة هو حاجة الطرفين.

فلم يعرف الإنسان بعد «وحدة» لقياس قيم البضائع.

وعدم إمكان التجزئة كان هو الآخر من أهم مشاكل نظام المقايضة.

فقد كان أحدهم يصحب معه حجراً كريماً إلى السوق ليشتري به كمية من الحبوب لا تعدل عشر قيمته؛ فيحتار فيما يصنع بسلعته التي يعرضها في السوق، مما لا تقبل التجزئة.

كل ذلك دعا الإنسان إلى أن يبحث عن وسيط سهل التناول لتيسير عملية التداول.

وتمخضت عبقرية الإنسان بعد محاولات عدة عن النقود والنظام النقدي.

النقود:

اتخذ الإنسان النقود وسيطاً لعملية المبادلة في السوق... بعد أن كانت المبادلة بين بضاعتين تجري بصورة مباشرة، من غير توسيط

شيء في البين، مما كان يسبب للإنسان البدائي كثيراً من المشاكل.

وكان أثر توسط النقود في عملية «المبادلة» أن انقسمت المبادلة إلى عمليتين مندمجتين:

عملية مبادلة البضائع بالنقود، وتسمى «البيع».

وعملية مبادلة النقود بالبضائع، وتسمى «الشراء».

واتخذ الإنسان النقود وحدة لقياس البضائع والخدمات وتقييمها في السوق، بعد أن كان يعاني من عدم إمكان تجزئة السلعة التي لا تقبل التجزئة.

وبهذه الصورة اهتدت عبقرية الإنسان إلى وسيلة للمبادلة، تيسر له كثيراً من عقبات المقايضة.

تطور النظام النقدي:

كان الشكل الأول للنقود التي تداولها الإنسان هي «النقود السلعية»... حيث اصطلح الإنسان البدائي على اعتبار بعض السلع وسيطاً في التبادل، كالحبوب والأنعام. فكانت تحمل صفة النقد والبضاعة معاً.

وبطبيعة الحال، لم تكن لتتجاوز قيمتها السلعية عن قيمتها النقدية، وذلك كالمعادن والحبوب والأنعام.

وتطورت النقود بعد ذلك إلى الذهب والفضة، نظراً لثبات كميتها ـ تقريباً ـ وسهولة تناولهما ونقلهما.

واستحدث الإنسان بعد ذلك نظام المسكوكات. وأخذت الحكومات بسك النقود الراجعة إليها من الذهب والفضة، وأحياناً من المعادن الأخرى.

وظل هذا النحو من النقود شائعاً حتى الحرب العالمية الأولى؛ حيث رأت الحكومات ضرورة الاحتفاظ بما تمتلكه من الذهب لإسناد أوراقها النقدية، وللاحتفاظ بها لشراء الأسلحة ـ فيما إذا اقتضت الضرورة.

وهكذا شاع استعمال الأوراق النقدية (النقود الائتمانية) من هذا الوقت.

نظام «الذهب» في الفقه الإسلامي:

منذ وقت بعيد تداول الإنسان «الذهب» كبضاعة ونقد في معاملاته. ولم ندر ـ على وجه الدقة ـ متى تداول الإنسان الذهب في معاملاته، ومتى ابتدأ الإنسان باستخراجه والاحتفاظ به كحلية وبضاعة ونقد.

إلا أننا نعلم أن الذهب كان منذ أقدم الأيام موضع عناية الإنسان الخاص؛ وذلك لندرته، وسهولة حمله، وتجانسه، وارتفاع قيمته، مع صغر حجمه وثبات كميته تقريباً.

وقد كانت مسألة الذهب من قديم مثار مشاكل للإنسان.

وبلغ الاهتمام بها في عالم السياسة: أن هيئة الأمم، ومن قبلها عصبة الأمم، عينت جهازاً خاصاً لدراسة مشكلة الذهب في العالم، ورفع تقارير واسعة عنها إلى الهيئة.

فارتفاع نسبة الذهب في بلد وانخفاضه يؤثر في مستوى الأسعار... كما أن تصدير الذهب واستيراده يؤثر في سعر الصرف والعلاقات النقدية بين الدول.

وقد أولى الإسلام مسألة الذهب عناية تامة، وجعله مقياساً للقيم، ووحدة نقدية لتقييم البضائع والخدمات المختلفة.

ولم يخلق الذهب ـ في النظرية الإسلامية ـ لغرض الاكتناز والزينة... وإنما خلق ليوظف في مصالح الناس، ولتتداوله الأمة فيما بينها فيما يخدم مصالحها.

سئل أبو جعفر عليه السلام عن الدراهم والدنانير (وهي الذهب والفضة) فقال:

«هي خواتيم الله في أرضه، جعلها مصلحة لخلقه، بها تستقيم شؤونهم ومطالبهم. فمن أكثر له منها فقام بحق الله... فذاك الذي طلبه. ومن أكثر له منها فبخل... فذاك الذي حق عليه وعيد الله...»[1].

وأكد بصورة غير مباشرة على اتخاذ الذهب وحدة نقدية في المجتمع الإسلامي؛ فربط الذهب بأحكام ثابتة من الشريعة، كالديات وكثير من الكفارات... كما فرض عليه ضريبة خاصة به.

* * *

ومما تقدم يستطيع الباحث أن يلمح: أن الغرض الرئيسي من الذهب في الفقه الإسلامي هو التوظيف والتداول كنقد في الأسواق.

أما بقية وجوه استعمال الذهب، فقد حاول الإسلام أن يشجبها أو يمنعها بشكل مباشر وغير مباشر أو يحد من استعمالها.

---

(١) سفينة البحار: ١/ ٤٤٥.

فالأغراض التي يستخدم فيها الذهب ثلاثة:

١ ـ الأغراض النقدية:

وهي من أهم وجوه الحاجة إلى الذهب.

وسنجد ـ فيما يأتي ـ أن الفقه الإسلامي حاول أن يجعل من الذهب النقد الرسمي للبلاد، ويعطي غطاءً ذهبياً كاملاً للنقود الورقية المتداولة في الأسواق.

٢ ـ الأغراض الصناعية:

ويستخدم الذهب كثيراً لأغراض صناعية وفي صناعات مختلفة، كصياغة الحلي وصناعة الأواني الذهبية.

وتعتبر الصياغة والصناعات الذهبية في الوقت الحاضر مصرفاً ضخماً من مصارف الذهب في العالم... يجمد الذهب بشكل أواني أو حلي عن التداول في الأسواق والتوظيف، ويفقده خاصية السيولة النقدية.

وقد حاول الإسلام أن يحدد هذا المصرف من مصارف الذهب ويشجب بعض وجوهها، فمنع الرجال من اتخاذ الحلي الذهبية، كما منع من استعمال الأواني الذهبية.

وطبيعي أن مجموع الذهب الذي يستخدم سنوياً في هذه الأغراض لو استخدم في أغراض نقدية ووظف في الأسواق لعاد على الأمة بنفع كثير.

٣ ـ الاكتناز:

وهذا غرض آخر من الأغراض التي يستخدم فيها الذهب.

وتشيع هذه الظاهرة الاقتصادية في حالات الاضطراب والحرب،

حيث يقبل الناس على تبديل أموالهم إلى الذهب والاحتفاظ به خوفاً من التلف.

وهذه الحالة تؤدي إلى سحب كميات كبيرة من الذهب من الأسواق؛ فتقل كمية الذهب الموجود، وتضطرب الأسعار... ثم يعود الذهب إلى الأسواق مرة أخرى حين يعود الأمن إلى البلد، فيكثر، ويعود الاضطراب مرة أخرى إلى الأسواق.

أما الاكتناز الدائم، فهو إهدار لفائدة هذه الأداة النافعة التي خلقها الله لخدمة مصالح الناس... بلا جدوى. وأكثر ما تنتشر هذه العادة في الهند، حيث يحتفظ «مهاراجات» الهند بكميات كبيرة من الذهب.

وقد شجب الإسلام هذا التصرف المشين، وأعد للقائمين به عذاباً مرّاً، حيث يقول تعالى:

﴿... والذين يكنزون الذهب والفضة، ولا ينفقونها في سبيل الله، فبشرهم بعذاب أليم. يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم؛ هذا ما كنزتم لأنفسكم، فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾[1].

«ولقد انصرف بعض الاقتصاديين في العهد الأخير إلى تحديد نصيب كل غرض من الأغراض الثلاثة المتقدمة من ناتج الذهب السنوي. فذهب الاقتصادي «Lehfeldt» إلى أن الناتج السنوي من الذهب في الوقت الحاضر (سنة ١٩٣١) يبلغ ٤٠٠ مليون دولار، يستخدم منه في الأغراض الصناعية والاكتناز نحو ٢٠٠ مليون دولار -

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٣٤ ـ ٣٥.

أي النصف ـ ويستخدم منه في الأغراض النقدية النصف الآخر...

«وقد تناول هذا الموضوع بالبحث الخبراء الماليون في عصبة الأمم، فتبين لهم أن ما يستخدم من الذهب لغير الأغراض النقدية سيتزايد بمعدل ١٪ في السنة...»[١].

ولا يحتاج إلى تأكيد أن هذا المبلغ الضخم ـ أي ما يساوي الذهب المستخدم في الأغراض النقدية ـ... لو كان يضاف إلى الذهب الموظف في الأسواق، لكان له تأثير بالغ في تحسين الأوضاع الاقتصادية، وتيسير البضائع والخدمات للناس.

النظام النقدي في المجتمع الإسلامي:

تقسم الأوراق المالية، في الوقت الحاضر، إلى «أوراق إلزامية» و «أوراق ائتمانية».

والأوراق المالية الإلزامية لا تمثل أية قيمة نقدية، وإنما تمثل فقط قيمة قانونية، تفرضها الدولة على السوق.

والأوراق الائتمانية على نحوين: فهي إما تعهدات بأداء مبلغ من المال إلى الشخص الذي يحمل ورقة التعهد لمدة معينة أو لحين الطلب، وإما أوراق نقدية تمثل كمية من الذهب في خزانة الدولة أو خزانة «البنك المركزي».

ولكل من هذه الأوراق حكم في التشريع الإسلامي...

فالأوراق الإلزامية لا مانع من إصدارها من قبل الحكومة الشرعية... إذا كانت الحكومة تقدر الوضع المالي في البلاد، ولا تكثر من

---

(١) مجلة «الهلال»: ٤٠/ ٢٣٣.

إصدار هذه الأوراق، بحيث يؤدي إلى اختلال الوضع المالي في الأسواق الداخلية، أو إلى هبوط قيمة هذه الأوراق في الأسواق الخارجية.

وهي وإن كانت لا تملك أي غطاء مالي يسندها من الناحية المالية... إلا أن اعتبار الحكومة لها يكفي لإسباغ صفة مالية عليها، تسندها في السوق.

والحقيقة أن مالية أي شيء تعود إلى نوع من الاعتبار. والأوراق المالية، كأي شيء آخر، تأخذ صفة المالية إذا اعتبرتها جهة رسمية في البلاد، وتلقاها الناس منها بالقبول.

وبالطبع، هذا لا يعني إطلاق يد الحكومة في إصدار مثل هذه الأوراق لسدّ حاجاتها، من غير تقدير الأوضاع النقدية في الأسواق الداخلية والخارجية.

أما أوراق التعهد المالي، فلا شك في جواز إصدارها من قبل المؤسسات المالية، ولا يجب على الجهة القائمة بإصدار هذه الأوراق أن تملك من الذخيرة النقدية ما يكفي لتغطية جميع هذه التعهدات. إذ لا يتداولها الناس باعتبارها نقوداً، تملك غطاءً ذهبياً... وإنما هي تعهدات، ويكفي فيها اطمئنان الزبائن إلى قدرة المؤسسة المالية على الوفاء بها.

ولكيلا تستغل المؤسسات المالية اعتماد الزبائن بها عليها في الإكثار من إصدار هذه التعهدات بأكثر من قابلياتها المالية بكثير، لا بد من إشراف مباشر من قبل الجهات الحكومية الخاصة عليها في الدولة الإسلامية.

ومثل هذه المهمة يدخل في مسائل الولاية العامة التي يلي شؤونها الحاكم الشرعي في الدولة.

وأما الأوراق النقدية التي تمثل كمية من الذهب، فيجب على الدولة أن تضمن لها غطاء نقدياً كاملاً في خزانة الدولة أو في خزانة البنك المركزي. ولا تكفي التغطية الناقصة بوجه من الوجوه.

والفرق بين أوراق التعهد المالي والأوراق النقدية: إن التعهدات المالية لا تمثل غير تعهد بدفع المال لأجل أو لحين الطلب، ولا يوجد في ظهر الورقة أية إشارة بتمثيل هذه الورقة لكمية نقدية من المال... بينما نجد أن الأوراق النقدية المتداولة في الأسواق تمثل كمية نقدية من المال في خزانة الدولة أو خزانة البنك المركزي وتشير إليها، ولا يتداولها الناس في الأسواق ما لم يطمئنوا إلى وجود تغطية كاملة لها من الذهب؛ ولا يتعاطاها الناس كتعهد، وإنما يتعاطونها كنقد يمثل قيمة نقدية واقعية.

وأي عجز في خزانة الدولة عن تغطية هذه الأوراق يعتبر غشاً وإغراءً بالجهل من الناحية الشرعية.

ويكفي من ناحية ثانية أن تعتمد الدولة على أنظمة أخرى غير نظام الذهب، فيجوز لها أن تعتمد على الأراضي الزراعية والمعادن التي تملكها الدولة لتغطية هذه الأوراق... إذا كان الذهب الموجود لدى الدولة لا يكفي لتغطية الأوراق النقدية التي تريد الدولة أن تطرحها في السوق. ولا توجد في الأدلة الشرعية أية إشارة بوجوب الاقتصار على الغطاء الذهبي خاصة.

البضاعة:

وكل بضاعة تحمل قيمتين:

١ ـ قيمة استعمالية: وهي تمثل الخدمة الاستعمالية للبضاعة، كالسير بالنسبة للسيارة، والإشباع بالنسبة للخبز، والتنظيف بالنسبة إلى الصابون...

٢ ـ قيمة تبادلية: وهي تمثل قيمة السلعة عندما تعرض في السوق للتبادل، وتتحدد هذه القيمة في الأسواق التجارية والمالية بقانون «العرض والطلب».

وما يهمنا من البضاعة ـ في هذا البحث ـ هو القيمة التبادلية خاصة.

وبما أن البحث عن تداول الثروة لا تقتصر على عيون البضاعة، نحاول في هذا البحث أن نوسع من مفهوم البضاعة ليشمل عيون البضاعة والخدمات البشرية والسلعية.

أنحاء التداول

وبصورة عامة، يقع التداول بين الناس في الأسواق على أربعة أنحاء:

١ : البضاعة ـ المال ـ البضاعة.

٢ : المال ـ البضاعة ـ المال.

٣ : البضاعة ـ البضاعة.

٤ : المال ـ المال.

والصورتان الأوليتان هما الشكلان المشروعان لعملية التداول في الفقه الإسلامي.. بينما الصورتان الأخيرتان غير مشروعتين ـ إجمالاً ـ من الناحية الشرعية ـ فيما إذا اتحد نوع النقد والبضاعة، وكانت البضاعة مما يكال أو يوزن، بتفصيل يمر علينا خلال هذا الحديث.

شروط التداول:

وبشكل عام، يلحظ الباحث أن تداول الثروة في الفقه الإسلامي يتم ضمن شرطين رئيسيين، يستخرج من مجموعة الأدلة الفقهية، وإن لم يذكر لهما الفقهاء عنواناً مستقلاً:

١ ـ اختلاف الثروة.

٢ ـ سرعة التداول.

١ ـ اختلاف الثروة:

ونعني من هذه الكلمة: أن يختلف جنس المبيع عن الثمن.

ولا يجري التداول بين أفراد جنس واحد، من النقدين أو البضاعة التي تقدّر بالكيل والوزن، إلا إذا كان لا يتقاضى أحد الطرفين فضلاً من الطرف الآخر.

وتتمخض هذه العملية عن إسهام أكبر عدد من أنواع البضائع والنقود في التداول...

فإذا منع من تعاطي الفضل في تبادل نوع واحد من النقد أو البضاعة ـ فيما إذا كان مكيلاً أو موزوناً ـ فلا يكاد يتوفر الداعي لتبادل فردين من نوع واحد، إلا في حالات نادرة جداً.

ولأمر ما يهتم الإسلام لتنويع طرفي التبادل. فإن اقتصار الطرفين على نوع واحد من البضائع والنقود يؤدي إلى عزل سائر البضائع والأموال عن مسرح النشاط المالي، وإلى ضمور البضائع والأموال الأخرى، وتضخم المال أو البضاعة التي يجري عليها التداول.

فإذا خصص المصرف ـ مثلاً ـ نشاطه المالي بتداول المال بطريق القرض، فإن هذا التداول يؤدي إلى تضخم المال الذي يملكه المصرف، بعد مدة قليلة، لصالح المصرف وعلى حساب المدينين.

بعكس ما لو كان التداول يجري بين نقد وسلعة، أو بين بضاعتين مختلفتين... فإن هذا التداول سيؤدي إلى ظهور النمو في كلا الجانبين: جانب المبيع وجانب الثمن، ولصالح الطرفين معاً: البائع والمشتري.

وكذلك يحرّم الإسلام تداول المال والبضاعة بهذا الطريق، ويعتبر ذلك من الربا المحرم ـ إذا كان أحد الجانبين يتطلب فضلاً من المال أو البضاعة بالشرط المتقدم.

والطريقة المشروعة للنشاط المصرفي ـ كما سنبحث ذلك بشيء

من التفصيل ـ هي أن يسهم المصرف في الإنتاج مع المؤسسات الإنتاجية بتزويدها بالمال الكافي؛ على أن تقوم هي بإدارة المؤسسة ويقتسمان الربح بينهما بعد ذلك، ويتحمل الرأس مال فقط ما تحصل من الخسائر المالية.

٢ ـ سرعة التداول:

والشرط الثاني لمشروعية التداول هو الإسراع في تداول الثروة.

والثروة، أية ثروة كانت ـ تنمو بالتداول بصورة مباشرة، أو تؤدي إلى نمو ثروة البلاد بصورة غير مباشرة.

وأي تأخير في التداول يؤدي إلى تقليص الثورة والحدّ من نموها... سواء كان ذلك في النقد أو في البضاعة.

فحين يتداول الناس الثروة في الأسواق وتنتقل في الأيدي، وتتضافر عليها الجهود... تنمو، ويصيب كل فرد ممن يجري في يده بعض الخير.

وبالعكس تماماً.. تضمر الثروة حينما تجمد عن الجريان، وتقف عن التقلب في السوق في وجوه النشاط المالي.

فأكد القرآن الكريم، من جانب، على توظيف المال، ودفعه إلى مجاري النشاط المالي، وإخراجه عن الركود والجمود:

﴿... والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾[1].

وحرم الإسلام احتكار البضائع التي يحتاج إليها الناس...

فعن رسول الله ﷺ: «لئن يلقى الله العبد

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٤.

سارقاً أحب إليّ من أن يلقاه قد احتكر طعاماً أربعين يوماً»[1].

وقال ﷺ: «أيما رجل اشترى طعاماً فكبسه أربعين صباحاً، يريد به غلاء المسلمين، ثم باعه فتصدق بثمنه.. لم يكن كفارة لما صنع»[2].

وقال ﷺ: «المحتكر ملعون»[3].

وعهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى واليه على مصر (مالك الأشتر) أن «امنع من الاحتكار؛ فإن رسول الله ﷺ منع منه... فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه، فنكل به، وعاقبه في غير إسراف»[4].

وكذلك يستطيع الباحث أن يستخلص من مجموعة نصوص الاحتكار والكنز اعتبار الإسراع في التداول في الفقه، بالإجمال.

---

(١) سفينة البحار: ١/ ٢٩١.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نهج البلاغة (شرح محمد عبده): ٣/ ١١٠.

النظام المصرفي الحديث

تعتبر المصارف، في الوقت الحاضر، العصب الحساس للحياة الاقتصادية.

وبغير العمليات المصرفية لا يمكن أن تستمر المؤسسات التجارية والصناعية والزراعية في نشاطها الإنتاجي والتجاري.

ولا بد لنا، ونحن بصدد البحث عن تداول النقد، أن ندرس النظام المصرفي على ضوء من التشريع الإسلامي، ونبحث عن الطرق المشروعة لمزاولة النشاط المصرفي.

نشأة النظام المصرفي:

وقبل أن نبحث عن الشكل المشروع للنشاط المصرفي، نستعرض نشأة النظام المصرفي بصورة سريعة، ليتاح لنا أن نربط الصورة المعاصرة للنشاط المصرفي بنشأته التأريخية.

كانت المصارف قبل هذا العصر دوراً للصيرفة... تتعهد بحفظ الأمانات النقدية إزاء تعهد كتبي تدفعه إلى المودعين.

وبمرور الزمن، أخذت هذه التعهدات (الوثائق المالية) تحتل محل النقود والأوراق النقدية (الأوراق النائبة)، وأصبح الناس يزاولون أعمالهم التجارية بهذه التعهدات في الأسواق.

ولاحظ أصحاب هذه الدور أن هذه الودائع النقدية تبقى محفوظة ـ

في الغالب ـ من غير أن يسترجعها أصحابها جميعاً.

وما يبقى من هذه الودائع لدى الدار بصورة مستمرة خلال النشاط المالي الذي تقوم به تتجاوز ٩٠٪ من الودائع.

فخطر على بالها أن تستثمر ٩٠٪ من هذه الودائع النقدية عن طريق إقراض هذه الودائع المالية لقاء فائدة مالية.

كما تفتقت العبقرية الرأسمالية عن فكرة... وهي أن وثوق الناس بمكانتها المالية تسمح لها بإصدار أوراق (وثائق) وتعهدات مالية تقوم مقام النقد في الأسواق أضعاف النقود والودائع المودعة لديها.

وأخذت تقرض المؤسسات الإنتاجية والتجارية مبالغ طائلة بهذه التعهدات المالية أو الوثائق المالية.

وكان الاحتياط النقدي الذي يملكه الصيرفي أو المصرفي لتغطية هذه التعهدات لا يتجاوز، في أحسن الأحوال، العشر.

واتسع فيما بعد نشاطها المالي، وأخذت تزاول وجوهاً أُخر من النشاط المالي، كخصم الكمبيالات، ونقل النقود، وصكوك السفر، وتيسير المعاملات التجارية مع الخراج...

وكذلك أصبح المصرف ضرورة اقتصادية لا يمكن الاستغناء عنها في الحياة الاقتصادية وفي الأسواق المالية والتجارية.

مفاسد النظام المصرفي

للنظام المصرفي أهمية كبرى في تيسير أعمال المؤسسات الإنتاجية والتجارية داخل البلاد، وتنشيط الأسواق المالية والتجارية وبورصات

المال والبضاعة.

ومع ذلك، فقد أدى ظهور النشاط المصرفي في العالم إلى ظهور كثير من المشاكل المالية... نستعرض بعضها خلال هذا البحث، ونشير إلى موقف التشريع الإسلامي من كل واحدة منها:

١ ـ إصدار الأوراق المالية:

يعتبر إصدار الأوراق المالية من أهم وجوه النشاط المصرفي.

ويرجع تاريخ ذلك إلى القرن السادس عشر الميلادي؛ حيث كان الناس يتداولون في الأسواق إيصالات الودائع النقدية لدى الصيارفة كوسيلة للوفاء بالالتزامات المالية.

ولأول مرة، حاول «بنك البندقية» سنة ١٥٨٧م. استغلال هذه الظاهرة، وإصدار وصولات متشابهة للإيداع النقدي، لغرض التداول في الأسواق.

ولاحظت المصارف أن الأشخاص الذين يودعون نقوداً لدى البنك، لا يراجعون البنك لاسترجاع ودائعهم إلا بنسبة ١٠٪ من هذه الودائع خلال النشاط المصرفي... فحاولت أن تصدر أوراقاً مالية وتعهدات بمقدار ٩٠٪ مما تملكه من رصيد من الودائع.

كما لاحظت أن الأشخاص الذين يحملون تعهدات مالية من قبل المصرف، قلما يتفق أن يراجعوا المصرف لتغطية هذه التعهدات بما لدى المصرف من النقود، إلا بنسبة ١٠٪.

وهذه الملاحظات شجعت أصحاب البنوك إلى الإكثار من إصدار الأوراق المالية أضعاف التعهدات المالية (البنكنوت)... مما أدى إلى

ظهور الاختلال في الجهاز المصرفي، وعجز كثير من المصارف من تسديد تعهداتها، واضطراب الأسواق والبورصات المالية...

«فقد قام بعض المضاربين والمحتالين بنشر أعداد كبيرة من الأوراق المصرفية المتباينة من حيث الوثوق بين أيدي الناس.

«وحصلت إفلاسات لبعض المصارف، ووقعت الخسائر من جراء ذلك لكثير من الناس. حتى أن الحكومة تحملت بعض الخسائر من جراء إيداع أموالها في مصارف لم تلبث أن أفلست»[1].

واختلال الجهاز المصرفي، أو ظهور عجز في هذا الجهاز، يؤدي سريعاً إلى تقلب قيمة الأوراق المالية واضطراب الأسواق، وتضعضع أركان النظام المصرفي بصورة عامة في العالم.

ولذلك، فقد حاولت أن تتدخل، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، في تحديد عملية إصدار «البنكنوت»[2] بقابلية المصرف لتسديد تعهداتها المالية.

وحصرت أخيراً صلاحية إصدار «البنكنوت» بـ «البنك المركزي» في البلاد الذي تملكه الحكومة أو تشرف عليه بصورة مباشرة.

ولكن النتيجة لم تختلف منذ وضعت الحكومة يدها على إصدار «البنكنوت» وباشر «البنك المركزي» فقط بهذه المهمة.

«وحسبنا الإشارة إلى أنه منذ توقف صرف الأوراق (البنكنوت) بالذهب فعلاً، أو قانوناً في مستهل الحرب العالمية الأولى، لم يسترد

---

(١) علم الاقتصاد الحديث: آرثر ادوار بيرنز: ٢/ ٢٥٨.

(٢) «البنكنوت»: تعهد مصرفي بدفع مبلغ معين من وحدات النقد القانونية لحامل الورقة عند الطلب.

البنكنوت قابلية للصرف على أي نحو إلا لفترة قصيرة، بين عامي ١٩٢١ ـ ١٩٢٥... ثم جاءت الأزمة المالية العالمية، وانهارت قاعدة الذهب، وانفصمت العلاقة بين الذهب والبنكنوت في مختلف البلدان؛ بحيث لم يعد لحامل ورقة البنكنوت الحق في مبادلتها بأي شيء على الإطلاق»[1].

موقف الإسلام من إصدار الأوراق المالية:

ولكي نتبين موقف الإسلام من قضية إصدار الأوراق المالية، يجب أن نميز بين الأوراق المالية التي يصدرها البنك باعتبارها تعهدات مالية باستحقاق حاملها للمبلغ المكتوب عليها على البنك، لأجل خاص أو لدى الطلب، اعتماداً على ما لها من ذخيرة مالية... وبين الأوراق المالية التي يصدرها البنك باعتبار أنها تمثل قيماً نقدية خاصة، يتعهد البنك بأدائها لدى المطالبة.

والقسم الأول من الأوراق المالية لا يمثل غير استحقاق حاملها للمبلغ من البنك... بينما القسم الثاني من الأوراق تمثل القيمة النقدية ذاتها، وتكشف عن وجود قيمة نقدية في خزانة البنك.

والقسم الثاني من الأوراق المالية (البنكنوت) هي التي يتداولها الناس في الأسواق للوفاء بالالتزامات المالية.

ولذلك، ففي إصدار القسم الأول من الأوراق المالية، لا يشترط وجود رصيد نقدي لدى البنك؛ بل يكفي اطمئنان المصرف بقدرتها على القيام بوفاء تعهداتها المالية لدى الطلب أو عند حلول الأجل.

---

(١) الاقتصاد: سامي الناصري.

ولأجل تفادي المشاكل المالية التي تترتب على إكثار المصارف من إصدار هذه التعهدات، تقوم الحكومة الإسلامية ـ بما لها من ولاية شرعية ـ بفرض رقابة خاصة على المصرف لتحديد إصدار هذا القسم من التعهدات بإمكانيات المصرف المالية بنسبة مئوية خاصة، حسب ظروف السوق المالية.

فإن اعتماد الزبائن على التعهدات المصرفية يعود إلى الاطمئنان بقدرة المصرف على الوفاء. فلو أصدر المصرف أسناداً مالية بأكثر من قابليته المالية وقدرته على الوفاء، يعتبر عمله هذا خيانة لزبائنه.

وفي مثل هذه الأحوال، يجب على الحكومة الإسلامية أن تفرض رقابة خاصة على المصارف، لئلا تتجاوز حدود قدرتها على الوفاء في إصدار أوراق التعهد المالي.

وأما الأوراق المالية التي تمثل قيمة نقدية، فلا يجوز للمصرف أن يتجاوز رصيده المالي في إصدار هذه الأوراق.

وذلك، لأن المصرف بإصداره هذه الأوراق، يرمز إلى وجود مبالغ نقدية لديها، تساوي قيمتها الاسمية.

وأية زيادة لقيمة هذه الأوراق الاسمية عن رصيد المصرف المالي يعتبر غشاً وإغراءً بالجهل.

والرصيد المالي الذي يجب أن يحتفظ به المصرف لتغطية هذه الأوراق، هو مجموعة الرأسمال الذي يقدمه المساهمون لإنشاء المصرف، والاحتياط المالي الذي يدخره المصرف من ربحه الخاص خلال نشاطه المالي.

وبهذه الصورة، نرى أن النظام المصرفي في المجتمع الإسلامي

يسلم عن كثير من ألوان الاضطراب والخلل المالي الذي تتعرض له المصارف خارج هذا المجتمع. . . ويسود الأسواق المالية وبورصات المال في المجتمع استقرار مالي واطمئنان عام، مما يشجع على النشاط التجاري والقيام بأعمال إنتاجية طويلة الأمد.

٢ ـ تمركز القوة في أيدي المساهمين:

يتكون رأسمال المصارف ـ عادة ـ من الرأسمال الذي يقدمه المساهمون الأوائل، والودائع تحت الطلب والمؤجلة التي يدعها الزبائن في المصارف، من أبناء الأمة عامة.

ولا يتجاوز الرأسمال الذي يدعه المساهمون الأوائل ثلاثة أجزاء من مائة (٣٪) من مجموع الرأسمال، ويرجع ٩٧٪ من الرأسمال إلى زبائن المصرف.

ويقوم المصرف باستثمار هذا المبلغ الضخم، الذي يكوّن ٩٧٪من رأسماله، في مختلف الأعمال الإنتاجية، ويستوفي فائدة هذه الأموال لصالحه الخاص، ولا يرجع إلى أصحابها الشرعيين إلا شيئاً يسيراً جداً بالنسبة إلى ما يجنيه المصرف من الفائدة.

ويضع المساهمون الأوائل ـ وهم لا يتجاوزون عدد الأصابع ـ أيديهم على هذه الثروة الطائلة، التي لا يملكون منها غير نسبة ضئيلة لا تتجاوز نسبة ٣٪.

وإذا وضعنا هذه الثروة في إطارها الاجتماعي، وجدنا أن هؤلاء المساهمين يضعون أيديهم على أقوى سلاح في البلاد، ويسيطرون ـ عن طريق ذلك ـ على مقدّرات البلاد، ويقررون بذلك مصير الأمة،

ويوجهون الوضع المالي بالشكل الذي يخدم مصالحهم. . .

بينما نجد أن أصحاب الودائع المالية ـ وهم الغالبية من أبناء الأمة ـ لا يملكون شيئاً من أمور المصرف، فضلاً من أن يملكوا تقرير مصير البلاد، أو يسيطروا على مقدرات الأمة.

«وخذ لذلك مثلاً «مصرف پنجاب القومي»، وقد كان من أنجح المصارف وأكثرها في القارة الهندية قبل وجود باكستان، وكان مركزه في «لاهور». . . فما كان رأس ماله الذاتي إلا عشرة ملايين روبية، ما كان أدى المساهمون فعلاً إلا أكثر بقليل من ثمانية ملايين روبية؛ ولكن كانت ودائعه التي يستعملها سنة ١٩٥٤ نحو ٥٢٠ مليون روبية.

«والعجيب ـ بعد كل هذا ـ أن المصرف على رغم أنه كان يسيّر شؤونه كلها بما اجتمع عنده من الودائع، وهي تبلغ ٩٠ ـ ٩٥٪، بل ٩٨٪ أحياناً، من مجموع ما لديه من مال. . . فإنه لم يكن للمودعين أي حق في التدخل في نظامه وإدارته وسياسته، وإنما كان ذلك كله بيد المساهمين الذين هم المالكون للمصرف. . . على حين لا يكاد يبلغ رأس مالهم ٢ أو ٣ أو ٤ أو ٥٪ من مجموع الموجودات»[1].

«ولكم أن تقدروا مبلغ هؤلاء الرأسماليين من القوة والنفوذ بأنه ما كان عند عشرة مصارف في الهند ـ قبل تقسيم البلاد ـ إلا ١٧٠ مليون روبية. . . ولكن كانت الودائع قد بلغت فيها ٦١٢٠ مليون روبية. . . وكان عدداً قليلاً، لا يتجاوز ١٥٠ أو ٢٠٠ شخص على الأكثر من الرأسماليين مستولياً عليها وعلى سياستها وإدارتها. . .

---

(١) الربا: أبو الأعلى المودودي، ٩٦، ٩٧.

«كل هذا عن بلاد ليس عهدها بتنظيم الرأسمال إلا حديثاً، ولا يبلغ مجموع الودائع في صناديق مصارفها أكثر من نصف جنيه لكل فرد من أهاليها بالمعدل».

«ولكن تصوروا كيفية ارتكاز الثروة وتجمعها في مصارف البلاد الغربية، التي قد بلغ فيها هذا المعدل ألفين، بل ثلاثة آلاف مرة منه في بلادنا الشرقية».

«لقد كان هذا المعدل في المصارف التجارية وحدها ـ حسب إحصاء سنة ١٩٣٦ ـ في أميركا ١٣١٧ جنيهاً، وفي إنكلترا ٦٦٤ جنيهاً، وفي سويسرا ٢٧٥ جنيهاً، وفي ألمانيا ٢١٢ جنيهاً، وفي فرنسا ١٦٥ جنيهاً...».

«فعلى هذا النطاق الواسع يسلم أهالي تلك البلاد أموالهم المدخرة إلى رأسماليهم... وعلى هذا النطاق الواسع تنجذب الثروة من كل بيت لترتكز في أيدي قليلة»[1].

وذلك يعني: أن هذه الطبقة قد وضعت أيديها على مقدرات البلاد ومصيره واتجاهه المالي، وصار بإمكانها أن توجه البلاد، من ناحية سياسية واقتصادية واجتماعية، إلى الوجهة التي تخدمها وتخدم أغراضها الخاصة، وتنمي إمكانياتها المالية، وتسند مكانتها الاجتماعية، وتبعد أبناء الأمة ـ أصحاب الرأس مال الشرعيين ـ عن المسرح المالي والسياسي.

ولذلك، ففي المجتمع الإسلامي، لا يملك المساهمون الأوائل أن يضعوا أيديهم على الرأسمال المدخر في المصرف إلا بقدر.

---

(١) الربا: أبو الأعلى المودودي، ١٠١ ـ ١٠٣.

والدولة هي التي تشرف على سير المصارف ونشاطها وتنظيم أعمالها، حتى لا ينقلب المصرف، وهو قائم مالياً على أكتاف الأمة إلى مؤسسة تخدم أغراض المساهمين الأوائل فحسب، كما نلمس ذلك في المصارف الأهلية في الوقت الحاضر.

وبهذا الشكل تحفظ الدولة أموال الأمة من أن تتمركز لصالح طبقة خاصة في المجتمع.

الشكل المشروع للنظام المصرفي في المجتمع الإسلامي

يتصور كثير أن المجتمع الإسلامي لا يفتح صدره للنشاط المصرفي.

وإذا تم إنشاء مجتمع إسلامي تتوفر فيه عناصر هذا المجتمع، فيجب أن تغلق أبواب جميع المصارف الموجودة في البلاد، ويعطل النشاط المصرفي بصورة عامة!

ولكننا لا نتأمل قليلاً حتى يبدو لنا فساد هذا الوهم، ويظهر لنا أن المجتمع الإسلامي أرحب صدراً من أن يضيق بأمثال هذه المؤسسات الاجتماعية.

ولكي يتاح لنا أن نلمس من قريب الشكل المشروع للنشاط المصرفي في المجتمع الإسلامي، نستعرض وجوه هذا النشاط واحداً واحداً على ضوء من الفقه الإسلامي:

١ ـ القروض:

في المجتمع الإسلامي يكون للحاكم الشرعي الحق في أن يفرض على المصارف الأهلية أن تستخدم الودائع النقدية تحت الطلب، للقروض

القصيرة والقروض الاستهلاكية[1]، وتقديم قروض استهلاكية طويلة الأجل بنسبة خاصة من الودائع التي يتركها العملاء في المصرف، تحت الطلب أو لأجل، من غير مطالبة بفائدة.

وهناك قروض أخرى غير هذه القروض الاستهلاكية والقصيرة الأجل، تقدمها المصارف لأصحاب الأعمال للاستثمار الصناعي والزراعي، والقيام بأعمال إنتاجية.

ويختلف حكم هذه القروض عن القروض المتقدمة التي كان للدولة أن تلجئ المصرف إلى تقديمها بلا عوض مالي. فإن المال الذي يدفعه المصرف إلى أصحاب الأعمال لا يصرف في الاستهلاك ولإشباع حاجات شخصية، وإنما يستخدم لأغراض إنتاجية تدر كثيراً من الربح على المؤسسة.

«ولا ريب أن هذا الإنتاج يحصل على عاملين رئيسيين، هما: العمل، ورأس المال».

«والفائدة المترتبة على هذه العملية تنبسط على هذين العاملين، وتكون لكل منهما حصة من الفائدة ـ إذا كانت مقارنة العاملين المذكورين على نحو المضاربة»[2].

«أما الضرر فيلحق الرأسمال خاصة، ولا يتضرر العامل ـ صاحب العمل ـ

---

(١) القروض على نحوين: استهلاكية، وإنتاجية.
أما الاستهلاكية: فهي التي يقصد بها الاستهلاك لإشباع حاجة من الحاجات.
والإنتاجية: هي التي يقصد بها استخدام المال لأغراض إنتاجية.

(٢) المضاربة: هي أن يدفع الشخص إلى غيره مالاً ليتصرف فيه بالبيع والشراء وما يتصل بذلك، ويقسمان الربح على قرار متفق.

ما لم يكن قد خان أو أفرط في الإتلاف».

«والشريعة الإسلامية تعترف بالبنوك على هذا الأساس، وهو أقرب إلى العدالة الاجتماعية».

«فإن العامل ـ وهو ذو حصة في الربح والإنتاج ـ قد خسر رأس ماله الخاص في هذه العملية (وهو العمل)، والبنك أو الرأسمالي أيضاً يخسر بدوره جزءاً من رأس ماله، وهو تمام الخسارة الواردة على الرأس مال».

«فالشريعة الإسلامية لا تقدم على تجميد النشاط المصرفي في حال. . . وغاية ما هناك أن المصارف ـ بمفهومها الإسلامي ـ هي مؤسسات مالية معدة لإجهاز الأشخاص بالمال اللازم على نحو «المضاربة»، ليقوموا بدور الإنتاج وتحمل الخسارات الواردة على الرأس مال ـ ما لم تكن هناك خيانة أو إتلاف من جانب العامل ـ، وينبسط الربح بين العامل والبنك حسب القرار الذي اتفقنا عليه».

«وبهذا الشكل يمكننا أن نتخلص من مشكلة الربا، ونقر المصارف على حالها من غير أن نمسها من قريب أو بعيد».

«والإصلاح المصرفي بهذا الشكل أمر ضروري لتحقيق العدالة الاجتماعية، ولتقدم الحالة الاقتصادية في البلاد».

ونحن ندل هنا على ذلك، ونوضح موقف البنوك من العمليات الاقتصادية في الشريعة الإسلامية:

«قلنا: إن المصارف أجهزة مالية، تجلب الأموال من أصحابها على شكل القروض والودائع، فتقدمها إلى أصحاب الأعمال لتزود مؤسساتهم الاقتصادية بها لتقوم بمهام الإنتاج».

«فهي في الواقع أجهزة مالية تتوسط بين صاحب العمل (المنتج) والرأسمالي، وتستفيد هي من فرق النفع الذي تأخذه من العامل. . . وهذا ربح مشروع لا ضير فيه، أشبه شيء بحق العمالة، يتقاضاه البنك إزاء ما يقدمه من الخدمات الاقتصادية».

«وهذه المسألة مسألة اقتصادية، لها جوانب ثلاثة:

الأول ـ جانب العمال وأصحاب الأعمال.

الثاني ـ جانب أصحاب الأموال.

«الثالث ـ جانب المصرف، فهو في الحقيقة أداة تربط بين هذين الجانبين لا أكثر من ذلك».

«وقد يدفع المصرف المال إلى صاحب العمل من رأس ماله الخاص لا من الأموال المودعة عنده، فيحصل للبنك شخصية ذات جانبين، يضرب إحداهما مع صاحب العمل في الإنتاج بتزويده بالمال اللازم والاختيار التام في الإنتاج، ويتوسط الثاني في عقد هذه المضاربة؛ ولكل من هذين الجانبين حسابه الخاص، والجانب الثالث لا عمل له غير التوسط بين الطرفين، ولا أثر له غير الربط بينهما، ويأخذ مقابل ذلك جعالة خاصة تتفق الأطراف عليها».

«أما الجانبان الآخران، فالمقرر في المصارف الحديثة: أن يقسم الربح بينهما بتوسط البنوك، وكيفيته أن يأخذ صاحب المال من الربح الحاصل من الإنتاج شيئاً مقرراً مقابل كل مائة من الرأسمال. ويتردد ذلك غالباً فيما بين ٢ ـ ٤٪، وقلما يتفق أن يتجاوز هذين الحدين».

«ويأخذ صاحب العمل ما بقي من الربح ـ بعد إخراج حق المصرف في العمالة من أصل الربح».

«أما لو تضررت هذه المؤسسة الإنتاجية، فلا ريب أن البنك لما لم يكن له دخل في أصل الشركة ليتحمل شيئاً من الضرر، والرأسمالي أيضاً يطالب ـ من غير شفقة ـ أصل ماله مضافاً إليه أرباحه في هذه المدة، تبقى الخسارة على عاتق العامل المسكين؛ فيضطره ذلك إلى أن يهجر الإنتاج ويعتزل التجارة. وبذلك يقل الإقبال على الإنتاج والتصنيع، وتضعف، أو تتوقف، الحركات التجارية والصناعية من جانب الرأسماليين وأصحاب الأعمال على السواء».

«أما من جانب الرأسمالي، فلأنه يرى الأصلح لنفسه أن يودع أمواله البنوك، ويطمئن إلى ربح خالص على الدوام بدلاً من أن يعرضها لخطر التلف أو التضييع والتضرر في عمليات الاستيراد والتصنيع».

«أما من جانب أصحاب الأعمال، فلأنهم إذ يرون أن الربح ينبسط دائماً على العمل والرأس مال على قرار بينهم، والخسارة تخصهم دون الرأسمال . . . يحجمون عن الإنتاج، ويهجرون النشاط الاقتصادي».

«أما الطريقة الإسلامية، فهي أن يخفف العبء من جانب العمل، ويحمل جانب الرأسمال لتنشط العمليات الإنتاجية في البلاد».

«وهذا الأسلوب في تيسير وتسيير الأعمال المصرفية أصلح لحالة البلاد الاقتصادية، وأقرب إلى مفهوم العدالة الاجتماعية».

ذلك كله فيما يخص الإنتاج.

«أما ربا الاستهلاك، فهو من أبشع أنواع الاختلاس والسرقة، ولا تبيحه

الشريعة الإسلامية في حال»[1].

٢ ـ خصم «الكمبيالات»والسندات المالية:

وهو من أهم وجوه النشاط المصرفي، ويجوزه بعض الفقهاء باعتبار قيام البنك بشراء هذه الأوراق بقيمة دون قيمتها الاسمية.

ولا ربا في البيع في غير المكيل والموزون، ولكن الذي يبدو لنا أن الأوراق المالية النقدية منها وغير النقدية (غير الأوراق الإلزامية) تمثل كمية من الذهب، ولا تحمل عدا ذلك أي قيمة أخرى.

ولا يجوز الربا في المعاملات النقدية سواء منها البيع والقروض.

وخصم الكمبيالات ـ بناءً على ذلك ـ بيع ربوي، لا يجوز للمصارف أن تقوم به في ظلال مجتمع إسلامي.

٣ ـ التحويل:

وهو وجه آخر من وجوه النشاط المصرفي، ولا بأس به من الناحية الشرعية.

والفضل الذي يأخذه المصرف ليس ربا، لعدم انطباق عنوان الربا في البيع والقرض عليه.

٤ ـ فتح الاعتماد:

وجه آخر من وجوه النشاط المصرفي المشروع، والفضل الذي

---

(١) من مقال منشور في مجلة «الإخاء» الإيرانية ـ العدد ٢٣، السنة الثانية، ٢٣/ ٧/ ١٣٨١ هـ، وقد عالجنا الموضوع هناك بشيء من التفصيل.

يأخذه المصرف عمولة مشروعة للمصرف لقيامه بالوساطة في تعريف المؤسسة التجارية المستوردة للشركات المصدرة وضمانته لوصول الثمن إليها حين وصول البضاعة.

ولا بأس من الناحية الشرعية بهذا الوجه من وجوه النشاط المصرفي.

* * *

ذلك، بصورة إجمالية، صورة عن النشاط المصرفي المشروع في المجتمع الإسلامي.

وقد رأينا أن التشريع الإسلامي لم يضق صدراً بوجوه النشاط المصرفي، ولم يغلق أبواب المجتمع الإسلامي على هذه المؤسسة النافعة... وإنما يقوم بتعديل هذه المؤسسة إلى الصورة الصحيحة التي تلائم شكل المجتمع الإسلامي، ولا تؤدي إلى حصول تضخم مالي لصالح المؤسسات المالية وبورصات المال، وعلى حساب الطبقة الفقيرة والعاملة من المجتمع.

التداول الفردي والشركات

بعد أن شرحنا جانباً من المخطط المذهبي لنظرية «التداول» في الإسلام، وألمحنا إلى الأصول التي يقوم على أساسها تداول الثروة في المجتمع الإسلامي. . . ننتقل إلى الحديث عن الجانب الفقهي من المسألة، لنعطي صورة عن أنواع التداول الفردي والشركي في الفقه، وهي ـ البيع ـ و ـ الإجارة ـ و ـ الشركة ـ و ـ المضاربة ـ.

والتداول إما أن يجري في الأسواق بصورة فردية وبين أفراد، وإما أن يجري بصورة جمعية وبين جماعات.

ويقوم بالقسم الأول منهما أفراد بصفة فردية، ويسمى بـ «التداول الفردي».

ويقوم بالقسم الثاني شركات، ويطلق عليه اسم «التداول الشركي».

١ ـ التداول الفردي

نقصد من كلمة «الثروة» عند البحث عن تداول الثروة كلاً من الأمرين التاليين:

١ ـ عيون البضائع والنقود.

٢ ـ الخدمات.

ويسمى التداول بـ «البيع» إذا كان العين النقدي أو البضاعي يقع على طرفي عقد التداول، ويسمى بـ «الإجارة» إذا كانت الخدمة الشخصية أو البضاعية تقع على طرف من طرفي العقد، سواء كان الطرف الآخر عيناً أو خدمة.

فالتداول ـ في الغالب ـ إما أن يجري بصورة «البيع» أو «الإجارة»، ولكل منهما حديث طويل، نستعرضه بشيء من الإيجاز خلال هذا الحديث ـ إن شاء الله.

١ ـ البيع

أ ـ تعريفه

هو العقد الدال على تمليك عين بعوض معلوم.

ب ـ أقسامه:

يقسم البيع باعتبار تعجيل الثمن والمبيع وتأجيلهما إلى أقسام أربعة:

١ ـ بيع النقد: وهو أن يعجل بالثمن والمبيع معاً.

٢ ـ بيع النسيئة: وهو أن يعجل بالمبيع ويؤجل الثمن.

٣ ـ بيع السلف (السلفة): وهو أن يعجل بالثمن ويؤجل المبيع.

٤ ـ بيع الكالئ بالكالئ: وهو أن يؤجل الثمن والمبيع معاً.

والأقسام الثلاثة الأولى مشروعة... بينما لا ينعقد القسم الرابع.

ج ـ شروطه ومسائله:

يشترط في العاقدين العقل والاختيار والقصد؛ فلا يقع البيع من المجنون أو المجبر أو الهازل... كما يشترط فيهما الملك أو النيابة عن المالك أو الولاية عليه.

فلو باع الإنسان ما لا يملكه فضولياً، توقفت صحة العقد على إجازة المالك. وتقع الإجازة كاشفة عن صحته من حين العقد، لا ناقلة من حين الإجازة.

ويشترط في العوض:

١ ـ أن يكون مما يملكه الإنسان. فلا ينعقد بيع الحر، والأشياء التافهة، كالفضلات والحشرات... إلا أن يكون فيها منفعة محللة عادية، كدودة القز والنحل وغير ذلك.

٢ ـ أن يقدر على تسليمه. فلا يصح بيع السمك في البحر والطير في السماء.

٣ ـ أن يكون مقدراً من حيث الجنس والوصف والمقدار، إما بالوصف أو بالمشاهدة؛ وأن يكون مقدّراً من حيث الأجل في المؤجل.

د ـ الخيارات ومسائلها:

الخيار هو ثبوت الاختيار للمتبايعين أو أحدهما في استرجاع العين بعد العقد، وهو حق يورث كسائر الحقوق الشرعية. وأهمها هي:

١ ـ خيار المجلس:

وهو ثابت للمتبايعين ما لم يفترقا عن المجلس.

٢ ـ خيار الحيوان:

ويثبت للمشتري خاصة إلى ثلاثة أيام في شراء الحيوان.

٣ ـ خيار الشرط:

ويثبت لهما أو لأحدهما لمدة تطول أو تقصر في حدود الشرط. وشرعية الخيار بهذا الشكل تدل على مرونة المعاملة وتداول الثروة في التشريع الإسلامي.

وفيما إذا لم يجد أحدهما منفذاً للخيار يستقيل صاحبه. وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الإقالة، مما لا نريد أن نتعرض لها في هذا المجال.

هـ ـ البيوع المحرمة:

من سمات التشريع الإسلامي: إنه شريعة متكاملة، يرتبط بعضه ببعض، ويتصل الجانب الأخلاقي منه بالجانب التشريعي، والجانب التشريعي منه بالجانب العقائدي.

وعندما يشرع البيع، لا ينسى أن يقدّر أنّ البيع ظاهرة اجتماعية ترتبط بكثير من جوانب الحياة الاجتماعية. لذلك، فيجب أن يراعى في تشريع البيع سائر الجوانب الاجتماعية، لئلا يؤدي تشريع البيع إلى اختلال الجوانب الاجتماعية الأخرى.

وسوف نجد أن التشريع الإسلامي يربط البيع بجوانب أخلاقية وعقائدية وصحية واقتصادية وسياسية... حتى يبدو للباحث أن هذه الجوانب في الفقه الإسلامي تعتبر وحدة تشريعية مترابطة.

وانطلاقاً من هذه النظرة التشريعية، يحرم الإسلام تداول الأمور التالية:

١ ـ الأعيان النجسة، التي تضر الإنسان من ناحية صحية، أو تحمل معها جراثيم ضارة، كالمايع والدهن النجسين، والفضلات، والميتة، وأوراث وأبوال الحيوانات غير المأكول لحمها، والخنزير، والكلب...

٢ ـ الأشياء التي تنافي الأخلاق وتؤدي إلى شيوع الفساد الأخلاقي والاستهتار والخلاعة، كآلات اللهو، من الدف والمزمار والناي والبيانو، وآلات القمار، كالنرد والشطرنج، والمسكرات، والصور الخليعة، والمجلات التي تحمل هذه الصور، والقصص الغرامية والبوليسية، والأفلام السينمائية الخليعة...

٣ ـ الأشياء التي تؤدي إلى الأضرار بعقيدة الأمة وإشاعة الإلحاد وإثارة الشكوك في أذهان الناشئة.

ويدخل في ذلك: بيع ونشر وإصدار الكتب والمجلات والنشرات التي تكتبها وتصدرها جهات أجنبية، تدس فيها توجيهات ومفاهيم خاطئة، تتوخى منها تسميم أذهان المثقفين من الناشئة بصورة خاصة، وإثارة الشكوك في نفوسهم.

ويصطلح الفقهاء على تسمية هذه الكتب بـ «كتب الضلال».

وهنا نسبق القارئ إلى الإجابة عن سؤالين قبل أن يبادرنا بهما:

فلا يعني ما تقدم: المنع عن دراسة الثقافة الأجنبية والاطلاع عليها، مهما كان شكلها ولونها... بل نعني مما تقدم: الكتب المدسوسة بغرض من الجهات الأجنبية خاصة.

ولا يشمل هذا المنع ـ من جهة ثانية ـ المثقفين الإسلاميين،

الذين لا يقعون تحت تأثير هذه الكتب، ولا تثير شكوكاً في أذهانهم...

واستثنيت في الحديث هذه الطائفة، ليتاح لهم أن يطلعوا على ما يدس في هذه الكتب إلى أذهان الناشئة الإسلامية خلال عرض قصصي، أو تمثيلية، أو فلسفة، أو شعر أو نثر... وليجيبوا على ما فيها من أفكار مدسوسة، ويضعوا النقاط على الحروف.

٤ ـ الأشياء التي تؤدي إلى أضرار اجتماعية، كالأسلحة والعتاد العسكري الذي يباع إلى العدو.

ويدخل في ذلك بيع المخطوطات الإسلامية الأثرية إلى المكاتب الأجنبية...

وبهذا الشكل، نرى أن الفقه الإسلامي يربط بين البيع وسائر الظواهر والمجالات الاجتماعية، ويحدد على ضوء منها إباحة البيع.

ب ـ الإجارة

أ ـ تعريفها:

هي ـ كما يقول الفقهاء ـ: «تمليك منفعة معلومة بعوض معلوم»[1].

أو هي ـ كما حددناها ـ: تداول الخدمات بعوض معلوم.

ب ـ أقسامها:

والخدمات على ثلاثة أنواع:

١ ـ خدمات بشرية: كخدمات العامل، والطبيب، والمحامي، والموظف...

---

(١) المختصر النافع: ١٥٢.

٢ ـ خدمات سلعية: كخدمات السيارة، والدراجة، والحيوان. . .

٣ ـ خدمات عقارية: كخدمات الأراضي، والأنهار، والبحار. . .

ولكل من هذه الأقسام تفاصيل في الفقه الإسلامي. . . نعرض عنه.

ج ـ شروطها ومسائلها:

يشترط في المتعاقدين: العقل والاختيار، والملك أو الوكالة، أو الولاية على المالك.

ويشترط في الأجرة: أن تكون مقدرة، وتكفي بالمشاهدة.

ويشترط في المنفعة: أن تكون مما يملكها المؤجر.

ويجوز للمستأجر أن يؤجر العين لغيره ـ إلا أن يشترط عليه المؤجر أن يستوفي النفع بنفسه. . .

وأن تبقى العين مع استيفاء المنفعة. . .

وأن تكون المنفعة مباحة.

ويستحب أن يوفى الأجير أجره عند الفراغ من عمله.

د ـ الخدمات التي منع الإسلام تداولها:

وانطلاقاً من النظرة الإسلامية في ربط الفقه بالحياة ـ في حدود ما عرضنا له فيما سبق من هذا الحديث ـ نجد أن الفقه الإسلامي يحظر على المسلمين تداول كثير من الخدمات، مما ينشأ عنها أضرار فردية واجتماعية في حياة الناس.

ومن استعراض هذه الخدمات التي يحرم تداولها، يستطيع الباحث أن يلمح حدود الترابط والوحدة في الفقه الإسلامي بوضوح.

وأهم هذه الخدمات التي يحرم تداولها هي:

١ ـ الخدمات التي يقصد منها الوصول إلى نتائج غير مشروعة:

وذلك كاستئجار وإيجار محل لاستيراد الخمور أو لصنعها، أو إيجار واستئجار محل لبيع الصحف والنشرات الفاسدة، أو استئجار سيارة أو إيجارها لأغراض غير مشروعة يضر بالصالح الاجتماعي العام.

٢ ـ نحت التماثيل المجسمة:

وحرم الإسلام هذا اللون من الخدمات البشرية ذات الطابع الفني، لما ترمز إليه من وثنية جاهلية قضى عليها الإسلام.

ومهما يقال في هذه الصورة من صور الفن الجاهلي، فهي تشير إلى رواسب جاهلية من الخضوع لغير الله تعالى.

والعناية بتماثيل من الحجر أو الجبس لأشخاص من نوع الإنسان، ونصبها في الشوارع والميادين... ترمز إلى صورة من الاحترام للأحجار... لا يليق بالإنسان المسلم، الذي ينحني لله.

٣ ـ رسم صور ذوات الأرواح:

وهو صورة أخرى من صور الفن الجاهلي، ترمز إلى احترام إنسان من بين الناس أو حيوان من بين الحيوانات والعناية بشكله. وعملية الرسم تتضمن معنى في تحدي الخالق ـ تعالى ـ والتشبه في صنع صورة من خلقه.

ولكن ذلك لا يعني حرمة التصوير الفوتوغرافي...

فالصورة الفوتوغرافية لقطة، وليست برسم.. كما أن عملية التصوير لا تخرج من حدود «الالتقاط».

ولذلك يختلف التصوير عن الرسم في الحرمة والجواز.

وقبل أن أترك الحديث عن هاتين الصورتين من الفن الجاهلي، أرغب أن أشير إلى أن الفن الإسلامي لا يتوخى السلامة فقط في الأهداف، وإنما يتوخى قبل ذلك النظافة في الوسائل.

والظواهر الفنية التي ترمز إلى لون من ألوان التفكير الجاهلي، أو يتضمن محتوى لا إسلامي... يلغيها الإسلام.

٤ ـ الخدمات التي تؤدي إلى إنتاج أشياء غير مشروعة.

وذلك كصناعة الصلبان والأوثان، وآلات القمار واللهو، وصناعة الأفلام السينمائية المنافية للأخلاق، وما يدخل في ذلك[١].

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إنما حرم الله الصناعة التي حرام هي كلها، التي يجيء منها الفساد محضاً؛ نظير البرابط والمزامير والشطرنج وكل ملهوّ به، والصلبان والأصنام وما أشبه ذلك من صناعات الأشربة حرام، وما يكون منه وفيه الفساد محضاً، ولا يكون فيه ولا منه شيئاً من وجوه الصلاح حرام تعليمه وتعلمه والعمل به وأخذ الأجرة عليه وجميع التقلب فيه»[٢].

٥ ـ خدمات صالات التجميل:

ومن الخدمات المحرمة تداولها الخدمات التي تقدمها صالات التجميل في الوقت الحاضر في تزييف مظاهر الجمال وتشويه الملامح الطبيعية لجمال المرأة... بما تلقي على وجهها من أصباغ، وتصطنع لها من ماكياج، فتظهرها بغير وجهها الطبيعي.

---

(١) راجع كتاب «المكاسب» للشيخ الأنصاري رحمه الله: ١/ ١٤.

(٢) تحف العقول: ٣٣٦.

فعن «معاني الأخبار» عن جعفر بن محمد عليه السلام:

«لعن رسول الله صلى الله عليه وآله النامصة والمتنمصة، والواشرة والموشرة، والواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة»[1].

وفي الوقت الحاضر، تقوم بهذه العملية مؤسسات مجهزة ودور جاهزة، وصالات كبيرة. وتصرف النساء على هذه المؤسسات وفي كل سنة الملايين الطائلة من الأموال، ويقضين في هذه الصالات ساعات طويلة من الوقت قبل أن يذهبن إلى حفلة ليلية ساهرة من هذه السهرات الممتعة التي تنعقد هنا وهناك!

ولا يحتاج إلى إيضاح أن الإسلام لا يمنع عن الزينة والجمال: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرجها لعباده...﴾[2]، ولا يمنع من أن يظهر المسلم نفسه بحظ وافر من الزينة في المجالس والمجامع والنوادي: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾[3]... ولكن الإسلام يمنع من أن يصطنع الإنسان هذا الجمال، ويزيف هذه الزينة، ويتخذ ذلك حرفة له، ويأسر نفسه أمام المرآة، ويجلس على كرسي الحلاقة ساعات طويلة بين يدي الحلاق ليلعب بملامحه ويشوه من شكله.

---

(١) المكاسب: ١/ ٢١.

قال الصدوق رحمه الله: «النامصة هي التي تنتف الشعر، والمتنمصة التي يفعل بها ذلك، والواشرة التي تشر أسنان المرأة، والموشرة التي يفعل بها ذلك، والواصلة التي تصل شعر امرأة بشعر غيرها. والواشمة التي تشم في يد امرأة».

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٩.

ويدخلَ في هذا الحساب دور الأزياء ومعارضها في الأسواق، والدعاية للموديلات الجديدة من الملابس، والتأنق في العرض بالشكل الخليع والرخيص الذي يمارسه أصحاب دور الأزياء في الوقت الحاضر في أوروبا وأميركا وفي الشرق عندنا.

والإسلام على عنايته البالغة بالجمال والزينة، يحبّب للرجل المسلم أن يظهر بمظهر الرجولة والقوة والخشونة أكثر مما يظهر بمظهر التخنث والميوعة.

وكان رسول الله ﷺ يأمر الرجال من المسلمين أن يخشوشنوا دائماً، ويعودوا أنفسهم على الخشونة في الحياة.

قال ﷺ: «لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء»[1].

وكان ﷺ يزجر الرجل أن يتشبه بالنساء، وينهى المرأة أن تتشبه بالرجال في لباسها[2].

٦ ـ السحر والشعبذة والتنجيم:

وقد منعها الإسلام نظراً لما في تقديم هذه الخدمات من أضرار على ذهنية الأمة وحياتهم الاجتماعية.

فالأمة التي تؤمن بخرافات المنجمين والسحرة والمشعوذين، وتربط مصيرها بهذه التمائم والأوراد والطلسمات التي يقدمها هؤلاء المشعوذين... لا تستطيع أن تفسح لنفسها طريقاً في الحياة، ولا تستطيع أن تغالب الأحداث والصعوبات في سبيل الحياة.

---

(١) المكاسب: ١/ ٢٣.

(٢) نفس المصدر.

فالجهد المثمر، والعزم الصادق، والإيمان بالله، هي التي تقرر مصير الأمم... وليس الإيمان بنبوءات المنجمين، وتمتمات المشعوذين.

والأمة الناجحة هي التي تعرف كيف تسبق أقرانها في مجالات الحياة وفي العمل والجهد البناء والتصميم، وتعرف كيف تتغلب على العقبات... أما الأمة التي تقبع في زاوية من زوايا الحياة لتنتظر ـ بفارغ الصبر ـ خروج العقرب عن القمر وتقابل النيّرين، أو تتمتم على عود تحرقه في مجمرة! فهي أمة لا تليق بالحياة، ولا يحق لها أن تعيش... فهي وثنية في العقيدة، وعاجزة عن مواجهة مشاكل الحياة ومعالجتها.

ولذلك كله، وقف الإسلام في وجه هذه الخرافات والأفكار الوثنية، ومنع من إشاعتها، وقرنها بالجاهلية والوثنية والكفر.

ورد عن النبي ﷺ: «من صدق منجماً أو كافراً فقد كفر بما أنزل الله على محمد»[1].

وورد عن الإمام عليه السلام: «إن المنجم ملعون، والكاهن ملعون، والساحر ملعون»[2].

ولما أراد أمير المؤمنين عليه السلام أن يسير على بعض أسفاره، قال بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين! إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم.

فقال عليه السلام له: «أتزعم أنك تهدي إلى الساعة من سار فيها انصرفت عنه السوءة، وتخوّف من الناس التي من سار فيها

---

(١) المكاسب: ١/ ٢٥.

(٢) نفس المصدر.

حاق به الضرر. . .فمن صدقك بهذا القول كذّب القرآن واستغنى عن الاستعانة بالله»[1].

٧ ـ الغناء:

وهو ما يتعارف في مجالس اللهو، من ترجيعة الصوت بشكل يبعث على الطرب واللهو.

وقد منع الإسلام تعاطي الغناء واستخدام المغنين والاستماع إليه. . . نظراً لما يترتب على الغناء من مفاسد فردية واجتماعية.

وكثير من المشاكل التي نعاني منها في الوقت الحاضر، يعود إلى شيوع الغناء والموسيقى في البلاد الإسلامية.

وقد أكد الفقه الإسلامي في تحريم الغناء والموسيقى على جانب اللهو فيهما خاصة.

ويعني باللهو: الانشغال عن واقع الحياة، وفقدان الحساسية الاجتماعية. وهو من أهم خصائص الغناء والموسيقى. . . كما أنه من أسباب إقبال الناس عليهما.

واستماع الغناء عند الكثيرين من أبناء هذا الوطن العاطلين، الذين تزدحم بهم الشوارع وتضج بهم المقاهي. . . محاولة لنسيان الذات، وإغفال للواقع، واصطناع لميدان جديد للحياة تخلو من زحمة الأحداث والإنسان، ومحاولة لتخدير حساسية الشعور الذي يؤلمه هذا الواقع الاجتماعي الشاحب.

والذين يجدون في الغناء ترويحاً للنفس، وتلطيفاً لأجواء الحياة

---

(١) نفس المصدر.

المزدحمة بالمتاعب، وإنعاشاً للشعور والإحساس، ويلقون عليها ظلالاً من الفن. . . لم ينفذوا بعد إلى أعماق الغناء، ولم يلمسوا أبعاده من قريب.

وكم فرق بين أن يستريح الإنسان إلى شيء وينعم به، وينعش به حاسة الجمال في نفسه. . . أو يخلد إليه ليغفل واقعه!

والغناء، بعد ذلك، عامل كبير من عوامل ذوبان الشخصية وميوعتها.

والذين يعتادون الاستماع إلى البرامج الغنائية والموسيقية، يفقدون ـ عادة ـ صلابة الشخصية، وقوة الإرادة، والسيطرة على النفس. . . فتهتز أعطافهم مع أمواج الموسيقى الصادحة، التي تمغطس الجو وتفعل فعل السحر في نفوسهم.

٢ ـ الشركات

بعدما انتهينا من «التداول الفردي»، ننتقل إلى «الشركات»... وهو ما نعنيه بـ «التداول الشركي».

والشركة: هو الاشتراك في الملك وخلط السهام.

وقد يكون سببه «الإرث»... كما إذا ورثا معاً شيئاً.

وقد يكون سببه «العقد»... كما إذا اشتريا بعقد واحد داراً.

وقد يكون سببه «الحيازة»... كما إذا حازا معاً أرضاً وأصلحاها.

وقد يكون سببه غير ذلك...

والشركة قد تتعلق بـ «الأعيان»... كما إذا اشتركا في شراء بضاعة.

وقد تتعلق بـ «المنافع»... كما إذا اشتركا في إيجار دار.

وقد تتعلق بـ «الحقوق»... كحق الخيار والشفعة وغيرهما.

شرعية الشركة:

قرر الإسلام الشركة وأجازها ضمن مخططه الفقهي.

وقد روي: أن البراء بن عازب وزيد بن أرقم كانا شريكين فاشتريا بنقد ونسيئة. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأمرهما بقوله: «إن ما كان نقداً فأجيزوه، وما كان نسيئة فردوه».

أقسام الشركة:

والمشروع من الشركة قسمان:

١ ـ شركة العنان.

٢ ـ شركة المقارضة (المضاربة).

١ ـ شركة العنان:

وهي شركة الأموال، نسبة إلى «العنان»، وهو اللجام الذي يمسك به الدابة... لاستواء الشريكين في ولاية الفسخ والتصرف[١].

ويساهم المشتركون فيها بالعمل وتجهيز الشركة بالرأسمال الذي يقوم بتسييرها. وليس لأحد أن يتصرف في المال من غير إذن الشركاء الآخرين. ويتساويان في الربح وتحمل الخسارة مع تساوي المال.

٢ ـ شركة المضاربة:

وهو أن يدفع مالاً إلى غيره ليعمل فيه بحصة معينة من الربح[٢]. أي يشترك اثنان أو أكثر... بأن يقدم جانب منهما رأس المال، ويقوم الجانب الآخر بالعمل، ويقتسمان الربح بينهما حسبما يتفقان، وتقع الخسارة كلها على جانب رأس المال، ولا يتحمل العامل شيئاً من الخسارة.

والعامل أمين لا يضمن.

ذلك هو الشكل المشروع للشركة في الفقه الإسلامي. وما عدا ذلك من شركات المفاوضة والوجوه والأبدان، فلا يجوز على المذهب الجعفري.

* * *

وعلى ضوء ما تقدم، نستعرض أقسام الشركة في القانون التجاري

---

(١) شرح اللمعة: ١/ ٣٣٦.

(٢) نفس المصدر ١/ ٣٣٩.

الحديث، لنجد موضع كل قسم منها من الفقه الإسلامي، وحكم أي منها:

الشركات القانونية

تقسم الشركات في القانون التجاري الحديث، بصورة عامة، إلى «شركات تجارية» و «شركات مدنية».

ويعنى بالشركات التجارية: الشركات التي تقوم بأعمال تجارية لغرض تحقيق ربح مادي، كشراء البضائع وبيعها وتأجيرها، وعقد المقاولات المتعلقة بالصناعات، والتجارة، والنقل، والسمسرة، والصرافة، والمعاملات المصرفية...

والشركات المدنية تعنى بما دون ذلك من الشؤون التي لا تدخل في نظامه النشاط التجاري، كشراء الأراضي وبيعها، وبناء الدور وبيعها... وما يدخل في هذا الحساب.

والقانون التجاري الحديث يميز بين هذين النوعين من الشركات ويحسب لكل واحد منهما حساباً خاصاً من حيث مسك الدفاتر وغيره.

ولا يجد الباحث في التشريع الإسلامي ما يدل على وجود تفرقة بين الشركات التجارية والمدنية.

١ ـ الشركات التجارية:

تقسم الشركات التجارية في القانون إلى «شركات أشخاص» و «شركات أموال».

شركات الأشخاص:

وشركات الأشخاص هي التي يقوم كيانها على عاتق أشخاص يعرف بعضهم بعضاً ويثق بعضهم ببعض.

وشركات الأموال لا تقوم على كيان شخصي، وإنما تقوم على كيان مالي يطرح في السوق بصورة سهام، ويتاح للآخرين أن يساهموا منها عن طريقها فيها.

وشركات الأشخاص أقسام كثيرة، أهمها:

شركة التضامن:

وعرّفتها المادة (٢٠) من القانون التجاري العراقي بأنها «شركة يعقدها اثنان أو أكثر بقصد الاتجار على وجه الشركة بينهم بعنوان مخصوص يكون اسماً لها».

ويحدّد لهذه الشركة رأسمال يساهم فيها الشركاء بحسب ما يتم الاتفاق فيما بينهم، ويكون توزيع الخسائر والأرباح بينهم على حسب ما يتم عليه الاتفاق، على أن يكونوا جميعاً شركاء في ذلك. وتكون لها ذمة مستقلة عن ذمم الشركاء، وتنتقل إليها ملكية رأس المال بمجرد عقدها، عند توافر الشروط القانونية في ذلك.

غير أنه يلاحظ، مع ذلك، أن الشريك المضامن مسؤول عن ديون الشركة في أمواله الخاصة لو كانت ديوناً شخصية، ومسؤولية كل شريك تكون بنسبة سهمه في الخسائر.

وهذه الشركة جائزة من الناحية الشرعية، وداخلة في شركة العنان إذا كان الشركاء كلهم يعملون في تسيير الشركة، ويكون مضاربة إذا كان بعض الشركاء يقومون بالعمل بمقدار سهام الآخرين.

وتتحدد مسؤولية كل واحد بمقدار ما يملك من حصة في الشركة. وإطلاق

المسؤولية لا مبرر له من الوجهة الشرعية.

الشركة ذات المسؤولية الواحدة:

وهي شركة محدودة من حيث السهام والشركاء، ولها ذمة مستقلة وشخصية اعتبارية.

وهي جائزة شرعاً. وتدخل في شركة العنان إذا كان المساهمون يقومون بإدارة العمل فيها جميعاً، وفي شركة المضاربة إذا كان العمل يقع على جانب خاص... وذلك بمقدار سهام الآخرين. أما في حدود سهمه الخاص فيدخل في شركة العنان.

شركات الأموال:

وتسمى بـ «الشركات المساهمة»: وهي مؤسسة تجارية تملك رأس مال خاص، تستحصله الشركة عن طريق طرح الأسهم في السوق للبيع والتداول. وتحدد الخسائر بنسبة السهام.

وقد وضع القانون حدوداً كثيرة لحماية المساهمين فيها والمتعاملين معها.

وهي جائزة شرعاً. وتدخل في شركة المضاربة، على أن يقع الضرر فقط على الرأسمال، ويعفى العامل من تحمل أي ضرر مالي.

٢ ـ الشركات المدنية:

هي الشركات التي تقوم بنوع من النشاط المالي، يحقق ربحاً مادياً لأصحابه من دون أن تدخل في نطاق الأعمال التجارية...

ويفرق القانون بين الشركات التجارية والشركات المدنية في نقاط كثيرة أهمها:

١ ـ تخضع الشركات التجارية في معاملاتها ومنازعاتها لأحكام القانون التجاري، بينما تخضع الشركات المدنية لأحكام القانون المدني.

٢ ـ يجوز شهر إفلاس الشركات التجارية، ولا يجوز ذلك في الشركات المدنية.

٣ ـ يلزم القانون الشركات التجارية بمسك دفاترها، بينما لا يوجد إلزام بإمساك الدفاتر على الشركات المدنية[1].

* * *

ذلك عرض سريع لتداول الثروة في الإسلام... قدمناه إلى القراء بهذا الشكل من الإيجاز والاختصار ليكون تمهيداً لدراسة واسعة في هذا الموضوع، إن شاء اللّه تعالى.

والله ـ تعالى ـ نسأل التوفيق.

النجف الأشرف — محمد مهدي الآصفي

---

(١) راجع «الشركات في الفقه الإسلامي»: ٩٠، ٩١.

مراجع البحث

القرآن الكريم

الاقتصاد: سامي الناصري

تحف العقول: الحسن بن علي الحراني.

تذكرة الفقهاء: العلامة الحلي.

الربا: أبو الأعلى المودودي.

الروضة البهية (شرح اللمعة): الشهيد الثاني.

سفينة البحار: الشيخ عباس القمي.

شرائع الإسلام: المحقق الحلي.

الشركات في الفقه الإسلامي: علي الخفيف.

العروة الوثقى: السيد محمد كاظم اليزدي.

علم الاقتصاد الحديث: آرثر إدوار بيرنز.

القانون التجاري العراقي.

المختصر النافع: المحقق المحلي.

المكاسب: الشيخ مرتضى الأنصاري.

نهج البلاغة: شرح الشيخ محمد عبده.

الهلال (مجلة): إميل زيدان.

العدد التاسع

الدورة العاشرة

شهر
رمضان المبارك
سنة ١٣٨٥هـ

كربلاء تلفون ٨١٠

اجوبة المسائل الدينية
تصدرها
لجنة الثقافة الدينية
كربلاء - العراق

سماحة العلامة السيد عبدالرضا الشهرستاني

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الفضيلة السيد عبد الرضا الشهرستاني المحترم

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو إجابتي على هذه الأسئلة ولكم جزيل الشكر

تسلسل ١٢٥٣ ـ سؤال: ما هو معنى هذه الآية الكريمة: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت..﴾ إلى آخر الآية.

تسلسل ١٢٥٤ ـ سؤال: يقول تعالى: ﴿يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً. يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً﴾ من هو الفلان الذي تعنيه هذه الآية الكريمة؟

تسلسل ١٢٥٥ ـ سؤال: ما هو معنى هذه الآية الكريمة: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله بعد إكراههن لغفور رحيم﴾.

أرجو الإجابة على ذلك بصورة مفصلة ونسأله تعالى أن يديم بقاءكم ذخراً

لنا ولخدمة الدين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المخلص الكوفة: عباس الحاج شيخ صادق العطار

(قبض النوم وقبض الموت)

جواب تسلسل ١٢٥٣

للإنسان روح حيوانية، بها ينمو ويتدرج، ويجوع ويعطس، ويتنفس ويتحرك، وما إلى ذلك من خواص الحياة الحيوانية الموجودة في الإنسان.

وله روح أخرى، بها يشعر ويعقل، ويتصور ويفكر، ويحكم ويميز، وما إلى ذلك من خواص الحياة العقلانية الإنسانية.

فالإنسان حين النوم يفقد روحه الإنسانية وتبقى في بدنه الروح الحيوانية، ولكن عند الموت، يفقدهما معاً.

فالنائم مقبوض الروح الإنسانية، فإذا كان التقدير الإلهي بقاء حياته، تعاد إليه الروح، وأما إذا كان التقدير موته فلا تعاد، بل تقبض الروح الحيوانية أيضاً.

يقول تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس﴾ على يد ملائكته، ﴿حين موتها﴾ انقضاء آجالها ﴿والتي لم تمت في منامها﴾ أي وكذا يتوفى الله الأنفس حين نومها، ﴿فيمسك﴾ الروح ﴿التي قضى عليها الموت﴾ فلا تعاد ﴿ويرسل الأخرى﴾ أي روح النائم الذي لم يستوف أجله.

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «ما من أحد ينام إلا عرجت نفسه إلى السماء، وبقيت روحه في بدنه، وصار بينهما سبب كشعاع الشمس، فإن أذن الله في قبض الأرواح، أجابت الروح النفس، وإن أذن الله في رد الروح، أجابت النفس الروح».

(مجمع البيان ج ٨ ص ٥٠١) (سورة الزمر آية ٤٢)

(صداقة ممقوتة)

جواب تسلسل ١٢٥٤

إن كل صديقين إذا كان أحدهما يمنع صاحبه عن الأعمال الصالحة، فإن الآخر سوف يندم من هذه الصداقة الممقوتة، ويعض على يديه، ويقول يوم القيامة: يا ليتني لم أتخذ فلاناً أي صاحبي الذي كان يمنعني عن الأعمال الصالحة خليلاً أي مصاحباً وصديقاً أعقب حسرة وندامة.

وفي ذلك ورد قوله تعالى: ﴿ويوم يعض الظالم﴾ لنفسه ﴿على يديه﴾ ندماً وأسفاً.

قيل وردت في عقبة بن أبي معيط حينما آمن برسول الله ﷺ ثم أنكر عليه ذلك صاحبه وخليله القديم (أُبيّ بن خلف) فقال له: قد صبأت يا عقبة، أي خرجت عن دين آبائك، فخجل عقبة من تعيير صاحبه، وندم على إسلامه فقال: ما صبأت ولكن صدرت مني بادرة وقتية وأنا الآن أتلافاها، فأتى النبي ﷺ وتجاسر عليه بسوء أدب وارتدّ.

فهذا الشخص (عقبة) سوف يندم من إصغائه لإغواء صديقه السوء، ويقول: ﴿يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً﴾ أي ليتني اتبعت محمداً ﷺ «يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً» إشارة إلى صديقه السوء أُبيّ بن خلف «خليفاً» أي صديقاً ﴿لقد أضلني عن الذكر﴾ عن القرآن والإسلام بإغوائه الشيطاني ﴿بعد إذ جاءني﴾ الهدى والإسلام.

وهذه الآية الكريمة وإن كانت نزلت في قضية عقبة وأُبيّ، ولكنها عامة لكل صداقة تمنع الصلاح والسداد.

(مجمع البيان ج ٧ ص ١٦٨) (سورة الفرقان آية ٢٧)

(كسب الفجور)

جواب تسلسل ١٢٥٥

كان العرب أيام الجاهلية يمارسون طرق المعاش والكسب بأي وسيلة كانت، ومن تلك الطرق أنهم كانوا يفرضون على جواريهم وإمائهم إتاوة ثقيلة، لا بدّ من سعيهن وراء ذلك تأميناً لرغبات الأسياد، حتى ولو كان ذلك في طريق الفحشاء والمنكرات، وقد بلغ بهم في هذا السبيل أنهم كانوا يشترون الإماء، ثم يعدونهن للفحشاء، ويعرضونهن على البغي والزنا، رجاء تحصيل المادة، فكانت الأسياد يجبرون ويكرهون إماءهم وفتياتهم (جواريهم) على البغاء وهن مرغمات في ذلك.

وفي تشنيع هذا الأمر وردت الآية الكريمة: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم (جواريكم) على البغاء﴾ على امتهان الفاحشة، ﴿إن أردن تحصناً﴾ ليس هذا شرطاً، بل توبيخ على الموالي، يعني إذا كنتن تردن التعفف فأنتم أولى بإرادة ذلك، ﴿لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ يعني تطلبون وراء هذه الشائنة عرضاً زائلاً وهي المادة (الدرهم والدينار). وهذا من سلوك الطرق السافلة في تحصيل المعاش.

قيل: إن عبد الله بن أُبيّ ـ شيخ المدينة ـ كانت له ست جوارٍ يكرههن على الكسب بالزنا فلما نزل تحريم الزنا أتين رسول الله ﷺ فشكون إليه، فنزلت الآية: ﴿ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن لغفور﴾ لهن لا للأسياد ﴿رحيم﴾ بهن.

(مجمع البيان: ج ٧، ص ١٤١) (سورة النمل آية ٣٣)

حضرات أعضاء لجنة الثقافة الدينية المحترمين

السلام عليكم

سادتي أرجو الإجابة على هذه الأسئلة ولكم الشكر

سؤال (١) تسلسل ١٢٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ العنكبوت، آية ٢.

وقد قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه: علمت أن الفتنة لا تنزل فينا ورسول الله صلى الله عليه وآله حي.

وهذه الفتنة هل هي مخصوصة بزمان الأئمة أو إلى زماننا هذا؟

سؤال(٢) تسلسل ١٢٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ومن يعبد الله على حرف.. إلخ﴾ الحج، الآية: ١١.

وما العبادة المفروضة منها؟

سؤال(٣) تسلسل ١٢٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذن لارتاب المبطلون﴾ العنكبوت ـ ٤٨.

وهل أن رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ ويكتب أم لا؟

نوّرونا ولكم الشكر.

المدينة — الحاج سالم الحاج حسن

(معنى الفتنة في قوله تعالى ﴿وهم لا يفتنون﴾)

بسم الله الرحمن الرحيم

جواب سؤال ١ تسلسل ١٢٥٦

﴿آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ العنكبوت، آية ٢.

المراد بالفتنة الابتلاء والامتحان وأكد هذا المعنى ابتلاء الأنبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وآله كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾.

أما الفتنة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام ـ علمت أن الفتنة لا تنزل وبيننا رسول

الله حي ـ فهي العذاب والانقلاب كما يفيد ذلك قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ الأنفال ٣٣. ولذا ورد عن ابن عباس أن الله لم يعذب قومه حتى أخرجوه منها ـ أي من مكة.

أما استمرار الفتنة بمعنى الابتلاء فأمر تقتضيه ضرورة استمرار التكاليف لا يختلف به زمان أو مكان ولا فرد عن آخر.

(ما هي العبادة المفروضة؟)

جواب سؤال ٢ تسلسل ١٢٥٧

﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ الحج، ١١.

إذا فسرنا العبادة بأنها اعتقاد في الجنان وعمل بالأركان فهي ـ لا محالة ـ تتألف من طرفين أحدهما يلازم الثاني فالاعتقاد المجرد عن العمل غير كاف وإذا لاحظنا أسباب النزول نجد أن جماعة كانوا يقدمون على رسول الله المدينة. فكان احدهم إذا صح جسمه ونتجت فرسه وولدت امرأته غلاماً وكثرت ماشيته رضي به واطمأن إليه وإن أصابه وجع المدينة وولدت قال ما أصبت من هذا الدين إلا شرًا. فالعبادة المطلوبة لا تعلق لها بالأرباح المادية وقد وضع لها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أروع صورة في دعائه: إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكنني وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك ـ والحرف كما ورد في لغة طرف الشيء أو جانبه أو الشك ـ.

(هل أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ ويكتب؟)

جواب سؤال ٣ تسلسل ١٢٥٨

﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون﴾

القراءة والكتابة من مظاهر الكمال في الإنسان وعدمهما نقص فيه ـ هذا فيمن يحتاج إليهما أما من لا حاجة له بهما لعلمه بما كتب أو يكتب المستفاد من الوحي الإلهي فهو في أعلى مراتب الكمال بلا جدال ودراسة الآية تفيد أن الرسول محمداً ﷺ ما كان يتلو ويخط قبل نزول القرآن الكريم ولعل السر في ذلك لئلا يجد المغرضون سبيلاً للشك فيتسنى لهم القول بأن ما جاء به ليس من عند الله وإنما هو خلاصة ما استفاده من كتب العهود القديمة ومخلفات القرون الأولى هذا من جانب القرآن أما الحوادث التاريخية فقد أكدت أن علياً عليه السلام كان كاتباً لرسول الله ﷺ في صلح الحديبية فكتب ـ هذا ما صالح عليه محمد رسول الله. قالوا لو نعلم أنه رسول الله ما قاتلناه امحها قال لعلي امحها، فامتنع علي فقال ﷺ أرنيه فمحاها ومن هذا يستفاد أنه لا يقرأ والغرض من ذلك أن القرآن الكريم ليس من صنعة الإنسان).

باقر شريف القريشي — النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرات أعضاء لجنة الثقافة الدينية المحترمين

تحية وسلاماً

وبعد يرجى التفضل بالإجابة على هذه الأسئلة.

سؤال تسلسل ١٢٥٩ ـ ما تأويل هذه الآية الكريمة: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا﴾[1].

سؤال تسلسل ١٢٦٠

ما هو سبب وفاة فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام

---

(١) سبق تفسير هذه الآية في الدورة الأولى العدد الخامس فراجع.

في قم ـ إيران؟ في خبر أنها توفيت قبل الإمام الرضا عليه السلام بسنتين وفي خبر أنها قد سمعت بوفاة أخيها فشهقت وماتت عليها السلام ما هو الخبر الصحيح؟

ودمتم موفقين وسالمين.

المخلص عيسى بن سلمان بن علي المعلم البحرين قرية كراته

بسم الله الرحمن الرحيم

(سبب وفاة فاطمة المعصومة بقم)

جواب تسلسل ١٢٦٠

عن تاريخ قم تأليف حسن بن محمد بن حسن الشيباني الذي ألفه الصاحب ابن عباد سنة ثلاثمائة.

قال إن فاطمة بنت موسى بن جعفر سافرت في سنة مائتين وواحدة من الهجرة إلى خراسان بعد هجرة أخيها الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام بسنة طالبة لأخيها حتى بلغت ساوة فمرضت مرضاً شديداً فسألت عن بلدة قم فقالوا لها بأنها بعيدة مقدار عشرة فراسخ قالت لخادمتها خذوني إلى قم.

وعندما وصل خبر وصولها إلى قم استقبلوها أهالي قم وتقدم موسى بن خزرج بن سعد الأشعري وأخذ زمام ناقتها حتى بلغها إلى داره.

وتوفيت في دار موسى الأشعري بعد سبعة عشر يوماً فأمر موسى بغسلها وتكفينها والصلاة عليها ودفنها في أرض له.

وذكر ابن بابويه عندما توفيت فاطمة المعصومة غسلوها وكفنوها وأخذوها إلى مقابر بربايلان وحفروا لها قبراً ودفنوها هناك.

ويظهر مما روى ابن قولويه في الكامل والصدوق في العيون وثواب الأعمال بسند حسن عن سعد بن سعد قال سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن زيارة قبر فاطمة بنت موسى بن جعفر فقال عليه السلام من زارها فله الجنة.

إنها توفيت قبل أخيها.

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات أعضاء لجنة الثقافة الدينية المحترمين

بعد التحية وفائق الاحترام أرجو التكرم عليّ برد هذه الأسئلة ولكم مزيد الشكر.

سؤال تسلسل: ١٢٦١

هل الزواج واجب أو مستحب؟

وماذا يعمل من لا مال لديه ولا والٍ يقوم بمتطلباته ولا يستطيع أن يصبر وقد بلغ من العمر الخمسين سنة والذي يحصله من العمل ينفقه على مأكله ومشربه ولم يجد من يتصدق عليه بإعانة تزوجه أيذهب إلى الأماكن المفسدة ففيها ضرر على نفسه وفساد لكرامته؟

المخلص جاسم محمد مكي الفردان

كرزكان ـ البحرين ١٦ صفر ١٣٨١

(حكم الزواج وحل مشكلته)

جواب تسلسل: ١٢٦١

أما الزواج فمستحب مؤكد في ذاته لمن يمكنه ذلك، ولا يخاف بتركه الوقوع في محرم قال الله سبحانه في كتابه العزيز: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾[١] وقال: ﴿وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾[٢] وأقل مراتب الأمر الاستحباب وقال النبي ﷺ: من رغب عن سنتي فليس مني، وإن من سنتي النكاح، وقال ﷺ: «من تزوج أحرز نصف دينه فليتق الله في النصف الآخر».

---

(١) السورة ٤، الآية: ٣. (٢) سورة النور، الآية: ٣٢.

أجل الزواج والنكاح إنما يستحب ويوصف بكونه مندوباً بالذات مع قطع النظر عن العوارض اللاحقة، وإلا فهو بواسطتها ينقسم إلى الأحكام الخمسة يجب عند خوف الوقوع في الزنا بدونه، ويحرم إذا أفضى إلى الإخلال بواجب كالحج وغيره، ويكره عند عدم الاحتياج إلى الزواج مع وجود الفقر قال الله سبحانه: ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله﴾[1].

وبينا مشكلة الزواج في الدورة الثالثة وهذا نصه:

من سوء حظ الأمم تقاليدها العمياء، وخروجها من عاداتها الجميلة الموروثة الاجتماعية والأخلاقية، وتركها تعاليم دينها القويم.

والإسلام لم يترك مشكلة بدون حل وهؤلاء المسلمون تركوا أكثر تعاليمه، فبان الخلل في كل شيء وظهر العجز في كل ناحية. ومن أهم النواحي ـ التي يجب أن تعالج بالدين وتحل على ضوء تعاليمه ـ مشكلة الزواج التي أحدثت أضراراً لا تحصى ولا تعد.

فمنها ـ الأضرار المادية التي نشأت من غلاء المهور بصورة لا تتناسب والاقتصاديات فإن طبقات الناس ـ وإن تفاوتت بالثراء والجدة ـ لا بد وأن تكون مشكلة الزواج نصب أعينهم. فإن كل واحد بحسبه يضطر إلى مجاراة أمثاله فيتصدى بكل وسعه ليتفوق على أقرانه أو يباريهم على الأقل وبهذا وذاك تختل الموازين الاقتصادية أو تشل حركة التكاثر والتناسل.

حقاً إن مشكلة الزواج من المشاكل المهمة التي ينبغي أن تكون موضع اهتمام الجميع، ولا بد أن تحل على الوجه الأتم.

ارتفعت المهور في السنين الأخيرة. وبلغت الغاية القصوى بالنسبة لكل طبقة،

---

(١) نفس السورة، الآية: ٣٣.

بحيث أحجم كثير من العزاب أمام هذه المهور الباهظة، والمصاريف الكثيرة التي تعقب المهور واختاروا العزوبة، وبعضهم ركنوا إلى محلات الفساد والخنا لتقضية شهواتهم. وبذلك تكثر الجرائم الأخلاقية وتتفشى الأمراض الزهرية ولربما جرت إلى غير ذلك من كل ما يتصور.

وأما الفتيات اللاتي أقعدن في البيوت لارتياد أغلى المهور وانتخاب أحسن الأزواج من الأثرياء أو الأجلاء فلربما ثارت ثائرتهن بسبب أن الضغط يولد الانفجار فتذهب بعفاف بيتها وتخدش بنزاهة أسرتها.

والمسؤولون في ذلك أولياؤهن الذين يتربصون بهن المنافع الشخصية والوجوه الاعتبارية. ويتحينون الفرص النادرة، فعليهم الوزر والعذاب.

عن رسول الله ﷺ قال: إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إن لم تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.

وإن الدين الحنيف حبب تسريح الفتيات إلى الزواج في الفرص القريبة على المسلم الكفء. ولا نكران إذ نقول إن الفساد الفاشي والأمراض المنتشرة وتوقيف حركة التناسل والتوالد نشأ من غلاء المهور.

هذا وإن الدين الإسلامي لم يجعل حداً للمهر. لكنه حبب أن يكون قليلاً ورغب في التسهيل. وقال النبي ﷺ بذلك «من يمن المرأة تسهيل أمرها وقلة صداقها».

ويستحب أن يكون المهر خمسمائة درهم أو ما يساويها أسوة بالرسول الأعظم ﷺ وهو المعبر عنه بمهر السنة.

ففي الوسائل (كتاب النكاح) الباب الرابع من أبواب المهور، عن معاوية ابن وهب قال: «سمعت أبا عبد الله يقول ساق رسول الله ﷺ اثنتي عشرة أوقية ونشاً. والأوقية أربعون درهماً والنشء نصف الأوقية عشرون درهماً، وكان ذلك خمسمائة درهم، قلت بوزننا: قال نعم.

لم تكن الغاية من الزواج الفخفخة والأبهة والعظمة والتكاثر في الأموال والمعدات وإنما الغاية الوحيدة هي التكاثر والتناسل وحفظ النظام كما قد صرحت بذلك جملة من الأخبار وإليك ما قاله الإمام الرضا عليه السلام: «لو لم تكن في النكاح آية منزلة ولا سنة متبعة لكفى فيه حفظ النظام وبقاء النسل».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تناكحوا تناسلوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم ولو بالسقط». أجل إن الزواج دعام الحياة وعليه تبنى وهو المقوم للبشرية وبه تسمو وتزكو وهو الرابطة الوثيقة بين المرأة والرجل، وبه يكثر التناسل ويتفشى العمران، ولولاه لانقضت الدنيا على عروشها، وأصبحت بعد قرن من الزمن لا حسيس فيها ولا أنيس.

وقد تطرقنا لهذه الأبحاث في الأعداد السابقة خصوصاً العدد الرابع من الدورة الثالثة تحت عنوان (الزواج مستحب) وعنوان (لا تقدير في المهر) وعنوان (البنت وزواجها) وعنوان (مسؤولية ولي البيت في الزواج).

لو عمل المسلمون بما قال الشرع الإسلامي لسادوا على العالم وحل جميع مشاكل حياتهم نسأل الله التوفيق للعلم والعمل الصالح.

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرات أعضاء لجنة الثقافة الدينية المحترمين

وفقكم الله لما فيه الخير لنصرة الإسلام والأمة العربية والإسلامية وهو السميع المجيب. وبعد أرجو الجواب على السؤال التالي ولكم جزيل الشكر والامتنان.

سؤال تسلسل ١٢٦٢

إن الغربيين وعملائهم (الرأسماليين) يقولون ويدعون أن الدنيا سوف تنتهي بالرأسمالية بصفتهم اعتمدوا عليها وأنشؤوها.

ولكن الشرقيين (الشيوعيين) يقولون سوف تنتهي بالشيوعية لأنها أتت بعد الرأسمالية المنقرضة.

وما هي انطباعاتكم عن هذه الأقوال من الناحية الدينية وغيرها إن أمكن ودمتم محروسين؟

المخلص الحبانية

السيد خلف الحاج سيد مهدي القاعدة الجوية الجناح الفني[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأول بلا أول كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين وعجزت عن نعته أوهام الواصفين وتحيرت العقول في كنه معرفته ونضبت البحور في بحر هويته الذي خلق الخلائق بقدرته وجعلهم آية لربوبيته ونصب لهم الأدلة الواضحة والحجج اللائحة وبعث إليهم الأنبياء وجعلهم سفراء بينه وبينهم.

ثم السلام على سيدنا وإمامنا وريحانة المصطفى وسيد شباب أهل الجنة مولانا الحسين عليه السلام وبعد فإني من قراء مجلتكم الشريفة ويسرني ما تجيبون على جميع الأسئلة الدينية وجميع المسائل التي لها علاقة بالدين وأنتم تعرفون في هذه الظروف التي تحيط بنا الأعداء من كل جانب ومكان وأود في رسالتي هذه أن أسألكم هذا السؤال وأريد الجواب بصورة كاملة تفي بالغرض المطلوب ولو هذا يكلفكم الوقت الطويل ولكن خدمة للدين والواقع والسؤال هو(هل أن في الدين الإسلامي اشتراكية؟) وهل صحيح ويمكن

---

(١) وقد جاءنا كتاب جديد يشبه سؤاله سؤال صاحب هذا الكتاب لذا نذكر مكتوبه بتمامه حتى يحصل هو أيضاً على جوابه وهذا نص رسالته.

لنا أن نعتبر سيرة النبي محمد وما جاءت به الشريعة الإسلامية ومن باب المثال قضية الإمام علي عليه السلام مع أخيه عقيل كل هذا وذاك هي مبادئ اشتراكية. أنا مقتنع كل الاقتناع أن لا اشتراكية في الإسلام مطلقاً وأن هذه الكلمة دخيلة على الدين والشريعة الإسلامية لأني بحثته في عدة كتب فلم أجد هناك ذكراً لمثل هذه الأشياء التي تنسب وهل أن ما جاء في القرآن الكريم والشريعة النبوية كالخمس والزكاة ورد المظالم والصدقات تعتبر في حد ذاتها مبادئ اشتراكية؟ وهل أن الدين الإسلامي قد حارب التفرقة والتمييز بين الأبيض والأسود والعربي والعجمي كما ورد في الحديث: (لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى) (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)؟ هل هذا يعني أن الدين قد جاء بمفاهيم اشتراكية فأنا أقول إن الدين شيء والاشتراكية شيء آخر فهل لكم أن تكتبوا لي شرحاً مفصلاً يمكنه الرد على بعض الشباب الذين قد غرروا بهم وإني أقول لكم إني طالب جامعي في السنة الثانية وهذه المنافسة أثيرت في محاضرة لأحد الأساتذة والمحاضرة كانت في العلوم السياسية والنظم السياسية فكان رأي الأساتذة أن لا اشتراكية في الإسلام وطلب مني أن أكتب له في هذا الموضوع وإني وجدت من الأجدر والأولى أن أرسل لكم هذه الرسالة آملاً أن أحصل على شرح مفصل كل التفصيل وأن أحصل على معلومات قيمة في هذا البحث وإذا كان بالإمكان أن أحصل على بعض المصادر التي تطابقوني في الرأي وبهذا أكون شاكراً لكم وأعتبره جزءاً من عملكم الذي تهدفون إليه لأجل الخير والإصلاح والله من وراء القصد.

السائل	العنوان
السيد ضياء السيد جواد الموسوي	الكاظمية ـ مدينة الحرية ـ سوق البزازين
	رقم الدار ٨٧/ ٢٠٥

ملاحظة

أكرر رجائي أرجو أن يكون الجواب مفصلاً وليس مجملاً وأطلب معالجة الموضوع من جميع النواحي الاجتماعية والاقتصادية والدينية معززة بالأمثال مقرونة بالأدلة والبراهين والآيات القرآنية الكريمة وأسأله تعالى أن يوفقكم لما فيه خير وصلاح ودمتم للدين سنداً وذخراً.

(المقايسة بين الإسلام والرأسمالية والشيوعية)

جواب تسلسل: ١٢٦٢

يقول الإسلام بالملكية الفردية محفوظة ولكن الفقراء البائسين شركاء مع الأغنياء في أموالهم؛ فعلى كل ملي أن يؤدي من ماله الذي اختصه الله به إلى العادم البائس حقه بغير منٍّ ولا أذى حتى لا يبقى فقير على وجه الأرض

حفظ مالكية الأغنياء وشرك معهم الفقراء وكذلك المصالح العامة.

ولم يجعل للدولة ملكاً مستقلاً عن الناس بل الدولة من الناس والناس من الدولة والناس كلهم سواء.

فمحاسن القوانين الاشتراكية موجودة في الإسلام، وما فيها من ضرر منتف. ومحاسن القوانين الرأسمالية موجودة في الإسلام وأضرارها منتفية والإسلام هو الذي يمكن أن تجتمع عليه كلمة البشر ويسود السلام بينهم ولا يصلح ولا يمكن أن يبقى للبشر نظام يسعدهم ما لم يرجعوا إلى الإسلام.

ونحن شرحنا حول هذا الموضوع في أعداد هذه النشرة أجوبة المسائل الدينية بعناوين مختلفة منها في العدد الثاني عشر من الدورة الثالثة حول اقتصاديات الإسلام، ومنها في العدد الثاني عشر من الدورة الرابعة حول الاشتراكية في نظر الإسلام وأيضاً في العدد الثالث من الدورة الخامسة بعنوان الرأسمالية في نظر الإسلام وغيرها في الدورة السادسة حقوق العامل والفلاح في

ظل نظام الإسلام وغيرها وقد كتب وألف حول هذا الموضوع أيضاً كتب مبسوطة ينبغي الرجوع إليها ككتاب ١ ـ اقتصادنا تأليف العلامة السيد محمد باقر الصدر وكتاب العمل وكتاب الاشتراكية في نظر الإسلام وغيرها من الكتب المؤلفة أخيراً.

سؤال تسلسل: ١٢٦٣

ما معنى هذا الحديث؛ الظالم سيفي أنتقم به، وأنتقم منه؟

السائل: الحاج عبد الكريم توتونچي سوق الشيوخ

(الظالم سيفي انتقم به وأنتقم منه)

جواب تسلسل: ١٢٦٣

ظاهر الحديث أن الله يسلط بعض الظالمين على البعض وبه ينتقم من الظالم الآخر ثم يأتي نوبة الثاني فينتقم منه لأجل ظلمه بواسطة ظالم آخر وهكذا كما نرى في الحكومات وغيرها.

وأما معنى وأنتقم منه لأنه ظالم والظالم لا بد أن ينتقم منه فإما في الدنيا وإما في الآخرة.

أجوبة المسائل الدينية

سادتي أصحاب الفضيلة أسرة تحرير (أجوبة المسائل الدينية المحترمين)

بعد التحية ومزيد من الاحترام

لي الفخر والاعتزاز أن أقدم لمقامكم الجليل السؤال التالي. وأرجو الإجابة عنه. سائلاً المولى العلي القدير أن يحفظ علماءنا الأخيار والله ولي التوفيق.

سؤال تسلسل: ١٢٦٤

ما معنى هذه الآية الكريمة ومتى نزلت ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها﴾؟

هذا وتفضلوا بقبول بفائق الاحترام.

٩/ ٨/ ١٩٦١ المخلص: كامل رحيم الكيال ـ كربلاء

جواب تسلسل: ١٢٦٤

(أم القرى وحولها)

يقول تعالى خطاباً لرسول الله ﷺ ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً﴾ أي كما أوحينا إلى النبيين من قبلك ﴿لتنذر أم القرى ومن حولها﴾ أم القرى مكة ومن حولها الناس كلهم من سائر الأرض لأن الأراضي كلها دحيت من تحت مكة؛ فهي أم القرى ووسط الأرض وسائر الأرضين حولها ودائر مدارها فهذه الآية دالة على أن نبوة نبينا عامة لجميع الأرض.

* * *

السلام عليك يا أبا عبد الله الحسين ورحمة الله وبركاته.

السلام على العلماء المشتغلين بالعلم والعمل إلى السادة أعضاء لجنة الثقافة الدينية المحترمين ـ كربلاء المقدسة. أرجو أن تبعثوا لي الأجوبة على الأسئلة التالية ولكم الشكر والأجر والثواب.

سؤال تسلسل: ١٢٦٥

روي عن النبي الأعظم ﷺ أنه قال سيفترق المسلمون إلى ٧٣ فرقة، فرقة منهم ناجية وبقية الفرق هالكة نرجو إخبارنا بالفرقة الناجية.

١ جمادى الثانية ١٣٨١هـ عبد الصاحب الحائري

الكاظمية المشرفة محل السيد عبد المجيد الحيدري

(الفرقة الناجية)

جواب تسلسل: ١٢٦٥

سبق جواب مثل هذا السؤال وبينا عدد الفرق وتعيين الفرقة الناجية على لسان النبي الكريم وذلك في الدورة الثامنة العدد العاشر.

وإن المستفاد من قول رسول الله ﷺ الفرقة الناجية هم علي وشيعته كما في حديث مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا.

وقوله ﷺ لعلي: يا علي تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي عدوك غضباناً مقمحين، وشرح البحث موكول إلى العدد المذكور.

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى سماحة العلامة السيد عبد الرضا الشهرستاني وأعضاء لجنة الثقافة الدينية المحترمين.

أسأل الله أن يوفقكم ويسدد خطاكم ويؤيدكم بنصره.

أرجو من أصحاب الفضيلة أن تجيبوا على أسئلتي ولكم الشكر.

أرجو أن تقبلوا تحياتي الوافرة.

سؤال تسلسل ١٢٦٦

روي أن رسول الله ﷺ كان يوماً مع جماعة من أصحابه ماراً في بعض الطرق وإذا هم بصبيان يلعبون في ذلك الطريق فجلس النبي عند صبي منهم وجعل يقبِّل ما بين عينيه ويلاطفه ثم أقعده في حجره وهو مع ذلك يكثر تقبيله فقال له بعض الأصحاب يا رسول الله ما نعرف هذا الصبي الذي قد شرفته بتقبيلك وجلوسك عنده وأجلسته في حجرك ولا نعلم من أين هو؟ فقال النبي ﷺ:

«يا أصحابي لا تلوموني فإني رأيت هذا الصبي يوماً يلعب مع الحسين عليه السلام ورأيته يرفع التراب من تحت أقدامه ويمسح به وجهه وعينيه مع صغر سنه فأنا من ذلك اليوم بقيت أحب هذا الصبي حيث إنه يحب ولدي الحسين عليه السلام فأحببته لحب الحسين عليه السلام وفي يوم القيامة أكون شفيعاً له ولأبيه ولأمه كرامة له ولقد أخبرني جبرائيل عليه السلام أنه يكون هذا الصبي من أهل الخير والصلاح ويكون

من أنصار الحسين عليه السلام في واقعة كربلاء فلأجل هذا أحببته وأكرمته كرامة للحسين.

والسؤال من هذا الصبي نرجو ذكر اسمه وقد ذكره الطريحي في المنتخب.

علي نقي محمد سلو من أهالي تلعفر

حب الحسين عليه السلام

جواب تسلسل ١٢٦٦

يقال هو حبيب بن مظاهر الأسدي وإن كان للنقاش فيه مجال والله العالم.

أعزائي أعضاء هيئة التحرير المحترمين

سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته...

وبعد فقد سألني فريق من طلاب كلية الحقوق ـ من غير الجعفرية ـ مسائل عجزت عن جوابها لعدم اختصاصي بها، وقد وقعت بيدي صدفة عندما كنت في مكتبة الجوادين بالكاظمية نشرة من نشراتكم الدينية التي تتصدى للإجابة عن أسئلة القراء فرأيت أن أوجه إليكم تلك الأسئلة راجياً إفادتنا بالجواب عنها ولكم الأجر والثواب:

تسلسل ١٢٦٧ سؤال(١).

المعروف أن السادة هم أبناء النبي وبناته وذرياتهم ولما كان أمير المؤمنين علي عليه السلام ليس من أبناء الرسول صلى الله عليه وآله ولا من أحفاده فهل نعتبر ذرية الإمام من غير زوجته فاطمة الزهراء عليها السلام سادة أيضاً مع أن زوجاته من غير الزهراء لسن سادة؟ ولماذا؟

تسلسل ١٢٦٨ سؤال(٢)

ما هي متعة الحج؟

تسلسل ١٢٦٩ سؤال (٣)

هل نص رسول الله ﷺ على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام وسند ذلك من كتب العامة إن أمكن ولو بالإشارة للمراجع فقط؟

تسلسل ١٢٧٠ سؤال (٤)

القرآن الكريم أوجب الصلاة على النبي دون أن يقرنها بآله فكيف قرناها بهم والآية الشريفة تقول: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ هل هناك حديث وما هو إن أمكن؟

وفي الختام نقدم لكم عظيم الشكر وفائق الاحترام.

بغداد ـ الأعظمية ـ محكمة تمييز العراق ب. خ.

(السيادة لهاشم ونسله)

جواب تسلسل ١٢٦٧

السيادة لهاشم بن عبد مناف ومن تناسل منه.

وأما علي عليه السلام فهو ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

(حج التمتع)

جواب تسلسل ١٢٦٨

الحج على ثلاثة أقسام: تمتع وقران وإفراد. حج التمتع واجب على من بعد منزله عن مكة بمقدار ثمانية وأربعين ميلاً وذلك يساوي ستة عشر فرسخاً فإن نقص عن ذلك كان تكليفه الإفراد والقران والفرق أن العمرة في التمتع مقدمة على الحج وفي الباقين مؤخرة عنه، ولا يصح عمرة التمتع إلا في أشهر الحج وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة وفي الإفراد والقران يصح في غيرها ايضاً ويجب في عمرة التمتع أن يحرم من إحدى المواقيت المعلومة وفي حجه من مكة وفي الباقين يجوز من غيرها.

(الأئمة الاثنا عشر)

جواب تسلسل ١٢٦٩

بينا المصادر في الدورة الأولى العدد الحادي عشر وقد ألف أحد أعضاء اللجنة أخيراً كتاباً خاصاً في الموضوع وأسماه خلفاء الرسول اثنا عشر فراجع.

(الصلاة على محمد وآله)

جواب تسلسل ١٢٧٠

ذكرنا في معنى الصلاة على محمد وآل محمد في الدورة الثانية العدد العاشر وفي الدورة السادسة حول الصلاة على رسول الله ﷺ وتوجد هناك مصادر وثيقة من طرف السنة والجماعة منها عن ابن حجر في الصواعق ص ٨٧ عن كعب بن عجرة قال لما نزلت هذه الآية قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ فقال ﷺ: قولوا اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، أخرجه البخاري في الصحيح ج ٣ والهيتمي في مجمع الزوائد وأحمد ابن حنبل في مسنده ج ٣ ص ٣٢٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ الأكرم فضيلة السيد عبد الرضا الشهرستاني المحترم.

أقدم إليك تحية إسلامية وأسأل الله تبارك وتعالى أن يحفظك ويديمك ذخراً للأمة الإسلامية.

سيدي الفاضل يسرني ولأول مرة أن أقدم لكم هذا السؤال.

أرجو وبدون زحمة أن تجيبوني عليه بصورة صحيحة وبدون التباس وتردد ولكم مزيد الشكر والاحترام.

سؤال تسلسل ١٢٧١.

أنا أحد أفراد عشيرة كوام الإمام أبي القاسم عليه السلام الكائن مرقده

خارج قضاء المسيب بالقرب من أولاد مسلم عليه السلام ولكن لحد الآن لم أقف على حقيقة اسمه الصحيح وابن من من الأئمة الأطهار وبأي وقت استشهد؟ ويقولون استشهد في معركة النهروان ويقال إنه قتل وهو عريس ووو. . . إلخ.

أنتظر الجواب في مجلتكم الموقرة أجوبة المسائل الدينية في أقرب وقت ممكن.

النائب الضابط الكاتب عبد وادي الگيم ـ آمرية معسكر الحبانية (مرقد القاسم الأكبر ابن الإمام حسن بن علي قرب المسيب).

جواب تسلسل ١٢٧١

في فلك النجاة للعلامة السيد مهدي القزويني وأما القاسم بن الحسن السبط وهو القاسم الأكبر غير شهيد الطف المدفون في العتيكيات المسمى الآن بالمسيب قريب من الفرات وقد أصيب جريحاً في النهروان.

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد

حضرات السادة أعضاء لجنة الثقافة الدينية الأفاضل

تحية إسلامية مباركة تشع منها أضواء العقيدة والإيمان لمقامكم الوجيه.

إن جهودكم التي تواصلون بذلها في كل حين قد برهنت على أنكم تسعون دائماً وأبداً لنشر أحكام الشريعة المقدسة بين عموم الناس، ونرجو من العلي القدير أن يسدد خطاكم ويثبت أقدامكم ويبقيكم أئمة لأمة الإسلام.

نورونا بالجواب المنير ولكم جزيل الشكر والتقدير.

سؤال تسلسل ١٢٧٢

ما هي نظرية الإسلام عن خلقة الإنسان وتكوينه[1].

وقد ذهب ما يسمى بالفلاسفة بأن الإنسان قد تحول عن حيوان وطرأت عليه

---

(١) صدرنا عدداً خاصاً في بحث التطور وأجبنا عن كل ما جاء في الموضوع من الإشكالات وهو العددان الثالث والرابع من الدورة التاسعة فراجع.

تطورات في أعضاء جسمه.

نرجو أن تستفيضوا بالجواب وتبطلوا حجج الطبيعيين الواهية الملحدة وفقكم الله لما فيه الصواب.

النجف الأشرف ٢٠/ ٧/ ١٣٨١ هجري عبد الحسين حمد آل حمودي

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات السادة أعضاء لجنة الثقافة الدينية الكرام

أبعث إليكم تحية وسلاماً ودمتم تواصلون العمل في جهادكم المقدس وإن نشرتكم أجوبة المسائل الدينية لهي مشروع جبار سوف يثمر بعون الله كما هو مثمر في الحال.

وبعد أرجو أن تتفضلوا بالإجابة عن الأسئلة المدونة أدناه ولكم الشكر الجزيل وأدامكم الله ذخراً.

تسلسل ١٢٧٣ سؤال (١)

ما هو معنى وشرح الآية الكريمة الآتية: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ وما هي تلك الأمة وما شأن تفضيلها[1].

تسلسل ١٢٧٤ سؤال (٢)

ما هو الفرق بين أحكام السماء وقوانين الأرض المجعولة من قبل البشر؟ وأي من الأحكام تحقق سعادة البشرية؟

تسلسل ١٢٧٥ سؤال (٣)

ما هو موقف الإسلام أمام الرشوة والاحتكار؟

النجف الأشرف رزاق الحاج سعيد آل حمودي

---

(١) سبق تفسير هذه الآية.

(تفسير قوله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾)

جواب تسلسل ١٢٧٣

الأمة اشتقاقها من الأم الذي هو المقصد في اللغة تستعمل على ثمانية أوجه:

١ ـ الجماعة. ٢ ـ اتباع الأنبياء لاجتماعهم على مقصد واحد. ٣ ـ القدوة لأنه يأتم به الجماعة. ٤ ـ الدين والملة كقوله ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾. ٥ ـ الحين والزمان كقوله تعالى ﴿واذكر بعد أمة معدودة﴾. ٦ ـ القامة يقال رجل حسن الأمة أي القامة. ٧ ـ النعمة. ٨ ـ الأمة بمعنى الأم.

والخطاب إلى أمة محمدﷺ وشأن فضلها قيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومعناه صرتم خير أمة وجماعة خلقت لأمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر وإيمانكم بالله فتصير هذه الخصال على هذا القول شرطاً في كونهم خيراً وعن بعض الصحابة أنه قال من أراد أن يكون خير هذه الأمة فليؤد شرط الله فيه من الإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(الفرق بين القوانين الوضعية والقوانين الإلهية)

جواب تسلسل ١٢٧٤

قد حققنا في محله فروقاً نذكر بعضها.

أولاً: إن الفرق بينهما كالفرق بين مصنوعات البشر ومخلوقات الإله. فالأول لها تبدل كل يوم والثاني لا يتبدل أبداً لأن واضعها كامل من جميع الجهات.

وواضع القسم الأول الإنسان الذي هو محتاج إلى الله في كل شيء وناقص في العقل ولا يعرف صلاحه وصلاح بلاده فكيف يضع لها قوانين؟

وواضع الثاني هو الله الذي خلق الخلق وأبدع في صنعه ويعرف مصالح العباد في كل جيل وزمان وقد أرسل الرسل وأنزل الكتب وبيّن الحلال والحرام والأحكام كلها وما يحتاج إليه البشر وفيه سعادتهم حتى الأرش في الخدش.

ثانياً: واضع القسم الأول هو البشر ويضع كل واحد حسب عقله وفكره

لذا نرى تبدل النظام وتضارب الآراء والقوانين في كل حين وآن والقوانين المتناقضة ومخالفة كل حزب مع الآخر في الفكر والنظام ومن أثره هذه الخصومة والبلبلة في البلاد. فإن كان الصلاح هو هذا القانون مما هو الثاني في نفس المملكة أو في جيرانه.

وأما القانون السماوي فهو صالح وشائع في كل البلاد وإذا التزموا بالعمل بقانون السماء فلا خوف ولا خصومة ولا رجحان قول هذا ورأي هذا.

ثالثاً: غاية تنفيذ القوانين الوضعية في الظاهر والعلن وأما في السر والخفاء فلا يمكن الردع والمنع فلا يعد الجنايات السرية كالقتل والسرقة وغيرهما فيما لا يوجد شاهد. وأما القوانين السماوية تمنع الإنسان حتى في السر والخفاء لأن المتشرع يخاف من ربه ويعتقد بالجنة والنار ولذلك يرى أن المسلم أو المتدين لا يسرق ولا يزني ولا يقتل وو... وإن لم يوجد رادع في الظاهر لأنه يخاف ربه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ويعتقد المؤمن بقوله تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ صدق الله العلي العظيم.

عبد الرضا الحسيني الشهرستاني

(الرشوة والاحتكار)

جواب تسلسل ١٢٧٥

الرشوة بالكسر ما يعطيه الشخص إلى الحاكم وغيره ليحكم له أو يعلمه على ما يريد والجمع رشى وفي الحديث لعن رسول الله الراشي والمرتشي والراشي يعني المعطي للرشوة والآخذ لها والساعي بينهما يزيد لهذا وينقص لهذا وهو الرايش ويسمى اليوم (بالدلال).

وجاء في البحار الباب السابع من المجلد ٢٤ باب الرشاء في الحكم وأنواعه بما يلي:

التوبة: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان﴾ إلى آخر الآية.

الأمالي: عن السكوني عن الصادق عليه السلام عن آبائه عن علي عليه السلام قال: السحت ثمن الميتة وثمن الكلب وثمن الخمر ومهر البغي والرشوة في الحكم أجر الكاهن.

الأمالي: عن عمار بن مروان قال قال أبو عبد الله عليه السلام: للسحت أنواع كثيرة إلى أن قال: ومنها أجور القضاء إلى أن قال فأمر الرشا يا عمار في الأحكام فإن ذلك الكفر بالله العظيم وبرسوله.

عيون أخبار الرضا بالأسانيد عن الرضا عن آبائه عن علي عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿أكالون للسحت﴾ قال هو الرجل يقضي لأخيه الحاجة ثم يقبل هديته.

أمالي الشيخ: عن جابر بن عبد الله أنه قال هدية الأمراء غلول.

تفسير العياشي: عن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الرشاء في الحكم هو الكفر بالله.

جامع الأخبار: قال النبي صلى الله عليه وآله: الراشي والمرتشي والماشي بينهما ملعونون.

كتاب الإمامة والتبصرة: عن موسى بن إسماعيل عن آبائه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله مثله وقال صلى الله عليه وآله: لعن الله الراشي والمرتشي والماشي بينهما وقال: وإياكم والرشوة فإنها محض الكفر ولا يشم صاحب الرشوة ريح الجنة.

وأما موضوع الاحتكار أشرنا إليه في الأعداد ٦ و ٧ و ٨ من هذه الدورة في عنوان سرعة التداول.

والشرط الثاني لمشروعية التداول هو الإسراع في تداول الثروة. والثروة أية ثروة كانت، تنمو بالتداول بصورة مباشرة، أو تؤدي إلى نمو ثروة البلاد بصورة غير مباشرة.

وأي تأخير في التداول يؤدي إلى تقليص الثروة والحد من نموها... سواء كان ذلك في النقد أو في البضاعة.

فحين يتداول الناس الثروة في الأسواق وتنتقل في الأيدي، وتتظافر عليها الجهود. . . تنمو، ويصيب كل فرد ممن يجري في يده بعض الخير.

وبالعكس تماماً. . . تضمر الثروة حينما تجهد عن الجريان، وتقف عن التقلب في السوق في وجوه النشاط المالي.

تتمة الاعتذار

اعتذرنا في العدد الثاني من هذه الدورة من السائلين الأماجد عن تأخير أجوبتهم نظراً لكثرة الأسئلة وقلة المجال ومراعاة الأسبق فالأسبق في الوصول إلينا حسب الأرقام الواردة علينا وقد ذكرنا إلى رقم ٩٢٤ والآن نبدأ من رقم ٩٢٥ ولا يخفى أن المراد من الأرقام غير التسلسل والمراد بالرقم عدد الكتب الواردة والمراد بالتسلسل الأسئلة الموجودة في الكتب.

رقم المكتوب	العنوان	اسم السائل
٩٢٥	البصرة: محلة الجمهورية	الشيخ علي الغيبي الشهيلي
٩٢٦	الكوت	طالب الحاج حليو الشمري
٩٢٧	الحبانية	جاسم الحسين
٩٢٨	البحرين: كرزكان	جاسم محمد مكي الفردان
٩٢٩	البصرة مقابل جسر المحاكم	ملا يعقوب أحمد الكعبي
٩٣٠	بغداد وزارة الدفاع محطة اللاسلكي	الجندي الأول المخابر حسن عبد الحسين
٩٣١	جلولاء، وحدة الميدان الطبية/ ١٢	العريف المضمد حسن الشيخ منصور
٩٣٢	القادسية	سيد سلمان السيد عزيز الحلو
٩٣٣	سدة الهندية	الحاج خليل إبراهيم
٩٣٤	النجف الأشرف	سامي معلة

رقم المكتوب	العنوان	اسم السائل
٩٣٥	النعمانية	صفر مشهدي علي العطار
٩٣٦	قلعة صالح	عبد المنعم المالكي
٩٣٧	البصرة	الحاج عبد الرضا فرحان
٩٣٨	النجف الأشرف	أحمد الحسيني البغدادي
٩٣٩	سماوة	جبار عبد المكتوب
٩٤٠	كركوك محلة تسعين	كرم أحمد محمد
٩٤١	تلعفر	عبد القادر سليمان سائق بلدية
٩٤٢	المقدادية	خالد عمران التميمي
٩٤٣	حمزة الشرقية	عبد الكاظم عبد لفتة البديري
٩٤٤	كربلاء	فاضل جاسم محمد الحلي
٩٤٥	عمارة	حسن فالح العزاوي
٩٤٦	حمزة الشرقي	عبد الكاظم عبد لفتة البديري
٩٤٧	البصرة	محمد علي عبد الرحيم
٩٤٨	مسقط	محمد
٩٤٩	الموصل	محمود جاسم محمد الحريثي
٩٥٠	ديوانية	منصور هويدي
٩٥١	البصرة	داخل نصار المظفر
٩٥٢	البصرة	محسن مطر الهلالي
٩٥٣	الكويت	احمد ملا رضا
٩٥٤	بغداد ـ شركة دخان الرافدين	خلف احمد
٩٥٥	كربلاء الصحن الشريف	عبد الوهاب محمد شويخ

رقم المكتوب	العنوان	اسم السائل
٩٥٦	بغداد	علي السيد فرج العلاق
٩٥٧	البصرة	شعدون حسون
٩٥٨	البصرة	محمد تقي صالح الجوهر
٩٥٩	كركوك	عبد الخميس العماري
٩٦٠	بغداد ـ بياع	علي بن حسان
٩٦١	البحرين	محمد حسين ضيف
٩٦٢	ديوانية	الحاج مهدي مهجة
٩٦٣	ديوانية	عبد المهدي سلمان الحلو
٩٦٤	قلعة صالح	عبد المنعم المالكي
٩٦٥	= =	= =
٩٦٦	بغداد	أبو حنان
٩٦٧	بغداد ـ دهاليك	صالح مهدي ثامر
٩٦٨	دربندخان	مهدي صالح الأسدي
٩٦٩	سماوة	عبد الرحيم عبد الزهرة
٩٧٠	بغداد	فالح حسن الفضلي
٩٧١	دربندخان	مهدي الشيخ صالح الأسدي
٩٧٢	الموصل	محمود جاسم محمد
٩٧٣	بغداد	خالد فاضل عباس
٩٧٤	الحلة	حاج محمد كاظم شكرجي
٩٧٥	الحبانية	مدير حسوني الزبيدي
٩٧٦	بغداد مقابل أبو سيفين	جليل علي

رقم المكتوب	العنوان	اسم السائل
٩٧٧	بغداد	جبار كزار الزبيدي
٩٧٨	حبانية	چفات راضي
٩٧٩	مسقط مطرح	عبد الله مختار
٩٨٠	النعمانية	سعد هاني

مكتبة الإمام الحسين عليه السلام العامة

جامع عثمان بن سعيد ـ جنب البريد المركزي ـ بغداد. مكتبة عامرة بالكتب القيمة العلمية، مزودة بثقافة واسعة من مختلف العلوم، تفتح أبوابها ـ للراغبين ـ في أوقات الصلاة، فعلى من يريد الإرواء من مناهل الثقافة الاتصال بها. والمطالعة منها. وعلى ذوي الهمة من أهل الخير والمؤلفين إمدادها بكتب كل حسب مقدرته ﴿وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم﴾.

ملاحظة

(١ـ) من استلم عددين اعتبر مشتركاً لدورة كاملة.

(٢ـ) الأجوبة تنشر حسب تسلسلها.

(٣ـ) دوامنا صباحاً في المدرسة الهندية قرب باب السلطانية وعصراً في مدرسة البروجردي قرب فلكة الإمام علي عليه السلام.

طلب منا وكيلنا في النعمانية حضرة الأجل صفر مشهدي علي العطار أن ننشر أسماء المشتركين في النعمانية تشجيعاً لهم لذا نحن لبينا طلبه وهذه قائمة أسمائهم وعناوينهم.

أسماء المشتركين الكرام من أهالي النعمانية الدورة العاشرة سنة ١٣٨٥ هجرية.

١ ـ العلامة السيد قاسم شبر
٢ ـ الشيخ عبد الله عبد الحسين سمين
٣ ـ المعلم نعيم سلمان
٤ ـ المعلم عبد الزهرة حاج محمد
٥ ـ المعلم محمد صادق ملا عبيد
٦ ـ المعلم عبد الرزاق حاج مهدي جبارة
٧ ـ المعلم داود سلومي
٨ ـ المعلم جبار جواد
٩ ـ المعلم السيد عبد الكريم السيد عبد الصاحب
١٠ ـ المعلم عبد الواحد حاج عباس
١١ ـ المعلم حسين حاج رستم
١٢ ـ المعلم محسن محمد عودة
١٣ ـ المعلم عبد الهادي إبراهيم شمسة
١٤ ـ المعلم صبري مشيجل
١٥ ـ المعلم عبد الرزاق حسن
١٦ ـ المعلم مالك وناس
١٧ ـ المعلم سعيد فرحان
١٨ ـ المعلم جبار عوقي
١٩ ـ شيخ إسماعيل إبراهيم
٢٠ ـ حاج ناصر حسين
٢١ ـ حسن علي
٢٢ ـ شاكر حاج ساچت
٢٣ ـ سرحان حاج موسى
٢٤ ـ عبد علي حمود
٢٥ ـ ملا جبار جبل فرزه علي
٢٦ ـ محمد علي حمادي
٢٧ ـ محسن حاج عاشور
٢٨ ـ إبراهيم علي
٢٩ ـ ياسر كريم
٣٠ ـ داخل حاج عودة
٣١ ـ فرحان هزاع
٣٢ ـ حمزة محمد رسن
٣٣ ـ ياسر عبيد
٣٤ ـ عبد الصاحب حاج كريم
٣٥ ـ ملا باشا علوان
٣٦ ـ صالح رحمن عباس

٣٧ ـ حاج عبد علي جبارة
٣٨ ـ علي حاج خزعل
٣٩ ـ عبد العزيز حبيب
٤٠ ـ عربي غيرد احمد
٤١ ـ مهدي عبود
٤٢ ـ المعلم السيد علي السيد هاشم
٤٣ ـ السيد جميل السيد بخيت
٤٤ ـ ذياب طارش
٤٥ ـ حسن مهدي حمود
٤٦ ـ شهيد خلف
٤٧ ـ يونس علي احمد
٤٨ ـ ملا عبد الله حيدر
٤٩ ـ خضر عباس الحلاق
٥٠ ـ عبد الرزاق جبر
٥١ ـ المعلم مجيد ملا محمود
٥٢ ـ عبد الكريم حمزة
٥٣ ـ محمد صالح
٥٤ ـ إسماعيل احمد
٥٥ ـ صادق عباس
٥٦ ـ شعلان رشيد
٥٧ ـ حاج صباح نعمة
٥٨ ـ حاج لملوم
٥٩ ـ عباس علي جعفر
٦٠ ـ عبد محمد عزيز
٦١ ـ ملا غاوي سلمان
٦٢ ـ عبد الرحيم جبار
٦٣ ـ حسين حاج ثاني
٦٤ ـ حسن محمد جبار
٦٥ ـ سيد كاظم السيد صادق
٦٦ ـ جواد كاظم
٦٧ ـ رحيم داحل
٦٨ ـ ياسين عبد الكاظم
٦٩ ـ إبراهيم موسى
٧٠ ـ صفر مشهدي علي
٧١ ـ طالب دوشي
٧٢ ـ شيخ نزار علي
٧٣ ـ حاج عبد علي نوري
٧٤ ـ إبراهيم حاج حنتوش
٧٥ ـ سيد بحر السيد محمود
٧٦ ـ سيد فضل السيد عباس
٧٧ ـ علي عبد الرضا
٧٨ ـ عبد حاج بريس
٧٩ ـ خضير محمد موسى شتيور

اجوبة المسائل الدينية
تصدرها
لجنة الثقافة الدينية
كربلاء - العراق
العدد العاشر
الدورة العاشرة
شهر
شوال
سنة ١٣٨٥هـ
كربلاء تلفون ٨١٠
سماحة العلامة السيد عبدالرضا الشهرستاني

بسم الله الرحمن الرحيم

بعض مواعظ الإمام الصادق عليه السلام وحكمه

١ ـ قال عليه السلام: إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها فأكثر من الحمد والشكر فإن الله تعالى يقول: ﴿ولئن شكرتم لأزيدنكم﴾ وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار فإن الله تعالى يقول: ﴿استغفروا ربكم﴾ الآية ويجعل لكم جنات (في الآخرة) ويجعل لكم أنهاراً وإذا أحزنك أمر فأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإنها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة.

٢ ـ أوصى عليه السلام ولده الكاظم عليه السلام فقال: يا بني من قنع بما قسم الله له استغنى ومن مد عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيراً ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم ربه في قضائه ومن استصغر زلة نفسه استصغر[1] زلة غيره، يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورته ومن سل سيف البغي قتل

(١) استعظم.

به. ومن حفر لأخيه بئراً سقط فيها ومن داخل السفهاء حقر ومن خالط العلماء وقر ومن دخل مداخل السوء اتهم، يا بني قل الحق وإن كان مراً لك وعليك وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال وإذا طلبت الجود فعليك بمعادنه.

٣ ـ وقع الذباب في يوم على وجه المنصور فذبه فعاد ثم ذبه فعاد حتى أضجره وكان عنده جعفر بن محمد فقال: يا أبا عبد الله لِمَ خلق الله الذباب؟ قال ليذل به الجبابرة فسكت.

بسم الله الرحمن الرحيم

* * *

الصلاة والسلام عليك يا مولاي يا أبا عبد الله الحسين وعلى الأرواح التي حلت بفنائك ورحمة الله وبركاته، السلام على ورثة الأنبياء ونقباء الأوصياء علماءنا الأتقياء الذين لا يريدون في الأرض علواً ولا فساداً والعاقبة للمتقين.

وقال الله العلي العظيم في علو شأنهم وسمو مقامهم في القرآن الحكيم ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ صدق الله العلي العظيم إلى السادة الأجلاء أعضاء لجنة أجوبة المسائل الدينية المحترمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد أرجو أن تبينوا لنا عن تأويل عمليات الوضوء وأفعال الصلاة تآويلها الروحية المعنوية وهل هي مناجاة بين العبد والرب؟ وما تلك المناجاة وهل يأتيه الجواب من الله جل وعلا للعبد المصلي في عالم المعني وما هي الأجوبة من الله تعالى لمناجاة عبده المصلي؟ وهل هي الصلاة تذكر الإنسان المؤمن بالموت وسؤال عالم البرزخ من قبيل التشهد تشابه أمام منكر ونكير أم غير هذه

التآويل وقوله تعالى ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ كيف ندرك الخشوع في الصلاة؟

وأسأل الله العلي القدير أن يجعل كلمتكم العليا وكلمة أعدائكم السفلى إنه ولي المحسنين ولكم منه تعالى أجر غير محدود والسلام عليكم ورحمة الله.

مخلصكم الأحقر

عبد الصاحب محمد علي الحائري

بسم الله الرحمن الرحيم

من الأفضل تقسيم مواد السؤال إلى فصول ثم الجواب عن كلٍّ منها ليتضح الجواب، والسؤال المشتمل على:

١ ـ أسرار الوضوء.

٢ ـ الأسرار الروحية لأفعال الصلاة.

٣ ـ كيف يدرك الخشوع في الصلاة؟

تمهيد

ولنعلم قبل كل شيء: إن العبادات التي أمرنا الله تعالى بها، وسائر الواجبات والمحرمات التي ألزمنا الله تعالى العمل بها أو اجتنابها، فالمفروض علينا العمل بها لأجل أمر الله سبحانه، وابتغاء مرضاته سواء فهمنا فلسفته أم لم نفهمها، لا أن نعمل بما فهمنا فلسفته وندع ما لم نعلم علته.

أترى الطبيب الذي يصف أدوية للمريض، فهل المريض يستعمل من الدواء ما عرفه وعرف فائدته، ويدع الباقي، أم يستعمل كل الأدوية ـ عرفها أم لا ـ فيما إذا اعتقد حذاقة الطبيب؟

وهكذا نحن بعد ما عرفنا الله سبحانه، وأنه لا يأمر إلا بالصالح ولا ينهى إلا عن المفاسد والمضار، وعلمنا أنه تعالى ليست أحكامه طبق شهوات أو ميول نفسية ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ وإنما هي كلها صلاح وإصلاح لعامة البشر ـ فبعد ذلك ليس لنا إلا أن نستسلم لله، وننقاد لأمره ونهيه، سواءً عرفنا علل تلك الأحكام أم جهلناها.

وهذا أحد الفروق بين الدين والقانون، ونظام السماء ونظام الأرض.

فإذا جهلنا سر شيء وعلة حكمه ليس لنا أن نبتدر بإنكاره وجحده لأنا لم نفهم وجهه.

فهل عقولنا أدركت أسرار كل شيء وبقي هذا وحده غامضاً؟ أو هل العلم توقف عند هذا الحد من كشف أسرار التشريعات ولا يرجى تقدم أكثر، وكشف سر آخر؟

كلا، كلا!

إذن: فما دامت عقولنا قاصرة من درك أكثر الأسرار، كما اعترف ويعترف به جميع فلاسفة الغرب والشرق والماضين والمعاصرين!

وما دام العلم لا يزال في تقدم لكشف أسرار أخرى لم تزل في الغموض وما دام تعلم أن الله حكيم لا يأمر ولا ينهى إلا طبق مصالح وحكم بعيدة المدى منتهى الغور...

ليس لنا إلا أن نطأطئ برؤوسنا أمام كل حكم حكم، وتشريع تشريع من الأحكام الإسلامية، ونتلقاها بكلنا مذعنين بأنه الدواء الناجح للروح والجسد لأنه من وضع خالقنا، وبارئنا، والمودع فينا كل القوى والأجهزة، والذي لا طمع له فينا، ولا خوف له منا فإرشاداته

كلها لصالحنا ومن أجل مصلحتنا.

نعم، هناك أسرار كثيرة من علل الأحكام الشرعية كشفها لنا الأئمة الطاهرون عليهم السلام وبلغ فهمها العلم بعد قرون، وقرون من التجارب والتفكير.

وها نحن نذكر شمة من ذلك بإيجاز.

١ ـ أسرار الوضوء:

للوضوء: هذا العمل البسيط الذي لا نتوجه إلى مغزاه ومؤثراته، نظير صور الفضاء التي تسقط بيد طفل لا ينظر إليها إلا صورة كسائر الصور الكهربائية دون أن يفهمها أو يستعد عقله لفهمها.

هذا الوضوء الذي يأتيه كل واحد منا مرات عديدة في اليوم.

هذا الوضوء له من مقدمات ومقارنات وشروط وأجزاء، فيه أثر كبير للمتوضئ ومنافع جمة روحية، وجسمية، وتربوية.

قال الله تعالى في القرآن الحكيم: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين... ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم...﴾ إلخ. سورة المائدة آية (٧).

﴿ولكن يريد ليطهركم﴾ الوضوء طهارة، وأي طهارة؟

طهارة للنفس والروح.

وطهارة للجسد والأعضاء.

وطهارة للأخلاق والتربية.

١ ـ منافع روحية:

للوضوء أثر كبير في تطهير الروح، أولاً وقبل كل شيء.

فالماء: الذي يتوضأ به، استعماله من مقومات تقوية الروح، ولذلك نرى الذين يبغون تقوية روحهم يهتمون بالماء اهتمامهم بكل مقويات الروح الآخر ولهم في ذلك مطالب ومطالب.

ولذا كان من الطبيعي أن يكون الوضوء حجاباً فاصلاً بين الأعمال الحيوانية العادية وبين العمل العبادي العظيم (الصلاة) لأن الوضوء استعداد للقيام أمام رب عظيم عالم بمخفيات القلوب وما تكنه الصدور. فلا بد أن يحدث هذا الشعور في المتوضئ روح الطهارة، واجتناب المساوئ، والابتعاد عن الشهوات والميول السائلة.

من أجل ذلك نرى النبي وآله المعصومين عليهم السلام في حال الوضوء تتجدد لهم حالة خاصة توحي بالاستعداد لمواجهة عظيم كبير جداً.

روى السيد ابن طاوس عليه الرحمة قال: «كان الحسن بن علي عليه السلام إذا توضأ تغير لونه وارتعدت مفاصله، فقيل له في ذلك فقال: حق لمن وقف بين يدي ذي العرش أن يصفر لونه وترتعد مفاصله».

وروي: «إن مولانا زين العابدين عليه السلام كان إذا شرع في طهارة الصلاة اصفر وجهه وظهر عليه الخوف».

وحيث إن الوضوء تطهير للروح من الأدران النفسية وقذارات الأخلاق حبذ الإسلام الوضوء في موارد عدة لأجل رفع القذارة النفسية وتطهير النفس نوعاً ما نذكر بعضها شاهداً على ذلك منها في حال الغضب، روى القطب الراوندي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا غضب أحدكم فليتوضأ».

ومنها للنوم في حالة الجنابة: روى الحلبي قال: سأل أبو عبد الله (يعني الإمام الصادق عليه السلام) عن الرجل أينبغي له أن ينام وهو جنب؟ قال عليه السلام «يكره ذلك حتى يتوضأ».

ومنها للحائض تجلس وقت الصلاة وتذكر الله تعالى، روى زرارة بن أعين (رضوان الله عليه) عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إذا كانت المرأة طامثاً فلا تحل لها الصلاة وعليها أن تتوضأ وضوء الصلاة عند كل وقت صلاة ثم تقعد في موضع طاهر فتذكر الله عز وجل وتسبحه وتهلله وتحمده كمقدار صلاتها ثم تفرغ لحاجتها».

ومنها غير ذلك، مما هو مذكور في كتب الفقه والحديث.

وما ذلك إلا لأن الوضوء يحدث في الروح انفعالاً خاصاً ونورانية خاصة ولذا قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في أحاديث له:

١ ـ «الوضوء على الوضوء نور على نور».

٢ ـ «تأتي أمتي يوم القيامة غراء محجلين من آثار الوضوء».

٣ ـ «إني لأعرف أمتي يوم القيامة بآثار الوضوء».

٢ ـ منافع صحية

ولا تسأل عن المنافع الصحية المودعة في الوضوء، فإنه كمخزن صحي مستمر يستمد منه الإنسان مرات صحة جسمه ونشاطه، وهذا الفصل وحده يحتاج التفصيل فيه وذكر الشواهد له إلى مجلد ضخم غير أننا نذكر سطوراً لمجرد الإلمام بذلك.

الوضوء الجامع للشرائط المندوب إليها في الإسلام، هو عبارة عن:

(أ) السواك.

(ب) ثم المضمضة ثلاثاً.

(ج) ثم الاستنشاق ثلاثاً.

(د) ثم غسل الوجه.

(ه) ثم غسل اليدين.

(و) ثم مسح الرأس والرجلين.

فلنر ـ نظر عابر ـ ما في هذه الأعمال من فوائد صحية ومنافع جسدية.

أ ـ السواك

هو فرك الأسنان بما ينظفها من الأدران والقذارات. أثبت العلم الحديث أن الأجهزة الرئيسية التي باعتدالها تعتدل صحة الجسم، وبانحرافها تنحرف الصحة، هي الأسنان:

فالأسنان إذا كانت نظيفة صح الجسم، وإذا كانت وسخة انحرف الجسم وتولدت أمراض عدة.

وهذا الاستياك أكد عليه الإسلام في كل مناسبة، ومنها قبل الوضوء نتيجة لتأكيد الله سبحانه بالسواك على رسوله ﷺ.

روي في (مكارم الأخلاق) عن النبي ﷺ أنه قال: «أمرت بالسواك حتى خشيت أن يكتب علي» أي: خشيت أن يفرض علي وجوباً.

وعنه ﷺ، روي:

١ ـ قال لعلي عليه السلام: «وعليك بالسواك عند كل وضوء».

٢ ـ «السواك شطر من الوضوء».

٣ ـ «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند وضوء كل صلاة».

وقد ذكرت عدة روايات فوائد السواك ومنها أنه:

أ ـ مطهرة للفم

ب ـ ويذهب بالبلغم

ج ـ يبيض الأسنان

د ـ يذهب بالحفر

هـ ـ يشد اللثة

و ـ ويشهي الطعام

ز ـ يجلي البصر.

ب و ج ـ المضمضة والاستنشاق:

المضمضة هي وضع الماء في الفم وإدارته على الأسنان واللهاة بقوة ليزول ما عليها أو بينها من بقايا طعام يسبب أمراضاً، ويوجد الداء.

والاستنشاق هو جذب الماء من منخري الأنف إلى أعلاه.

ولا يخفى ما فيهما من فوائد ومنافع، فالمضمضة منقاة للفم ـ مأوى المكروبات وبقايا الطعام المتعفنة ـ مزيلة المكروبات.

أما الاستنشاق فحدث من فوائده الصحية المكتشفة ولا حرج.

ويكفينا أن نعلم أن من أعصاب جسد الإنسان أعصاب رسمياتيك التي هي لجسد الإنسان بمنزلة زر الكهرباء فهي مفتاح الصحة إن صحت ومفتاح الأمراض الفتاكة إن مرضت، والشعب الرئيسية منها موجودة في أعلى الأنف الداخلي، ومن المكتشف ـ في العلم الحديث ـ أنه قد يتولد على رأس تلك الأعصاب، في أعلى داخل الأنف، ميكروبات صغار تؤدي إلى أمراض عجيبة (كالشلل) و(السل) و(فقدان الاشتهاء) و(السرطان المعدي) و(السفليس)

و(الماليخوليا) و(الروماتيس) و(الصداع الشديد) وغيرها مما هو مشروح في كتب الطب الحديث.

ومن العجيب: أن العدو اللدود، والقاتل المفني لهذه الميكروبات هو الماء البارد، فإنه يقضي عليها بكل سرعة وسهولة.

والدكتور الاختصاصي (جيه) الطائر الصيت هو الذي كشف ذلك.

وهو الذي عالج عدة من الأمراض الغريبة (كالسل) و(السرطان المعدي) وغيرهما في دقائق وسويعات بواسطة قتل هذه الميكروبات عن أقصى داخل الأنف بقطرات من الماء البارد.

وهنا نذكر قطعة من كلام نفس الدكتور (جيه) ثم نعقب بقصتين شاهدتين أما كلام الدكتور (جيه) فهو:

«تأثير عمل تماس (السمياتيك) إلى حد ما سري غير مكشوف، كمثل الكهرباء التي يوجب الضغط على الزر، هذا العمل الصغير البسيط، اشتعال عدة مصابيح وإنارة صالات كبيرة. أو يوجب تشغيل معمل كبير جداً. وفي حال الإعدام الكهربائي يوجب تلف إنسان.

وفي مورد العمل السمياتيكي يؤشر إلى أقصى داخل الأنف إشارة ما، ثم يكون الانعكاس العصبي العام العجيب. الانعكاس المدهش يجري في مجموع الأعصاب؛ ومن الطبيعي أن يجري في موارد المرض والعاهة، فينبه المراكز العصبية الراقدة، ويوجد التعادل، ويزيل ما أوجب توقف العصب عن عمله المخصوص به.

ونتيجة هذه العملية في غاية الدهشة والغرابة حتى ليكاد يكون أمراً

معجزاً[1]».

وأما القصتان المشاهدتان فإحداهما ينقلها كتاب (نماز وروزه) الفارسي عن شاهد عيان هي:

«إن في مختبر طبيب ـ في أوروبا ـ كانت جمجمة شخص مات على أثر حادث مجهول في مخه؛ وبعد إجراء عدة فحوص من مختلف جهات المخ، وعدم العثور على ما يصلح أن يكون علة للموت. وجدت في حفر الأنف القصوى، وفي جوف المخاط ديدان صغار جداً؛ كانت هي السبب الوحيد في توقيف الجهاز العصبي، الذي سبب توقيف حركة الدم فموت ذلك الشخص.

فأخذ الدكتور في الفحص الدقيق عن تلكم الديدان، من خلف المجهر (الميكروسكوب).

وذات يوم ـ والدكتور مشتغل بالفحص ـ إذ قطرت من يده قطرات من الماء البارد أصابت الديدان ـ التي كانت تعيش أياماً في الهواء المعتاد ـ فما كان منها إلا أن قضت تلك القطرات على الديدان في الوقت نفسه.

ومن هذا يعلم الدكتور: أن الماء البارد هو القتال لهذه الديدان».

* * *

أما القصة الثانية، فهي التي نقلها لي بعض زملائي عن أحد تجار أصفهان أن التاجر الأصفهاني قال:

«عندنا الآن عامل ابتلي قبل مدة بصداع مستمر عجيب في مقدم رأسه كان قد سلبه النوم واليقظة، والأكل والشرب، وألهاه عن كل شيء، وسلبه

---

(١) وللتوسع في هذا الموضوع يراجع كتاب نفس الدكتور (ڤيه).

الراحة والسكون، وكلما راجع الدكاترة في «أصفهان» واستعمل أدويتهم ما استفاد شيئاً، وبقي معه الصداع الأليم يمنعه عن كل شيء.

ثم انحدر نحو العاصمة «طهران» ليراجع أطباء أحذق ودكاترة اختصاصيين، فراجع عدة منهم كرات ومرات، وأخذوا له صور أشعات وأشعات. وحللوا له تحليلات وتحليلات. وبذل جهوداً، وبدد طاقات، وصرف أموالاً طائلة، واستعمل عشرات الأنواع من الأدوية، عشرات المرات غير أن ذلك كله لم ينتج شيئاً على الرغم من أنه استغرق حوالي سنتين.

وأخيراً: قال له بعض الدكاترة: إن في أقصى داخل أنفك تحجرت قذارات وقيح وأوساخ، ويجب إجراء العملية لك، والعملية ليست ناجحة مائة في المائة ومن المحتمل أن تقضي عليك.

رجع العامل الفقير المسكين إلى بلدة «أصفهان» بخفي حنين، وملؤه الحزن والكآبة لأنه علم أنه سيبقى ـ وإلى النفس الأخير ـ في هذا الصداع العجيب إذ إنه لا يريد أن يقدم على عملية لا يعرف نجاحها.

ورد على ذلك التاجر، وقص له القصص، قائلاً: إنني لا أقدم إلى العملية لأمرين لخطر الموت الذي أعلمنيه الدكتور، ولخلو يدي عن مصارف العملية.

فقال له التاجر: إنك تعبت حوالي سنتين، وهنا عندنا في «أصفهان» طبيب يوناني، وهو رجل مؤمن مسلم، فراجعه علك تستفيد منه؟

قال الرجل: دع عنك ذكر هذا، إنني راجعت عشرات الدكاترة هنا وطهران، ولم أستفد منهم، فهل أستفيد من هذا الذي ليس دكتوراً أيضاً؟

قال له التاجر: إنك بذلت ما بذلت، وراجعت كل دكتور وطبيب وأنت ميئوس ـ لأنهم آيسوك ـ فلا تتضرر بمراجعته لعل الله يلهم الدواء الناجح.

قام الرجل بكسل، وتوجه إلى دار ذلك الطبيب، فأتاه وجلس عنده. ووصف له حاله، وما يعانيه من شدة الصداع التي لا تدعه يهدأ ليل نهار.

عاينه الطبيب وفحصه ثم انبرى قائلاً:

إنك لا تصلي، أنت لا تصلي ولو كنت تصلي لما كنت تبتلي بهذا الصداع. وملأت هذه الكلمات قلب المريض فغضب وهو يخاطب نفسه: وأي صلة بين الصلاة، وبين وجع الرأس؟

قال المريض: إذن فماذا أصنع...؟

قال له الطبيب: يلزم عليك أن تضع قدحاً من الماء في السطح من أول الليل إلى الصباح، فإذا طلع الفجر ذهبت إلى السطح، واستنشقت جميع الماء من الفجر إلى طلوع الشمس.

قام المريض، وودع الطبيب وخرج، وجاء إلى التاجر قائلاً له: ألم أقل لك إن هذا لا يفهم شيئاً، إنه يقول لي: إن صداعك من ترك الصلاة، وإن اللازم عليك أن تستنشق قدحاً من ماء بارد، فهل هذا إلا السخف؟

قال التاجر: إنك الذي عملت بكل دواء وصف لك، فاعمل بهذا أيضاً واعتبره من مئات الأدوية التي استعملتها ولم تستفد منها.

عزم الرجل للعمل بقول الطبيب إذ «الغريق يتشبث بكل حشيش».

ملأ قدحاً من الماء، وصعد به ليلاً إلى السطح، واستنشق به صباحاً من الفجر إلى طلوع الشمس.

الماء بارد جداً، والهواء بارد جداً، ومقدار الاستنشاق قدح فيه ماء

خمسمائة استنشاق، والوقت ساعة ونصف كله استنشاق وجذب الماء البارد بقوة إلى أقصى الأنف.

اعترى الرجل زكام شديد يصحبه الحمى الشديدة، طرحاه أياماً في فراش العلة، وجعل ينزل عن أنفه ـ على أثر الزكام الشديد ـ كل ما اختزن تحت جبهته من أوساخ وقيح، وقذارات.

تفتح ـ بعد أيام ـ منافذ رأسه، وذهب عنه الصداع إلى غير رجعة.

قال التاجر: وهو لا يزال عندنا عاملاً له نشاط وإنتاج».

وهذه القصة ـ أيضاً ـ تدل على ما كشفه الطب الحديث من أن هذه الديدان الصغار التي تتولد على العصب (السمياتيكي) قد توجب صداعاً شديداً.

هذه فائدة من فوائد (الاستنشاق) وأعظم بها من فائدة!

وهناك فوائد أخرى كشفها العلم الحديث ـ في مختبراته نذكرها بإيجاز معرضين عن تفاصيلها:

الاستنشاق ـ وخاصة بالماء البارد ـ يوجب رفع الزكام، ويكون أثره كأثر (واكسن).

الاستنشاق في وضوء الصباح ـ يزيل كسالة النوم، وينبه الإنسان لينشط للعبادة والعمل.

الاستنشاق يرفع أوجاع الرأس الحادثة على أثر الهواء غير النقي أو الجهد الفكري.

الاستنشاق ينظف منخري الأنف، فيمكن الإنسان من التنفس الكامل وجذب الهواء النقي الطلق إلى أعماق الأعصاب، الذي هو أساس السلامة والصحة والعافية، ورمز الحياة.

الاستنشاق يوجد التعادل العصبي، وتخفيف الهيجان ـ المؤدي أحياناً إلى انفجارات داخلية مردية ـ الحادث من الغضب الشديد، أو الفرح والحزن الشديد.

وموجز القول: إن الاستنشاق له الأثر الفعال في بقاء الإنسان، وصحة الإنسان، وسلامة أجهزته وأعصابه. ولذا فهو يشكل ركناً مهماً في حياة الإنسان.

والكلام في الاستنشاق، أطول بكثير مما ذكرناه، غير أن ذلك يكفي شاهداً على ما فيه من فوائد ومنافع عظيمة.

ولعل هناك أسراراً أعظم وأهم لم يكتشفها العلم بعد، كما لم تكن هذه الأسرار مكتشفة قبل ذلك.

من هذه وأمثالها نعرف سر اهتمام الإسلام بالمضمضة والاستنشاق مع كل وضوء.

روى الصدوق رحمه الله بسنده إلى الإمام الصادق عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: «ليبالغ أحدكم في المضمضة والاستنشاق».

وروي في «الخصال» عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «المضمضة والاستنشاق سنة، وطهور للفم والأنف».

وروي في «البحار»: «أنه نزل رسول الله صلى الله عليه وآله بخيمة (فلانة) ومعه أصحاب له فلما قام صلى الله عليه وآله من رقدته دعا بماء فغسل يديه فأنقاهما ثم مضمض فاه. ثلاث مرات واستنشق ثلاثاً».

وروي في «الجعفريات» عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام أنه قال: «كان علي إذا توضأ تمضمض واستنشق وغسل يديه ثلاثاً».

ومن عظيم أمر الإسلام أنه جمع بين الحياتين، الدنيا والآخرة، فجعل إحداهما في الأخرى، والثانية في الأولى بحيث لا يمكن انفكاكهما، فجعل الثواب والجنة ونعيم الآخرة في التنظيف وما يوجب صحة الجسم ونحوهما.

روى الصدوق(قده) في (المجالس) عن النبيﷺ في حديث أنه قال:

«فإذا تمضمض نور الله قلبه ولسانه بالحكمة. وإذا استنشق أمنه الله من النار ورزقه رائحة الجنة».

د و هـ ـ غسل الوجه واليدين:

كثيراً ما ترون في التعليمات الرياضية. وتقرؤون في الكتب المؤلفة لتعليم الرياضة التوصية بمسح البشرة بعد أداء العمليات الرياضية ـ بمنديل منقع في الماء البارد.

وكذلك (الماساج السويدي) الذي يفرك البدن بالماء أو الدهن الرقيق وهكذا فرك الأعضاء المعمول منذ آلاف السنين حتى هذا اليوم.

كل ذلك دليل أهمية الفرك. وتبريد الأعضاء ومسحها أو غسلها.

وذلك لأن (الماساج) يفرغ العروق من الدم الذي فيها كي تستعد لقبول الدم الجديد الذي يرد فيها. ويمليها دماً خالصاً ونظيفاً.

الفرك على ظاهر اليد يزيل صفار لون الجلد. ورخائه بالإضافة إلى تأثيره على الأعصاب الحساسة بحيث يزيد في ضربات القلب ـ وقتاماً ـ مما يجعل الدوران الدموي في نشاط أكثر.

(الماساج) بالماء ينقي الجلد أكثر من (الماساج) الدهني، ويفتح منافذ الجلد، ويمكنها من التنفس الجلدي المفيد.

وهناك فوائد طبية كثيرة لهذا (الماساج) يدليها لك كل طبيب تسأله عن ذلك.

فالوضوء: حينما تغسلون بالماء البارد الوجه واليدين، وتمسحون على جلد الرأس وجلدي الرجلين يجعل ذلك جريان الدم في سطح الجسد جديداً، وهذا هو يوجب انعكاساً سريعاً في جميع أجزاء البدن، الذي من أبرز آثار هذا الانعكاس العام الشعور بالطراوة والارتياح، وهذه الطراوة وهذا الارتياح اللذان يظهران بسرعة على الإنسان بعد الوضوء مباشرة إنما هما دليل التأثيرات العميقة العامة الحاصلة في معظم أجزاء الجسم.

وهذه التأثيرات العامة العميقة تزداد فيما إذا كان ورود الماء على العضو بقوة وشدة، لأنه يكون الماء حينئذ أقوى في فتح المنافذ ومسامات الجسم، ولذلك كان غسل الجسد تحت (الدوش) الذي يرد منه الماء بقوة وشدة أصح للجسم من الدخول في الماء...

ومن ذلك ـ أيضاً ـ يظهر مدى دقة الإسلام في تعليماته ـ حتى العبادية ـ أن يكون على الوجه الأفضل الأكمل. حيث أمر بصفق الوجه بالماء حال الوضوء في حين أنه نهى عن الصفق قوياً، كي لا يبلغ حد إيذاء الوجه.

روى الشيخ الطوسي رحمه الله بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا توضأ الرجل فليصفق وجهه بالماء، فإنه إن كان ناعساً فزع واستيقظ، وإن كان البرد فزع ولم يجد البرد».

وروى عبد الله بن جعفر بإسناده إلى الإمام الكاظم عليه السلام، قال:

«ولا تلطم وجهك بالماء».

بالإضافة إلى ذلك: إن الوضوء بالماء البارد أكثر تأثيراً في عامة الأجهزة ـ كما يقره الطب وعلماؤه ـ إذ الماء البارد حينما يصل إلى جسم الإنسان يخفف من حرارة الجلد، وحيث إن الأجهزة دائماً تحتفظ بـ (٣٧) درجة من الحرارة، يصبح الدم هو المسؤول عن مكافأة هذا التخفيف الحادث في الجسم من أجل مماسة الماء، فيكون دوران الدم أسرع، ويتجدد الدوران في العروق القريبة من سطح الجسم، الأمر الذي يكون السلولات الجديدة النشطة الفعالة.

ولذلك نحس حرارة جديدة مضاعفة في الجلد بعد وصول الماء البارد إليه مباشرة وحين نلقي نظرة على القيود التي أخذها الإسلام في ماء الوضوء نجد جانباً من سمو التشريع في عظمة الأحكام.

فمن تلك القيود والشروط: أن تكون أعضاء الوضوء ـ الوجه واليدان ـ بعيدة عن كل القذارات، طاهرة من كل نجاسة.

وأن يكون عليها حاجب ولو بمقدار من الدهن يمنع وصول الماء للبشرة والجلد وذلك لأنه إذا لم يصل الماء ـ كما ينبغي ـ إلى الجلد، لم يؤثر التأثير المقصود منه، ولا يعتبره الشرع وضوءاً، ولا يعترف بأن صاحبه طاهر يتمكن من الصلاة ونحوها.

أنرى نظاماً للنظافة عاماً شاملاً لجميع الناس، العالم، والعامل، والزارع، والنزاح، والبناء، والبزاز وغيرهم... وغيرهم أحسن، وأتقن من هذا.

يتوضأ كل يوم مرات، وينظف وجهه ويديه كل يوم مرات، وإن كان نزاحاً، أو قصاباً، أو زارعاً ملوثاً بالقذارات والميكروبات.

ولعمر والحق: أنه الوضوء ـ وهو وحده ـ خير مدرسة صحية فرضها الإسلام فإن علماء الطب يؤكدون: على أن كثيراً من الأمراض منشأها الأوساخ التي تتجمع على الجلود بواسطة العرق الخارج من الأعضاء، والغبار وغير ذلك، فتسد المسام وتؤدي إلى أمراض... وأمراض...

و، ن ـ مسح الرأس والرجلين:

الرأس والقدمان من مواضع الجسد الحساسة جداً التي كثيراً ما تكون نظافتها سبباً لاعتدال المزاج، ووساختها موجباً لانحراف الصحة.

أما الرأس: فليس ـ اليوم ـ أحد من الأطباء ينكر ما لحلق شعر الرأس من منافع صحية عظيمة لجميع أجهزة البدن، خاصة المخ وتوابعه.

وأصبح الاستنشاق الجلدي ـ وخاصة جلد الرأس ـ من أوليات الطب الحديث، وضروریاته التي يعترف به كل من له إلمام ـ ولو قليلاً ـ بعلم الطب.

هذا والاستنشاق لا يكون كاملاً والارتياح الفكري لا يكون تاماً إلا إذا خلى الرأس من الشعر، ولذا نرى أن غالب المفكرين والذين يجهدون أدمغتهم كثيراً رؤوسهم عارية من الشعر إذ سلولات المخ مهما كثر جهدها وأعمالها تحتاج إلى دم أكثر، وحينئذ يكون افتقارها إلى هواء أنقى أشد وأكثر.

من هنا نستطيع أن نفسر بعض ما في الشريعة الإسلامية من الحث الأكيد على حلق شعر الرأس ليكون عوناً على تربية المخ وترويحاً لسلولاته.

روي في (مستدرك الوسائل) قال: «وروي أن في حلق الرأس عشر خصال محمودة.... وهو من الفروض المؤكدة».

ومسح الرأس في ـ الوضوء ـ يجب أن يكون على البشرة أو على الشعر النابت عليها، دون حائل من حناء، أو قلنسوة أو غير ذلك.

سئل الإمام الصادق عليه السلام: في الذي يخضب رأسه بالحناء ثم يبدو له في الوضوء؟ قال عليه السلام: «لا يجوز حتى يصيب بشرة رأسه الماء».

وفي فقه الرضا عليه السلام: «ولا تمسح على عمامة ولا قلنسوة».

وأما الرجل: فتأثيرها في سلامة الإنسان وصحته أكثر من كثير من الأعضاء، واحتياجها إلى الإكسيژن أكثر من احتياج أكثر الأعضاء ولذا يقرر الأطباء أن الرجل تحتاج ـ لحفظ الصحة ـ من أن يصلها الهواء يومياً مرات.

والإسلام ـ في واجبات الوضوء ـ ألزم المسلم بأن يعري رجليه عن الخف والجورب وكل شيء ثم يمسح عليهما بالماء ذلك مرات عديدة في كل يوم.

هذا شيء قليل مما وصل إليه العلم الحديث من منافع جمة كافة في هذه العبادة ـ الصغيرة في صورتها والبسيطة في أدائها ـ وهو واحد من آلاف تعاليم الإسلام وأحكامه.

ومن المؤكد أن هناك أسراراً... وأسراراً... وفوائد... ومنافع للوضوء ولغيره من تشريعات الإسلام لم يكتشفها العلم إلى هذا اليوم، ولعله يوفق ـ في المستقبل ـ لكشف بعضها.

* * *

٢ ـ الأسرار الروحية للصلاة:

والصلاة ـ بحق ـ مدرسة عامة روحية، وصحية، وتربوية تثقيفية

وغيرها تجعل من المصلي ـ الصادق في صلاته ـ رجلاً كاملاً من كل ناحية وجانب وحسب الصلاة تقريظ القرآن الحكيم لها ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ وهل أعظم من هذه الكلمة؟

إنها كلمة ليس فوقها شيء وتقريظ لا زائد عليه!

ولعل القرآن الحكيم ـ على عظمه ـ لم يشتمل على تقريظ لشيء كهذا التقريظ للصلاة!

يا لها من كلمة عظيمة!

وماذا يقال في تقريظ الصلاة التي تسد باب الشر بفروعه الكثيرة فتجعل من الناس سعداء وإخواناً متحابين.

وحيث إننا الآن بصدد بيان الفوائد الروحية للصلاة فلا بأس لو اقتطفنا ذلك من كتاب (عبادات الإسلام) لأنه كفانا ذلك.

يقول الله تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ إذ الفحشاء لا تأتي إلا من نفس غافلة، والمنكر لا يعمله إلا لاه عن الحق والصلاة بما فيها من ذكر وقراءة وقنوت وخضوع تذكر بالله العظيم الذي له ملك السماوات والأرض، وتعرض نعمه وإحسانه وتوجه إلى أمره ونهيه وبذلك ينقلع العبد عن الشهوات وينقطع عن المنكرات وليس المراد أن كل مصلٍّ لا يأتي بالمنكر، ولا كل آتٍ بالفحشاء لا يصلي فكم من يصلي وهو منغمس في الشهوات مرتطم في اللهو والعبث بل المقصود أن الصلاة بطبيعتها الأولية مانعة عن الرذيلة وإن عرضت لها عوارض تسلبها هذه الخاصية كالقلب الموصد والنفس السوداء.

وهذا كما يقال: العقار الكذائي يدفع الحمى فإنه ليس العقار العلة الوحيدة مائة في المائة وإنما طبيعة العقار هكذا إذا لم يصرفه عن طبعه صارف

ولم يحل دون مفعوله حائل.

وهكذا حال كل قضية طبيعية مثلاً نقول: (فلان مهندس) أو (فلان طبيب) أو (الشمس مضيئة) لا نريد أن الأول يعرف كل بناء والثاني يشفي كل مريض والشمس تضيء ولو في حال الكسوف.

إذن: فالصلاة التي تؤتى بشروطها مع الخلو عن الموانع تنتج رفع الفساد بكل أنواعه وبجميع ألوانه لا أن كل صلاة كذلك.

وها نذكر بعض ما للصلاة من خصوصيات حتى يقرب إلى الذهن ما نحن بصدده من أن الصلاة الجامعة للشرائط تنفي الفحشاء وتنهى عن المنكر.

قال الإمام الرضا عليه السلام ـ في جواب من سأله عن علة الصلاة ـ «إن علة الصلاة أنها إقرار بالربوبية لله عز وجل وخلع الأنداد وقيام بين يدي الجبار ـ جل جلاله ـ بالذل والمسألة والخضوع والاعتراف والطلب للإقالة عن سالف الذنوب ووضع الوجه على الأرض إعظاماً لله ـ عز وجل ـ وأن يكون ذاكراً غير ناس ولا بطر ويكون خاشعاً متذللاً راغباً طالباً للزيادة في الدين والدنيا مع ما فيها من الإيجاب والمداومة على ذكر الله سبحانه وتعالى بالليل والنهار لئلا ينسى العبد سيده ومدبره وخالقه فيبطر ويطغى، ويكون في ذكره لربه وقيامه بين يديه زجراً له عن المعاصي ومانعاً له عن أنواع الفساد».

فإن الإنسان لو علم أنه لا بد وأن يحضر عند من يعلم سريرته ويرى علانيته كان ذلك رادعاً له عن ارتكاب مخالفات تسقطه في عين من يحضر عنده ـ هذا إذا كان من أفراد الناس ـ فكيف إذا كان كبيراً يرجو منه النفع

ويخاف منه الضر؟ إنه لا بد وأن يجتنب سخطه ويعترض رضاه. إذن: فما الحال إذا علم الإنسان أنه سوف يحضر عند مالك الملوك ومن بيده حياته وموته وصحته ورزقه وكل شيء حتى أنفاسه ولحاظه؟ أفلا يكون هذا التذكر وهذا القيام زاجراً له عن المعاصي ومانعاً عن الفساد؟

وبالجملة: للصلاة فوائد نذكر منها أربع:

١ ـ تذكير بالخالق العظيم

٢ ـ توثيق الصلة بين المسلم وبين نبيه وذلك رأس الفضائل.

٣ ـ تطهير للنفس عن الأدران ورواسب المعاصي والمنكرات وتنزيهها عن اقتراف الآثام فيما بعد.

وقد شبه رسول الله ﷺ الصلاة بالنهر الجاري، الذي يغتسل منه الشخص وهل يبقى بعد الاغتسال على الجسد درن؟ فالنهر يطهر الأوساخ الجسدية والصلاة تنظف القذارات النفسية.

روى الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه الباقر عليه السلام أنه قال:

«قال رسول الله ﷺ: لو كان على باب دار أحدكم نهر واغتسل في كل يوم منه خمس مرات كان يبقى في جسده شيء من الدرن؟

قلت: لا

قال: فإن مثل الصلاة كمثل الماء الجاري كلما صليت صلاة كفّرت ما بينهما من الذنوب».

ولا يزعم زاعم أن معنى الحديث أن يقترف الشخص كل إثم، ثم يصلي وصلاته كفارته، إن هذا المعنى بعيد عن منطق الإسلام وكلام رسوله بل المراد أن الذنوب الطارئة، التي قد تجمع النفس ثم يندم مرتكبها مثل

هذه الذنوب الشاردة تغفر بالصلاة إذ فيها يستغفر العبد ويتوجه إلى الرب فيرى ضؤولة نفسه ومهانتها، وهذه هي التوبة.

٤ ـ طرد القلق الذي يعترض النفس، فإن النفس لا تزال تجيش وتهجم عليها الأفكار خصوصاً إذا كان الشخص من رجال الأعمال فلا تفتر تلاحقه الأفكار السيئة والخطرات السوداء حتى أن هذه الخواطر لا تدعه في النوم.

والصلاة بحضور البال ـ كما هو المأمور ـ تزيح الأفكار عن الذهن وتعوض عنها بسبحات إلهية وهدوء وسكون وراحة واطمئنان.

ولهذا ورد في الحديث: «إن النبيﷺ إذا هاجمه الحزن ـ وهو في وقت الصلاة ـ قال لبلال: «أرحني يا بلال» يريد أن يؤذن ليصلي فينصرف عن أحزانه».

وهنا نشير إلى فصل اقتطفناه عن العلم الحديث لفوائد الصلاة الكثار التي منها طردها للقلق مما نحن الآن بصدده.

(غاندي) هو من عرفه العالم بتحرير الهند، وكان هو بنفسه من دعاة (اللاعنف) وقد قاسى في حياته ما قاسى من المصائب والمتاعب وقد كان خليقاً به أن يكون معتوهاً عن معاناة هذا العبء الثقيل لو لم تشد أزره الصلاة إنه يقول: «بغير الصلاة كان يتحتم أن أغدو معتوهاً منذ أمد طويل».

ويقول (كارينجي) مؤسس معهد العلاقات الإنسانية بنيويورك الذي هو الوحيد طرازه في العالم المتمدن اليوم: «حين تستنفد الخطوب كل قوانا أو تسلبنا الكوارث كل إرادة غالباً ما نتوجه في غمرة اليأس إلى الله فلماذا ياالله ننتظر حتى يتولانا اليأس؟ لماذا لا نجدد قوانا كل يوم بالصلاة والحمد والدعاء».

ويقول المحامي (جون أنطوني) بمدينة (هوستون) بولاية (تكساس) ـ بعد ما يحدث عن نكبته التي مني بها حتى أشرف على الانتحار. . . ثم حظي لي أن أتجه إلى الله، وأبثه شكواي، فرحت أصلي وأتضرع إليه سبحانه أن ينير بصيرتي ويسدد خطاي في هذا الظلام الكثيف الذي يكتنفني من كل جانب، وأن يوفقني في عملي عسى أن أجد من المال ما يمسك رمق زوجتي وأولادي. وما أن فرغت من صلاتي وضراعتي حتى حلت معجزة فقد زال توتر أعصابي وتلاشت مخاوفي. وانقضى قلقي، واستشعرت شجاعة وأملاً وإيماناً.

ثم يذكر أنه كيف أقبل عليه العمل والمال ببركة الصلاة التي أوحت بالطمأنينة والسكون.

ويقول البطل (جاك دمبشي): «إنه لا يأوي إلى مضجعه قبل أن يتلو صلواته، ولا يتناول طعاماً حتى يحمد الله الذي وهبه إياه، وأنه لا يفتئ يردد الصلوات والدعوات أثناء تدريبه على الملائكة، وقبل كل جولة يخوضها».

ويقول الدكتور (ألكسيس كاريل): «لعل الصلاة هي أعظم طاقة مولدة للنشاط عرفت إلى يومنا هذا، وقد رأيت ـ بوصفي طبيباً ـ كثيراً من المرضى فشلت العقاقير في علاجهم ورفع الطب يديه عجزاً وتسليماً، فتدخلت الصلاة فأبرأتهم من عللهم، إن الصلاة كمعدن (الراديوم) مصدر للإشعاع ومولد ذاتي للنشاط. وبالصلاة يسعى الناس إلى استزادة نشاطهم المحدود حين يخاطبون القوة التي تهيمن على الكون ويسألونها ضارعين: أن تمنحهم قبساً منها يستعينون به على معاناة الحياة، بل إن الضراعة وحدها كفيلة بأن تزيد قوتنا ونشاطنا، ولن تجد أحداً تضرع إلى الله إلا عاد التضرع إليه بأحسن النتائج).

ويقول الدكتور (توماس ها بسلوب): «إن أهم مقومات النوم التي عرفتها في خلال سنين طويلة من الخبرة والتجريب هو الصلاة، وأنا ألقي هذا القول بوصفي طبيباً، فإن الصلاة هي أهم وسيلة عرفت إلى الآن لبث الطمأنينة في النفوس، وبث الهدوء في الأعصاب».

ويقول الدكتور (أدوين فردريك باورز) أستاذ الأمراض العصبية بالولايات المتحدة: «أمكن إبراء كثير من الأمراض المعدية في وقت قصير مدهش بالنسبة لقصره ولكن بقطع النظر عن معجزات العلاج التي تمت في دنيانا هذه ما زالت هناك معجزات أخرى في إبراء المريض والأعرج، والكسيح، والأعمى، لا يمكن تعليلها، ولا ينفع فيها العلاج الطبي، أو الجراحي، أو السيكولوجي، أو الاهتزازي، فهناك ألوف الحالات التي لم يجد فيها أشهر الأطباء وأشدهم فطنة أدنى بارقة أمل والتي تم فيها مع ذلك شفاء المرضى واستعادتهم الصحة والعقل خلال معجزة من معجزات الصلاة».

وهذه الأقوال إنما أوردناها للاستشهاد والاستدلال بها، بل إشارة إلى أن من يخالف الإسلام يعترف بفوائد الصلاة من هذه الناحية، وإن كانت الصلاة عندنا وعندهم مختلفة في الكيفية والمزايا».

ولعل ما نقلناه إلى هنا من الكتاب المذكور كاف في توضيح بعض ما للصلاة من أسرار روحية، وإنها كيف تؤثر على الروح والنفس، فتجعل من الرجل الخبيث إنساناً طيباً، ومن المشرف على العته والجنون عاقلاً سليم الدماغ، ومن المرهق الأعصاب شخصاً سعيداً في راحة واطمئنان.

فلنعرج الآن لبيان شمة مما في بعض أفعال الصلاة من فوائد وأسرار ننقلها من مقتطفات الكتاب المذكور:

«الصلاة تبتدئ بتكبيرة الإحرام (الله أكبر) وتنتهي بالسلام (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

وبينهما قراءة وتسبيح، وأذكار وحركات خاصة كلها لتطهير الروح وتنشيط الجسم وتقريب النفس إلى الله العظيم.

وهكذا يكون سياق الصلاة:

(الله أكبر) فلا شيء أكبر من الله...

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ كان المشركون يبتدئون كل حركة وسكون باسم أصنامهم، فكانوا يقولون، (باسم اللات، باسم العزى، باسم هبل) وكانت النصارى تبتدئ باسم المسيح عليه السلام لاعتباره الإله الوسط والحكومات الملكية تبتدئ باسم الملك فيقولون (باسم الملك) والحكومات الشعبية (الديمقراطية) تبتدئ باسم الشعب. فتقول «باسم الشعب» وهكذا... كل يبتدئ بما يرتئيه مصدر القوة.

فأمر المسلمون أن يبتدئوا باسم الذي هو «الخالق» «الرازق» «ملك الدنيا والآخرة» «بيده أزمة الأمور» «وهو مصدر كل خير وعمل».

و«الله» اسم خاص له تعالى لا يشاركه فيه أحد ولذا خص بالابتداء «الرحمن الرحيم» صفتان كررتا مرتين في البسملة وفي الحمد تقريباً للناس إلى الله تعالى في قبال من كانوا يصورون الله تعالى ـ سواء منهم أهل الكتاب وغيرهم ـ ذا قسوة وغلظة يعذب الناس حسب مشتهاه ولا يرحم صغيراً ولا مسكيناً ولا فقيراً ولا ضعيفاً.

﴿الحمد لله رب العالمين﴾ هو رب كل شيء، يربيها حتى تصل إلى دورها الكامل.

رب الماء والهواء، والأرض والسماء، والبرد والحر، والدفء والضياء والإنسان والحيوان، والنبات والجماد، ورب ما يرى وما لا يرى.

إنه المستحق الوحيد للحمد لأنه مصدر كل خير.

﴿الرحمن الرحيم﴾ سبق الكلام فيهما.

﴿مالك يوم الدين﴾ يوم الجزاء، فحساب كل أحد عنده، فهو المبدأ وهو الوسط، وهو المنتهى وهذه الآيات تفيد ذلك.

وبعد ذلك: فلِمَ لا يعبد ولا يستعين العبد به؟

فإن الإنسان إنما يخضع لأحد ثلاثة أشخاص:

إما من يبدأ بالنعم.

وإما من يتعاهد حتى يصل إلى كماله المنشود.

وإما من يكون المصير إليه.

والله تعالى هو الأول، وهو الثاني، وهو الثالث.

فهو اللائق بالعبادة والاستعانة دون سواه.

هو إله، وهو رب، وهو المعاد إليه.

إذاً

﴿إياك نعبد، وإياك نستعين﴾ خطاب للإله المحيط بكل شيء فهو حاضر في كل زمان ومكان.

والعبادة: هو الخضوع المطلق بتمام معنى الكلمة، ولذا لا يسمى مجرد احترام أحد عبادة.

والاستعانة: طلب العون، وحيث حذف المتعلق أفاد الكلام العموم

أي نستعين في كل شيء.

﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ الصراط المستقيم من كل شيء، من عادة وعبادة، وعمل وعلم وخلق وعشرة، والإنسان معرض للانحراف في كل خطوة من خطى حياته، ولذا لا ينافي طلب الهداية مع كون الشخص مسلماً مهدياً.

﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ حتى نكون معهم، فالإنسان بعضه من بعض، وبالاجتماع ـ حتى على الحق ـ تزدهر الإنسانية ونسير إلى الأمام ولذا يؤتى بصيغة المتكلم مع الغير.

﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ الذين كان من أظهر مصاديقهم اليهود والنصارى الأمتان الكبيرتان اللتان أخذتا طريق الانحراف والزيغ فغضب الله على إحداهما وضلت الأخرى، فإنا مسلمون لا نميل إلى إحداهما.

ثم يقرأ الإنسان بعد (الحمد) سورة من القرآن كي تتجدد صلته بكتابه الحكيم، ويستفيد من عبره وقصصه وآياته وتقوى بإيمانه التليد.

ولذا يستحب التنوع في السورة، حتى يغترف المسلم من مناهل المعارف ويتعرف إلى مختلف كلام الله تعالى.

ثم يركع خاضعاً لله خاشعاً، ومن المشاهد: أن الانحناء إلى حد الركوع خضوع للمنحني لأجله، وعلى هذا نرى أن الفرد ينحني قليلاً ـ أو يومئ بالرأس فقط ـ إشارة إلى عظمة الطرف المقابل، ويقول في الركوع (سبحان ربي العظيم وبحمده) تنزيهاً للإله العظيم الذي صغى المسبح إجلالاً له والتنزيه مقارن بالحمد، فالإله منزه ومنعم، فهو مسبح محمود.

وبعد ذلك يأتي دور السجود الذي لا خضوع فوقه، وإذا تصور الإنسان فرداً ألقى بنفسه على الأرض تعظيماً لأحد الكبراء، عرف مقدار الخضوع

المنطوي عليه السجود، وكلما ازداد الشخص خضوعاً ازداد التسبيح علواً ولذا نقول هنا (سبحان ربي الأعلى وبحمده) فهناك خضوع أقل ولذا (العظيم) وهنا خضوع أكثر ولذا (أعلى).

(والقنوت) طلب ودعاء يصحبهما الخشوع بمد اليدين، يعرف ذلك الشخص حين يرى أحداً مد يده نحو غيره للاستعطاء.

(والتسبيحات الأربع): «سبحان الله؛ والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر» تنزيه وتحميد، واعتراف بالوحدانية وتكبير للإله ـ تعالى ـ فتتأكد الصلة ويتعاظم الرب في نفس العبد، وتنمو ملكة حسنة عليها يبنى كل خير.

(والتشهد والسلام) شهادة بالوحدانية وبالرسالة؛ مع عناية تقديم لفظ (عبده) على رسوله وصلاة على محمد وآله وسائط الحق وسلام على النبي المنقذ والعباد الصالحين وجميع الأولياء.

٣ ـ كيف يدرك الخشوع في الصلاة؟

لبيان هذا الموضوع يكفينا أن ننقل نصاً عبارة من كتاب «جامع السعادات» للنراقي رحمه الله:

«فاعلم أن صلاتك قربة وتحفة تتقرب بها إلى حضرة ملك الملوك كهدية يهديها طالب القرب والجاه من السلاطين إليهم وهذه التحفة تعرض على الله ثم ترد إليك في يوم العرض الأكبر، فإليك الخيرة في تحسين صورتها أو تقبيحها فمن أداها على النحو المأمور به بأعمالها الواجبة والمندوبة وشرائطها الظاهرة والباطنة مع الإخلاص وحضور القلب، كان كمن أهدى عبداً صحيحاً سوياً شاباً جميلاً عاقلاً كاملاً إلى ملك من الملوك.

ومن اقتصر على أعمالها الظاهرة وغفل من الحضور والقربة والتوجه والإخلاص كان كمن أهدى عبداً ميتاً بلا روح إلى ملك من الملوك.

ومن ترك عمداً شيئاً من واجباته كان كمن أهدى عبداً مقتولاً إليه.

ومن اقتصر على أقل ما يجزي كان كمن أهدى إليه عبداً حياً أعمى أو أصم أو أبكم أو مقطوع الأطراف أو هرماً أو قبيح المنظر أو مجروح الأعضاء أو أمثال ذلك».

ثم قال رحمه الله:

المعاني الباطنة التي هي روح الصلاة وحقيقتها سبعة:

«الأول»: الإخلاص والقربة وخلوها عن شوائب الرياء.

«الثاني»: حضور القلب وهو أن يفرغ القلب من غير ما هو ملابس له ومتكلم به حتى يكون العلم مقروناً بما فعله وما يقوله من غير جريان الفكر في غيرهما، فمهما انصرف عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه من غير غفلة عنه فقد حصل حضور القلب.

(ثم) حضور القلب قد يعبر عنه بالإقبال على الصلاة والتوجه، وقد يعبر عنه الخشوع بالقلب، فإن الخشوع في الصلاة خشوع بالقلب وهو أن يتفرغ لجمع الهمة لها والإعراض عما سواها بحيث لا يكون في قلبه غير المعبود ـ وخشوع بالجوارح وهو أن يغض بصره ولا يلتفت، ولا يعبث، ولا يتثاءب، ولا يتمطى، ولا يفرقع أصابعه، «وبالجملة» لا يتحرك لغير الصلاة ولا يفعل شيئاً من المكروهات، وربما عبر عن ذلك بالخضوع.

«الثالث» التفهم لمعنى الكلام وهو أمر وراء حضور القلب، فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ ولا يكون حاضراً مع معناه، فالمراد بالتفهم

هو اشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ «وهذا» مقام يتفاوت فيه الناس إذ ليس يشترك الناس في تفهم معاني القرآن والتسبيحات. فكم من معاني لطيفة يفهمها بعض المصلين في أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه قبل ذلك، ولا يفهمها غيره «ومن هذا» الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر. فإنها تفهم أموراً تمنع تلك الأمور عن الفحشاء والمنكر لا محالة.

«الرابع» التعظيم وهو أمر وراء حضور القلب والتفهم إذ الرجل ربما يخاطب غيره وهو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه، ولا يكون معظماً له.

«الخامس» الهيبة وهي زائدة على التعظيم، لأنها عبارة عن خوف منشؤه التعظيم، لأن من لا يخاف لا يسمى هائباً، ثم كل خوف لا يسمى مهابة، بل الهيبة خوف مصدره الإجلال.

«السادس» الرجاء، ولا ريب في كونه زائداً عما ذكر، وكم من رجل يعظم ملكاً من الملوك ويهابه ويخاف سطوته، ولا يرجو بره وإحسانه، والعبد ينبغي أن يكون راجياً بصلاته ثواب الله كما أنه خائف بتقصيره عقابه.

«السابع» الحياء ومستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب، وهو زائد على التعظيم والخوف والرجاء، لتصورها من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب قال الله سبحانه:

﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾.

وقال: ﴿أقم الصلاة لذكري﴾.

والغفلة تضاد الذكر فمن كان غافلاً في صلاته لا يكون مقيماً للصلاة لذكره.

وقال: ﴿لا تكن من الغافلين﴾.

وقال: ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾.

ذمهم على الغفلة عنها مع كونهم مصلين لا لأنهم سهوا عنها وتركوها.

وقال: ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾.

. . . وكم من مصل لا يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلاته».

ثم أكثر (رحمه الله) من إيراد روايات تحرض على الخشوع في الصلاة نورد بعضها ليكون حافزاً على ذلك:

قال ﷺ: «إنما فرضت الصلاة وأمرت بالحج والطواف. وأشعرت المناسك لإقامة ذكر الله، فإذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك؟».

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال الله تعالى: «إنما أقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، ويكف نفسه عن الشهوات من أجلي ويقطع نهاره بذكري، ولا يتعاظم على خلقي، ويطعم الجائع، ويكسو العاري، ويرحم المصاب، ويؤوي الغريب، فذلك يشرق نوره مثل الشمس اجعل له في الظلمات نوراً، وفي الجهالة علماً، أكلؤه بعزتي، وأستحفظه بملائكتي، يدعوني فألبيه، ويسألني فأعطيه، فمثل ذلك عندي كمثل جنات الفردوس، لا تيبس ثمارها ولا تتغير عن حالها».

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إن العبد ليرفع له من صلاته نصفها وثلثها وربعها، وخمسها فما يرفع له إلا ما أقبل عليه بقلبه وإنما أمروا بالنوافل ليتم لهم ما نقصوا من الفريضة».

وروي: «إن إبراهيم الخليل عليه السلام كان يسمع تأوهه على حد ميل

وكان يسمع له في صلاته أزيز كأزيز المرجل، وكذلك كان يسمع من صدر سيدنا رسول الله ﷺ مثل ذلك».

وقالت بعض أزواجه: كان النبي ﷺ يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه.

وروي: «كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا حضرت وقت الصلاة يتزلزل فقيل له: ما لك يا أمير المؤمنين؟

فيقول: جاء وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان».

وروي: «أنه وقع نصل في رجله عليه السلام فلم يمكن أحداً من إخراجه، فقالت فاطمة عليها السلام أخرجوه في حال صلاته فإنه لا يحس حينئذ بما يجري عليه. فأخرج ـ وهو في صلاته ـ فلم يحس به أصلاً».

وليس هذا بعجيب من مثل أمير المؤمنين عليه السلام قال له رسول الله ﷺ: «يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت» والذي قال هو عليه السلام: «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً».

فإن الشخص إذا وقع أمام ما يهيب لا يحس بالبلاء والأذى إطلاقاً أترى من واجه أسداً وهو يريد التخلص منه لا يلتفت بما يصاب من جرح أو كسر. فإذا نجى من الأسد ـ آنذاك ـ يشعر بأن رجله مجروحة أو يده مدماة أو إصبعه مكسور.

وحق أن يتعلم المسلم الخشوع من أمير المؤمنين عليه السلام ولعلنا نستطيع من ملاحظة ما ذكرنا في هذه الصفحات والتعمق فيها والتفكر فيها والتريث... أن نحصل على الخشوع في الصلاة، والخضوع أمام جلال الله وعظمته، لتكون صلواتنا مقبولة غير مردودة.

العددان ١١، ١٢

الدورة العاشرة

شهر
ذو القعدة وذو الحجة
سنة ١٣٨٥هـ

كربلاء تلفون ٨١٠

اجوبة المسائل الدينية
تصدرها
لجنة الثقافة الدينية
كربلاء - العراق

سماحة العلامة السيد عبدالرضا الشهرستاني

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات أعضاء لجنة الثقافة الدينية المحترمين

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد يرجى التفضل بشرح تأريخ المصاحف العثمانية بصورة مفصلة ولكم الشكر والتقدير.

المخلص

حسن خليل مهدي

بغداد ٦ ـ ٨ ـ ١٩٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

(توحيد المصاحف على عهد عثمان)

عقد عثمان في حدود سنة خمس وعشرين من الهجرة[1] هيئة أعضاؤها اثنا عشر صحابياً وأمرهم بجمع المصاحف المنتشرة في البلاد الإسلامية، والتي كانت تختلف مع بعضها البعض، ونسخ مصاحف متحدة الأسلوب والترتيب، وإرسالها إلى الأمصار، ليجتمع المسلمون على قراءة مصحف واحد، بعد تفرقتهم على مصاحف مختلفة... والباعث له على هذه الفكرة إيعاز بعض الصحابة إليه: إنه سيوشك وقوع فتنة عمياء بين الأمة الإسلامية من جراء اختلافهم في قراءة المصاحف، لتعصب كل فريق إلى المصحف المقروء في قطره وتكفير بعضهم البعض، وإليك التفصيل.

مصاحف متعددة:

كانت الفترة بعد وفاة النبيﷺ فترة جمع القرآن وتأليف المصاحف[2]، فأخذت نسخ المصاحف تتزايد وتتكاثر تزايداً مطرداً مع اتساع رقعة الإسلام، وقد أحرز بعض تلك المصاحف مقاماً معتداً به في الأمصار، فكان ممن جمع القرآن في تلك الفترة: عبد الله بن مسعود وأُبي بن

---

(١) يأتي تحقيق ذلك في فصل خاص.

(٢) نعني به جمع السور وتقديم بعضها على بعض حسب ما وقع اختيارهم من أسلوب.

كعب وسالم مولى حذيفة وأبو موسى الأشعري ومعاذ بن جبل والمقداد بن الأسود وغيرهم. . .[1]

وبتقدم الفتوحات الإسلامية في الشام والعراق ازدادت حاجة المسلمين إلى تعدد نسخ المصاحف، كان كل فريق يحتاج إلى نسخة من القرآن، فهو أصل دينهم ومصدر أحكامهم، ومنبعث عاداتهم الاجتماعية الإسلامية، فاتفق أهل الكوفة على مصحف عبد الله بن مسعود، وأهل البصرة على مصحف أبي موسى الأشعري وأهل الشام على مصحف أُبي بن كعب. . . وهكذا. . .[2].

اختلاف المصاحف:

لما كان جامعو المصاحف أناساً متعددين، وكانت كل نسخة منها تشتمل على ما جمعه صاحبها، وما جمعه واحد لا يتفق حرفياً مع ما جمعه آخرون، كانت طبيعة الحال تقتضي اختلافاً في تأليف تلك المصاحف من جهة الأسلوب والترتيب والقراءة وغير ذلك، . . . وهذا ما يستدعي نشوء اختلاف بين الناس حينما يجمعهم مكان أو مناسبة على مختلف نزعاتهم وأهوائهم، فربما كان المسلمون من مختلف الأقطار يجتمعون في غزوة أو ندوة، ويقع بينهم نزاع وجدل وإنكار بعضهم على بعض. . . كما وقع فعلاً في غزوة مرج آذربيجان من حديث حذيفة بن اليمان:

«. . . بعد ما قفل حذيفة راجعاً من غزو الباب (مرج أرمينية) قال

---

(١)(٢) سبق الكلام حول مصاحف هؤلاء في مجالات أخرى، ولم يعد ما يقضي بإعادة شرحها في هذا المجال، نظراً إلى تخصيص البحث بالمصاحف العثمانية فحسب.

لسعيد بن العاص، وكان بصحبته: لقد رأيت في سفرتي هذه أمراً لئن ترك ليختلفن في القرآن، ثم لا يقومون عليه أبداً. قال: وما ذاك؟ قال: رأيت أناساً من أهل حمص يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم، وأنهم أخذوا القرآن عن المقداد، ورأيت أهل دمشق يقولون: إن قراءتهم خير من قراءة غيرهم، ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك، وأنهم قرؤوا على ابن مسعود وأهل البصرة يقولون مثل ذلك، وأنهم قرأوا على أبي موسى الأشعري، ويسمون مصحفه: (لباب القلوب).

«... فلما وصلوا (ركب حذيفة وسعيد) إلى الكوفة، أخبر حذيفة الناس بذلك، وحذرهم ما يخاف، فوافقه أصحاب رسول الله ﷺ وكثير من التابعين، وقال له أصحاب ابن مسعود: ما تنكر؟! ألسنا نقرأه على قراءة ابن مسعود؟ فغضب حذيفة ومن وافقه، وقالوا: إنما أنتم أعراب فاسكتوا، فإنكم على خطأ؛ وقال حذيفة: والله لئن عشت لآتين أمير المؤمنين ولأشيرن عليه أن يحول بين الناس وبين ذلك. فأغلظ له ابن مسعود، فغضب سعيد وقام وتفرق الناس وغضب حذيفة وسار إلى عثمان فأخبره بالذي رأى، وقال: أنا النذير العريان، فأدركوا الأمة، فجمع عثمان الصحابة وأخبرهم الخبر فأعظموه، ورأوا جميعاً ما رأى حذيفة...»[1].

وفي لفظ البخاري: «قدم حذيفة بن اليمان على عثمان بن عفان، وقال: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى... قال: وما ذاك؟ قال: غزوت مرج أرمينية، فإذا أهل الشام يقرؤون بقراءة أُبي ابن كعب، ويأتون بما لم يسمع أهل العراق، وإذا أهل العراق يقرأون

(١) الكامل: ابن الأثير، ج٣، ص٥٥.

بقراءة ابن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام فيكفر بعضهم بعضاً»[1].

وقضية انعزال كل طائفة في زاوية من مسجد الكوفة، اختصاصاً بقراءة أحد الصحابة: ابن مسعود أو أُبي بن كعب، وفي ذلك ما أغضب حذيفة بن اليمان وجعله يفكر في توحيد المصاحف:

عن يزيد النخعي، قال: «إني لفي المسجد زمن الوليد بن عقبة في حلقة فيها حذيفة بن اليمان، وليس إذ ذاك حجزة ولا جلاوزة، إذ هتف هاتف: من كان يقرأ على قراءة أبي موسى فليأت الزاوية التي عند باب كندة، ومن كان يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود، فليأت الزاوية التي عند دار عبد الله، واختلفا في آية من سورة البقرة قرأ هذا: (وأتموا الحج والعمرة للبيت) وقرأ هذا: (وأتموا الحج والعمرة لله)، فغضب حذيفة واحمرت عيناه، ثم قام ففرز قميصه في حجزته وهو في المسجد، وذاك زمن عثمان: فقال إما أن يركب إلى أمير المؤمنين وإما أن أركب. فهكذا كان من قبلكم...» ـ وفي رواية أبي الشعثاء ـ «فقال حذيفة: قراءة ابن أم عبد (يعني عبد الله بن مسعود) وقراءة أبي موسى الأشعري!! والله إن بقيت حتى آتي أمير المؤمنين (عثمان) لأمرته بجعلها قراءة واحدة... قال: فغضب عبد الله! فقال كلمة شديدة. فسكت حذيفة...

وفي رواية... قال حذيفة: يقول أهل الكوفة: قراءة عبد الله، ويقول أهل البصرة: قراءة أبي موسى: والله لئن قدمت على أمير المؤمنين لأمرته بغرق هذه المصاحف، فقال له عبد الله: أما والله لئن فعلت ليغرقنك الله في

---

(١) صحيح البخاري: ج٦، ص٢٢٥، طبعة مشكول.

غير ماء (يعني سقر)[1].

وأخيراً ما وقع من الاختلاف في نفس المدينة على عهد عثمان، حتى اقتتل الغلمان والمعلمون، وجعل الرجل يقول لصاحبه: كفرت

أخرج ابن اشته عن أنس بن مالك قال: «اختلفوا في القرآن على عهد عثمان، جعل المعلم يعلم قراءة الرجل (أحد أصحاب المصاحف) والمعلم يعلم قراءة الرجل (الآخر) فكان الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين فجعل يكفر بعضهم بقراءة بعض[2] فبلغ ذلك عثمان بن عفان فقال: عندي تكذبون به وتلحنون فيه فمن نأى عني كان أشد تكذيباً ولحناً، يا أصحاب محمدﷺ اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً»[3].

وعن محمد بن سيرين قال: «كان الرجل يقرأ حتى يقول الرجل لصاحبه كفرت بما تقول: فرفع ذلك إلى عثمان فتعاظم ذلك في نفسه، فجمع اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار...»[4].

وفي رواية مصعب بن سعد: «قام عثمان خطيباً فقال: «إنما قبض نبيكم منذ خمس عشرة سنة، وقد اختلفتم في القرآن: عزمت على من عنده شيء من القرآن سمعه من رسول الله لما أتاني به»[5].

وعن بكير الأشج قال: «إن أناساً بالعراق يسأل أحدهم عن الآية،

---

(١) ابن أبي داود، المصاحف: ص١١ ـ ١٤.
(٢) ابن أبي داود، المصاحف: ص ٢١.
(٣) السيوطي، الإتقان: ج١، ص٥٩.
(٤) ابن أبي داود، المصاحف: ص٢٥.
(٥) ابن أبي داود، المصاحف: ص٢٤.

فإذا قرأها قال: ألا إني أكفر بهذه، ففشا ذلك في الناس، فكلم عثمان في ذلك»[1].

... إلى غيرها من حوادث غير محمودة العواقب، وقعت في أوائل عهد عثمان، وجعلت تتوسع دائرة الاختلاف بما لا يبشر بمستقبل أفضل، لولا دركها من قبل أمثال حذيفة بن اليمان، الصحابي النابه الخبير...!

عثمان يعقد لجنة:

تلك ـ حوادث فوق ـ ونظائرها بواعث دعت عثمان إلى أن يعير الموضوع اهتماماً، ويقوم بعقد لجنة تعالج هذه الناحية الخطيرة من حياة المسلمين، فوجه ـ أولاً ـ دعوته إلى عامة الصحابة، قائلاً: «يا أصحاب محمدﷺ اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً»[2]، لكنه ندب أخيراً ـ نفراً من ذوي العلاقات الخاصة بالسياسة القائمة، فانتدب زيد بن ثابت، وهو من الأنصار، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وهم قرشيون، هؤلاء الأربعة، أعضاء أولية انعقدت بهم اللجنة المصاحفية[3] وكان لزيد سمة رئاسة على البقية[4] كما أن عثمان أيضاً كان يتعاهدهم

---

(١) ابن حجر، فتح الباري: ج٩، ص١٥.

(٢) أخرجه ابن اشته في مصاحفه، الإتقان ج١، ص٥٩، وابن أبي داود: المصاحف ص٢١.

(٣) البخاري الصحيح: ج٦، ص٢٢٦، طبعة مشكول.

(٤) يتبين ذلك من تذمر ابن مسعود، واستنكاره النزول على حكم زيد وقراءته، ومن ذلك قوله: «كيف تأمرون أن إقرأ على قراءة زيد بن ثابت، وأترك ما أخذت من في رسول اللهﷺ ـ المصاحف ص١٥.

بنفسه[1] ثم رأى هؤلاء أنهم بحاجة إلى من يساعدهم في الإملاء والكتابة حسب الحاجة إلى تعدد المصاحف ولخطورة الموقف في تحري الوجه الصحيح من الإملاء والنسخ فاستعانوا بأُبي بن كعب، ومالك بن أبي عامر وكثير بن أفلح، وأنس بن مالك. وعبد الله بن عباس، ومصعب بن سعد[2] وعبد الله بن فطيمة[3] إلى تمام الاثني عشر على ما جاء في رواية ابن سيرين[4].

روى مصعب بن سعد: «أن عثمان سأل من أكتب الناس؟ فقالوا: كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت، ثم قال: فأي الناس أعرب ـ أو أفصح ـ؟ قالوا سعيد بن العاص. فقال: فليمل سعيد، وليكتب زيد»[5].

وروى البخاري وغيره: «أن عثمان أمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم»[6].

وعن أبي العالية «إنهم جمعوا القرآن من مصحف أُبي. فكان رجال

---

(١) ابن أبي داود: المصاحف: ص٢٥.
(٢) القسطلاني، إرشاد الساري: ج٧، ص٤٤٩.
(٣) ابن أبي داود، المصاحف: ص٣٣.
(٤) مر حديثه في ص٢٩٧.
(٥) ابن حجر: فتح الباري، ج٩، ص١٥.
(٦) البخاري: الصحيح ج٦ ص٢٢٦ طبعة مشكول.

يكتبون يملي عليهم أُبي بن كعب»[1].

قال ابن حجر: «وكأن ابتداء الأمر كان لزيد وسعيد للمعنى المذكور فيهما في رواية مصعب[2] ثم احتاجوا إلى من يساعد في الكتابة بحسب الحاجة إلى عدد المصاحف التي ترسل إلى الآفاق، فأضافوا إلى زيد من ذكر، ثم استظهروا بأُبي بن كعب في الإملاء»[3].

(مواقف الصحابة تجاه المشروع المصاحفي):

من طبيعة المجتمع البشري تجاه أي مشروع من المشاريع العامة التي يقوم بإنشائها فريق خاص، أن يخلق هناك موافق ومخالف، ومسالم ومناوئ انقساماً رباعياً، فمن معارض كانت معارضته مبدئية، مبتنية على أساس من المصلحة العامة ـ في نظره ـ وآخر كان باعثه على المعارضة خوف ذهاب مصلحته الشخصية، من جاه أو مال، من غير مراعاة مصلحة من المصالح العامة، ولنسم المعارض من النوع الأول: (مخالفاً)، ومن النوع الثاني: (مناوئاً) كما أن (الموافق) من كانت موافقته طبق مصلحة عامة، أما (المسالم)

---

(١) ابن أبي داود، المصاحف: ص٣٠.

(٢) سبقت في ص٢٢٩، ولكن لا نكاد نصدق بصحة الرواية، أو نكشف عن مواضعة سابقة عينت توجيه هكذا سؤال وجوابه الحاسم! وإلا فأين كانوا ـ ابتداءً ـ من أُبي بن كعب، كاتب رسول الله ﷺ الأسبق. والمتقدم على غيره. ذكر ابن عبد البر: «كان النبي ﷺ إذا لم يحضر أُبي بن كعب دعا زيد بن ثابت ليكتب له» الاستيعاب بهامش الإصابة ج١، ص٢٩).

(٣) فتح الباري: ج٩، ص١٥ـ١٦.

فهو المستسلم المطلق، من دون مراعاة مصلحة عامة، أو كانت مصلحة مرعية على كل حال.

ومن الطبيعي إذن: انقسام الصحابة ـ تجاه المشروع المصاحفي الذي قام به عثمان بحافز الرأي الغالب ـ إلى الأقسام الأربعة، وبما أن المشروع ذاته كان ذا مصلحة عامة، فالنابهون من الصحابة كانوا ـ بطبيعة الحال ـ في صف الموافقين وهم الأكثرية.

وسبق أن حذيفة بن اليمان كان أول من تنبه على خطورة داء الاختلاف وفكر في العلاج الناجع: (فكرة توحيد المصاحف رسمياً) فأتى عثمان يحفزه على تنفيذ فكرة العلاج قبل صعوبته، وجوباً لا محيص عنه[1] وكذلك من الصحابة الحاضرين آنذاك في المدينة. جمعهم عثمان ليستشيرهم في الأمر، فأجمعوا على ضرورة تنفيذ الفكرة قولاً واحداً[2].

* * *

أما الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام فكان ممن وافق المشروع موضوعياً ومع غض النظر عن ملابساته، وقد عدها حاجة ضرورية كان الواجب على كل من يتولى أمور المسلمين إسعافها. قال، فيما روي عنه ـ: لو وليت في المصاحف ما ولي عثمان لفعلت كما فعل[3] وفوق ذلك كان عليه السلام حريصاً على الالتزام بالمقرر وفق الرسم العثماني فيما يعد أيضاً تحفظاً وإبقاءً على الترابط الإسلامي المتوحد في ظل وحدة الكتاب. الأمر الذي ينبئ عن بعد نظر الإمام عليه السلام

(١) صحيح البخاري: ج٦، ص٢٢٥.
(٢) راجع السيوطي، الإتقان: ج١، ص٥٩.
(٣) النشر في القراءات العشر ج١، ص٨.

وغور فكره عند درس القضايا العامة. ليختار الوجه الأصلح للأمة مهما كلف الأمر من تضحيات.

قرأ رجل عند الإمام عليه السلام ﴿وطلح منضود﴾[1] فقال عليه السلام: ما شأن الطلح؟ إنما هو وطلع. كقوله تعالى: ﴿ونخل طلعها هضيم﴾[2] فقيل له: ألا تغيره؟ فعند ذلك قال الإمام عليه السلام كلمته القيمة الخالدة: «إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول»[3].

وفي حديثه عليه السلام مع طلحة بن عبد الله ما هو أدل:

«سأله طلحة بن عبد الله ـ في جملة مسائله ـ: يا أبا الحسن شيء أريد أن أسألك عنه. رأيتك خرجت بثوب مختوم. فقلت أيها الناس إني لم أزل مشتغلاً برسول الله صلى الله عليه وآله بغسله وكفنه ودفنه. ثم اشتغلت بكتاب الله حتى جمعته. فهذا كتاب الله عندي مجموعاً لم يسقط عني حرف واحد. ولم أر ذلك الذي كتبت وألفت! وقد رأيت عمر بعث إليك ـ بعد خلافته ـ أن ابعث به إلي. فأبيت أن تفعل... فما هذا. وما يمنعك يرحمك الله أن تخرج كتاب الله إلى الناس. وقد عمد عثمان... فجمع الكتاب. وحمل الناس على قراءة واحدة. فمزق مصحف أُبي بن كعب وابن مسعود وأحرقهما بالنار».

فقال له علي عليه السلام: يا طلحة إن كل آية أنزلها الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وآله عندي بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط يدي، وتأويل كل آية أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وآله وكل حلال وحرام أو حد أو حكم أو شيء

---

(١) سورة الواقعة، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٤٨.

(٣) الطبري، التفسير: ج١٧، ص٩٣، الطبري، مجمع البيان: ج٩، ص٢١٨.

تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة مكتوب بإملاء رسول الله ﷺ وخط يدي حتى أرش الخدش.

قال طلحة: كل شيء من صغير أو كبير خاص أو عام كان أو يكون إلى يوم القيامة فهو عندك مكتوب؟

قال: نعم وسوى ذلك أن رسول الله ﷺ أسر إلي في مرضه مفتاح ألف باب من العلم يفتح من كل باب ألف باب. ولو أن الأمة ـ منذ قبض رسول الله ﷺ ـ اتبعوني وأطاعوني لأكملوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم.

قال طلحة: لا أراك ـ يا أبا الحسن ـ أجبتني عما سألتك عنه من أمر القرآن. أن لا تظهره للناس!

قال عليه السلام: يا طلحة! عمداً كففت عن جوابك فأخبرني عما كتبوا، أقرآن كله أم فيه ما ليس بقرآن؟

قال طلحة: بل قرآن كله؟

قال علي عليه السلام: «إن أخذتم بما فيه نجوتم من النار ودخلتم الجنة، فإن فيه حجتنا وبيان حقنا وفرض طاعتنا».

قال طلحة: حسبي أما إذا كان قرآناً فحسبي...»[1].

هذا هو المنهج الذي سلكه أمير المؤمنين عليه السلام في حياته متحفظاً على صفو الائتلاف عن كدر الاختلاف. وعلى نفس المنهج سار بنوه الغر الأئمة الهداة عليهم السلام:

«قرأ رجل على أبي عبد الله الصادق عليه السلام حروفاً من القرآن ليس

---

(١) بحار الأنوار: ج١٩، ص١١ (كمباني).

على ما يقرؤه الناس: فقال له الإمام عليه السلام: مه مه، كف عن هذه القراءة، واقرأ كما يقرأ الناس»[1].

«قال لأبي الحسن الكاظم عليه السلام بعض أصحابه: جعلت فداك، إنا نسمع الآيات في القرآن ليست هي عندنا كما نسمعها، ولا نحس أن نقرأها كما بلغنا عنكم، فهل نأثم؟ فقال: لا، اقرؤوا كما علمتم»[2].

... وهكذا أخذت سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المحافظة منتهج المسلمين عامة فيما بعد، كما وأصبحت كلمته الخالدة «القرآن لا يهاج ولا يحول» دستوراً مصحفياً، التزمت به الأمة قيد حياتها، وإلا لأخذ التطور يلعب دوره في جميع مناحي القرآن الكريم من دون ما توقف عند حد من الحدود، أو ينتهي الأمر إلى ما لم يكن يحمد عقباه!

* * *

وأما ابن مسعود فلا أظن مخالفته كانت جوهرية، إنما أغضبه انتداب أعضاء غير لائقين، في مشروع جلل يتطلب أعضاء حذقين محنكين، كان يقول: «إن رجالاً لم يؤذن لهم قد تصرفوا في القرآن من تلقاء أنفسهم»[3] وقوله مستنكراً لاختيار زيد بخصوصه: «يا معشر المسلمين! اعزل عن نسخ المصاحف، ويتولاه رجل ـ والله ـ لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر»[4].

فكان ابن مسعود يرى نقصاً في هيكل المشروع الذي يتولاه أناس غير

---

(١) الفيض الكاشاني الصافي: ج١، ص٢٥. بحار الأنوار: ج١٩، ص٢٤.

(٢) نفس المصدر؛ ص٢٤.

(٣) ابن سعد، الطبقات: ج٣، ص٢٧٠، بنقل جولد تزيهر.

(٤) الزرقاني، مناهل العرفان: ج١، ص٢٧٦.

أكفاء، في حين وجود الأكفاء، ونتيجة لذلك كان يعتقد التفاوت الشاسع بين مصحفه الكامل، ومصحف عثمان الناقص الذي تألف بإشراف مثل زيد! وهذا ما حمله على الغيرة والتعصب، مبلغاً منعه من التنازل والاستسلام حتى الموت، كان يقول: «كيف تأمرون أن أقرأ قراءة زيد بن ثابت. وأترك ما أخذت من في رسول الله ﷺ؟! ولقد قرأت من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، وأن زيد بن ثابت له ذؤابتان يلعب مع الصبيان، والله ما أنزل من القرآن شيء إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل، وما أحد أعلم بكتاب الله مني...»[1].

وأبى إباء شديداً من تسليم مصحفه إلى عامل الخليفة. حتى أن زميله الصحابي «حذيفة» حاول إقناعه بكل وسيلة فلم يقتنع، فعن أبي ميسرة، قال: «أتاني رجل وأنا أصلي، فقال ـ متعجباً ـ أراك تصلي وقد أمر بكتاب الله أن يمزق كل ممزق، فتجوزت في صلاتي، وكنت أجلس، فدخلت الدار ولم أجلس، ورقيت فلم أجلس. فإذا أنا بالأشعري، وحذيفة وابن مسعود يقتاولان وحذيفة يقول لابن مسعود ادفع إليهم المصحف، قال لا والله لا أدفعه إليهم أقرأني رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، ثم أدفعه إليهم، والله لا أدفعه إليهم!»[2].

وعلاوة على ذلك كان يحرض الناس ـ بكل جرأة وصراحة ـ على الجموح والتمرد أمام الحكم الجائر ـ في نظره ـ كان يقول: «يا أيها الناس! إني غال مصحفي، ومن استطاع منكم أن يغل مصحفاً فليغلل، فإن الله يقول: ﴿ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة﴾، ونعم الغل المصحف، يأتي به أحدكم

---

(١) ابن أبي داود، المصاحف: ص١٥، ١٦.

(٢) الحاكم المستدرك: ج٢، ص٢٢٨

يوم القيامة»[1].

وكانت النتيجة أن أشخصه الخليفة إلى المدينة فكان ما كان. . .

عام تأسيس اللجنة:

قال ابن حجر: كانت هذه القصة في سنة خمس وعشرين من السنة الثالثة أو الثانية من خلافة عثمان[2].

قال: وغفل بعض من أدركناه، فزعم أن ذلك كان في حدود سنة ثلاثين، ولم يذكر لذلك مستنداً»[3].

وعدها ابن الأثير ومن تبعه من حوادث سنة ثلاثين، قالوا: «وفي هذه السنة (سنة ثلاثين) غزا حذيفة الباب (فرج أرمينية) مدداً لعبد الرحمن بن ربيعة، وفي هذه الغزوة رأى حذيفة اختلافاً كثيراً بين الناس في القرآن، فلما رجع أشار على عثمان بجمع القرآن، ففعل»[4].

. . . ملاحظة ممعنة في ملابسات القضية وقريناتها تجعلنا نرجح القول مع

---

(١) ابن أبي داود، المصاحف: ص١٥.

(٢) يعني أوائل السنة الثالثة من خلافته، أو أواخر السنة الثانية منها، للاختلاف في الوقت الذي بويع بالخلافة فيه لعثمان: العشر الأخير من ذي الحجة عام ثلاثة وعشرين، أو العشر الأول من محرم الحرام سنة أربع وعشرين.
(راجع الطبري التأريخ ج٣ ص٣٠٤٩).

(٣) فتح الباري: بشرح البخاري، ج٩، ص١٤.

(٤) ابن الأثير، الكامل: ج٣، ص٥٥، زيني دحلان الفتوحات الإسلامية: ج١، ص١٧٥.

ابن حجر: إن سعيد بن العاص كان العضو الثاني من اللجنة المصاحفية، وهذا ما يستدعي حضوره في المدينة وأن يملك فراغاً ومتسعاً من المجال، في حين أن سنة ثلاثين كانت بدء إمارته على الكوفة على أثر عزل الوليد عنها، وفي نفس الوقت تصدى غزو طبرستان من الكوفة، ومعه جماعة من الصحابة فيهم حذيفة وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن العباس، والأخيران كانا عضوي اللجنة أيضاً، ولم يأت سعيد المدينة حتى سنة أربع وثلاثين، عام مقتل عثمان[1].

وبهذه المناسبة يؤخذ على ابن الأثير: كيف يجمع بين هذين الحدثين: عضوية سعيد في المشروع المصاحفي. وولايته على الكوفة وغزو طبرستان في عام واحد!؟

ثم العضو الثالث عبد الله بن الزبير كان مع سعيد في غزو طبرستان ذلك العام، وكذلك ابن عباس وغيره.

. . . وروى ابن أبي داود عن مصعب بن سعد، قال: خطب عثمان ـ بدء قيامه بجمع القرآن ـ

فقال: «إنما قبض نبيكم منذ خمس عشرة سنة، وقد اختلفتم في القرآن عزمت على من عنده شيء من القرآن سمعه من رسول الله ﷺ لما أتاني به. . .»[2].

هذه الخطبة تحدد بدء تأسيس المشروع المصاحفي بالسنة الخامسة عشرة بعد وفاة رسول الله ﷺ وهي السنة الخامسة والعشرين من الهجرة.

---

(١) الطبري، التأريخ: ج٣، ص٣٢٣، ٣٧٠.

(٢) ابن أبي داود، المصاحف: ص٢٤.

. . . وفي حديث يزيد النخعي آنفاً[1] ما يصرح بوقوع القصة وموجباتها أيام الوليد بن عقبة على الكوفة، وفيه ما يؤكد حدوثها في إبان إمارته التي كانت من السنة الخامسة والعشرين إلى السنة الثلاثين، قال: «إني لفي المسجد زمن الوليد بن عقبة في حلقة فيها حذيفة بن اليمان، وليس إذ ذاك حجزة ولا جلاوزة».

. . . وذكر الذهبي فيمن توفي عام الثلاثين: (أُبي بن كعب) قال: وقال الواقدي: «هو أثبت الأقاويل عندنا»[2] وقد كان أبي مملياً على اللجنة ومساعداً لهم[3].

بقي شيء: ذكر ابن الأثير: «أن حذيفة بن اليمان غزا ثلاث غزوات: أولاهن سنة ثلاثين، وثانيتهن سنة اثنتين وثلاثين، وثالثتهن في آخر عهد عثمان. . .»[4]

هذا يقتضي أن لا تكون لحذيفة غزوة قبل سنة ثلاثين، وقد سبق أنه كان الحافز الأول لعثمان في إقامة المشروع المصاحفي. . . !

وأظنه متوهماً. . . فالتاريخ حفظ لحذيفة بن اليمان غزوات كثيرة منذ عهد عمر بن الخطاب، وله جولات وصولات في ربوع فارس، ولا سيما الري وآذربيجان وأعمالها، لم تزل مستمرة حوالي عشرين عاماً، وفي أغلب المغازي كان قائد فرقة أو خليفة أمير[5].

---

(١) في صفحة ٢٩٩.

(٢) تأريخ الذهبي: ج٢، ص٨٤

(٣) مضى في صفحة ٣٠٣.

(٤) تاريخ الكامل: ج٣، ص٦٧

(٥) راجع الطبري والكامل حوادث سنة (١٨ و ٢٢ و ٢٥ و ٣٠ و ٣٥).

قال ابن حجر: «أرمينية فتحت في خلافة عثمان، وكان أمير العسكر من أهل العراق سلمان بن ربيعة الباهلي وكان عثمان أمر أهل الشام وأهل العراق أن يجتمعوا على ذلك، وكان أمير أهل الشام على ذلك العسكر حبيب بن سلمة الفهري، وكان حذيفة من جملة من غزا معهم، وكان هو على أهل المدائن، وهو من جملة أعمال العراق. . . قال:

سنة خمس وعشرين هو الوقت الذي ذكر أهل التأريخ أن أرمينية فتحت فيه في أول ولاية الوليد بن عقبة بن أبي معيط على الكوفة من قبل عثمان»[1].

وأخيراً فابن الأثير متفرد عن الطبري في سرد قضية حذيفة ضمن حوادث سنة ثلاثين، ولا سيما والتبسط المشروح الذي أتى عليه بصورة لا نكاد نصدق أنها مأخوذة عن مستند تأريخي، وأغلب الظن أنها مجموعة روايات منضمة إلى بعضها البعض[2] زعمها مفترقة وأوردها ضمن حوادث تلك السنة!

(ملحوظة) لا يعتمد الطبري نفسه على التحديات الزمنية التي يذكرها قيد الحوادث، فهو يتردد أحياناً في حادثة بين وقوعها سنة ١٨ أو سنة ٢١ كواقعة نهاوند مثلاً[3]، فلا بد إذن لمعرفة تأريخ كل حادثة من اللجوء إلى قرائنها وملابساتها، دون الاعتماد على توقيت المؤرخين!

---

(١) فتح الباري: ج٩، ص١٣، ١٤. وراجع الطبري: التأريخ: ج٣، ص٣٠٨، ٣٠٩.

(٢) راجع روايات البخاري وابن أبي داود بهذا الصدد.

(٣) يصرح الطبري بترديده ذلك في تأريخه ج٣ ص٢٠٢ ضمن حوادث سنة ٢١.

سير عمل اللجنة:

اجتازت اللجنة في عملها ثلاث مراحل أساسية: مرحلة نسخ مصاحف متعددة على أسلوب متحد ومرحلة عرض المصاحف بعضها على بعض، للتحقق من صحتها جميعاً، ومرحلة التنفيذ وإلجاء الناس على قراءة تلك المصاحف قراءة واحدة.

أما المرحلة الأولى: فكان عثمان استهان بها ـ بادئ البدء ـ ولم يحسب خطورتها، فأرسل إلى الرقعة (الصحف) التي كانت في بيت حفصة، يطلبها، لتكون سنداً في تطبيق الآيات عليها، فأبت حفصة ـ بدورها ـ أن تدفع الصحف إلى عثمان، حتى عاهدها ليردنها عليها، فبعثت بها إليه[1] وأوعز إلى زيد بن ثابت وإلى سعيد بن العاص ليكون الأول كاتباً، والثاني مملياً، وهو يتصدى الإشراف عليهما بنفسه[2] زاعماً أن الأمر سيتم بذلك!.. غير أن نقص أداة العمل، وفقد كفاءة العاملين، أحرج عليهم الموقف:

كانت صحف أبي بكر مشوشة النظم فاقدة الأسلوب لا تأليف فيها[3] ولا تبين وجه القراءة[4] ولم يكن زيد بذلك الخبير اللائق، وقصور سعيد

---

(١) ابن أبي داود، المصاحف: ص٩.

(٢) ابن أبي داود، المصاحف: ص٢٥.

(٣) مضى تحقيق ذلك في مجال سابق.

(٤) كانت الهمة في جمع القرآن على عهد أبي بكر مقتصرة على استجماع شتات القرآن في مكان، من دونما اهتمام لسائر النواحي، فلم تقع صحف أبي بكر علاجاً حاسماً لرفع اختلافات المصاحف والقراءات.

عن الإحاطة بالوجوه الصحيحة من الآيات[1] . . . هذا ولم تكن تعجبهم مراجعة الأكفاء والعلماء من أصحاب النبيﷺ الموجودين آنذاك في المدينة أو في خارجها!

ونظراً لذلك جعلوا يستعينون بأناس غير معروفين من هنا وهناك، في داخل المدينة أو في خارجها ممن سكن البوادي، لاستطلاع ما لديهم من سور وآيات باقية منذ عهد النبيﷺ:

قال أنس بن مالك (جد مالك ـ إمام المالكية): «كنت فيمن أملي عليهم، فربما اختلفوا في الآية فيذكرون الرجل، قد تلقاها من رسول اللهﷺ ولعله يكون غائباً أو في بعض البوادي، فيكتبون ما قبل الآية وما بعدها؛ ويدعون موضعها حتى يجيء أو يرسل إليه»[2].

وقال محمد بن سيرين: «كانوا إذا تدارؤوا (اختلفوا) في شيء أخروه قال: ولعلهم كانوا يؤخرونه لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الأخيرة، فيكتبونها على قوله»[3].

حتى أن عثمان نفسه وجه نداءً عاماً إلى الملأ يلتمس ما لديهم من آيات خطبهم قائلاً: «عزمت (أقسمت) على من عنده شيء من القرآن، سمعه من رسول اللهﷺ لما أتاني به» فجعل الرجل يأتيه باللوح والكتف والعسب

---

(١) مضى الحديث عن ذلك، وقد لمس عثمان هذا الضعف منهما عندما رفع إليه المصحف فوجد فيه لحناً قائلاً: «لو كان المملي من هذيل والكاتب من ثقيف لم يوجد منه هذا».

(٢) ابن أبي داود، المصاحف: ص٢١.

(٣) نفس المصدر ص٢٥.

فيه الكتاب[1].

. . . هنا ما يستلفت النظر. . . ! كانت هناك ثلة من علماء الصحابة وكبار القراء، ممن كان جمع القرآن وحفظه منذ عهد رسول الله ﷺ، وكانوا على أقرب متناول القوم، فما الذي دعاهم إلى تتبع من يسعف بحاجتهم من أهل البوادي ودخائل الرجال!؟

على أن محاولاتهم تلك لم تكد تنجح بشيء، كما آذنت خطورة الموقف بالفشل الفاضح. إن وجه الحقيقة لا تنال عن غير طريقها المألوف، ومن دون وسائلها المشروعة وأن العمل ـ تجاه مصاحف مؤلفة من قبل رجال أكفاء وعلماء مضطلعين، قد صرفوا على تحقيقها وإتقانها فترة غير قصيرة ـ يحتاج إلى إلمام جذري بالموضوع، وتحقيق وبحث واسعين!

ولم يكن بد من اللجوء ـ أخيراً ـ إلى صحابي كبير معروف (أُبي بن كعب) ليستعينوا من خبرته وتضلعه بالقراءة والإملاء، ثم الابتناء على أسلوب مصحفه التأليفي، الكائن بين سوره وآياته[2].

هكذا اجتازت اللجنة المصاحفية مرحلتها الأولى في ثلاث خطوات، نالت الأمرين في خطوتيها الأولى والثانية لتهتدي إلى رشدها وسلوك طريقة لائقة: خطوتها الأخيرة الناجعة، (التمسك بذيل أبي):

روى ابن أبي داود عن أبي العالية، قال: «إنهم جمعوا القرآن من مصحف أُبي، فكان رجال يكتبون، يملي عليهم أُبي بن كعب»[3].

---

(١) نفس المصدر ص٢٤

(٢) في حديث أبي العالية في إشارة إلى ذلك.

(٣) ابن أبي داود، المصاحف: ص٣٠

وأخرج أبو عبيد عن عبد الله بن هانئ البربري مولى عثمان، قال: كنت وعثمان وهم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتف شاة إلى أُبي بن كعب فيها: ﴿لم يتسن﴾ وفيها ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ وفيها: ﴿فأمهل الكافرين﴾ فدعا بدواة، فمحا أحد اللامين، وكتب: «لخلق الله» وكتب: «فمهل» وكتب «لم يتسنه» فألحق فيها الهاء[1].

وتتلخص أعمال اللجنة في هذه المرحلة في جمع المدارك الأولية للقرآن، وكتابة مصاحف متعددة على أسلوب ونسق واحد في القراءة والإملاء، وهو عمل جلل وصنيع مقدر عبر الأيام وفضله يعود إلى جهود أُبي بن كعب، وما قام به من تموين اللجنة بأداء عمل وأسلوب، سوى أن اللجنة ـ نراها ـ قد قصرت بعض الشيء في ناحية التأكد من وحدة إملاء وكتابة المصاحف المرسلة كما وأهملت نواحي أخرى خطيرة[2]، كانت جديرة بالاهتمام، مما أوجبت نشوء اختلاف قرائي وغيره فيما بعد وسنشير إلى ذلك.

والمرحلة الثانية: مرحلة التحقق من توافق المصحف بعضها مع البعض، وعرضها على المدارك الأولية، تطبيقاً مع مصحف أُبي بن كعب وصحف أبي بكر لغرض التأكد من صحة نسخ الجميع. وتحفظاً على وحدتها القرائية، غير أن عدداً من تلكم المصاحف تفلتت عن قيد العرض والتوفيق، نتيجة الاستعجال بالأمر:

يحدثنا ابن أبي داود عن بعض أهل الشام، قال: «مصحفنا ومصحف أهل البصرة أحفظ من مصحف أهل الكوفة. قال: لأن عثمان لما كتب المصاحف

---

(١) السيوطي، الإتقان: ج١، ص. ١٨٣

(٢) كالتنقيط والإعجام.

بلغة قراءة أهل الكوفة على حرف عبد الله، فبعث به إليهم قبل أن يعرض، وعرض مصحفنا ومصحف أهل البصرة قبل أن يبعث به»[1].

كما وأهملوا ناحية الدقة وإتقان النسخ في كتابة المصاحف، فكان من جراء ذلك تسرب أخطاء إملائية في نسخ القرآن وفي إعرابه ـ مما سنشير إلى بعض مواضعها ـ.

وكذلك نجد اختلافاً كثيراً بين المصاحف العثمانية السبعة، مما يؤكد أن اللجنة تسامحت كثيراً في التوافق بين المصاحف، فكان السبب الأول لنشوء الاختلافات القرائية، الأمر الذي أخفى وجه الصواب على مرتاديها.

والمرحلة الثالثة: مرحلة التنفيذ، والعمل في هذه المرحلة كان يستدعي التصدي في ناحيتين؛ ناحية سلبية: إزالة المزاحم، وأخرى إيجابية: تطبيق المقرر. ومن العمل السلبي: إرسال قرار رسمي إلى الولاة ورؤساء الأجناد يتضمن: «فرض إحراق ما يعثرون عليه من مصاحف أو صحائف عليها شيء من القرآن»[2]، ومنع قراءة تخالف النص العثماني وما إلى ذلك من قرارات تمهد السبيل أمام تطبيق قراءة واحدة ورواج نص واحد بين الناس.

ومن العمل الإيجابي: إرسال مصاحف مرتبة ترتيباً واحداً إلى كل قطر من الأقطار الإسلامية يقرؤه أهل ذلك القطر وينسخون عليه مصاحفهم. إلجاء رسمياً عاماً لا يقبل أي تخصص أو استثناء: بضمان من القوة والسيف.

* * *

(١) ابن أبي داود، المصاحف: ص٣٥.

(٢) صحيح البخاري: ج٦، ص: ٢٢٦، طبعة مشكول.

عدد المصاحف العثمانية:

هناك رتبت سبعة مصاحف حسب المراكز السبعة الإسلامية آنذاك: (المدينة، الكوفة، البصرة، الشام، اليمن، البحرين)[1] حبس بالمدينة واحداً (سمي الإمام) وبعث بالستة الباقية إلى الآفاق[2].

كانت هذه المصاحف السبعة على نسق وأسلوب واحد في ترتيب سورها وآياتها وما يستتبعها من إملاء وقراءة وخط، سوى الاختلاف اليسير مما شذ عن اللجنة استدراكه، ونشير إلى مواضعه وإليكم وصف هذه المصاحف في شيء من التفصيل والنقد.

ترتيب المصاحف العثمانية:

سبق الكلام في ترتيب المصحف العثماني وأنه الترتيب الذي نتداوله اليوم بادئاً بسورة الحمد ثم السور الطوال ثم المئين ثم المثاني ثم الحواميم ثم المفصل، حسب المصطلح الدارج ذلك اليوم وقد سبق شرحه مبيناً في الجدول

---

(١) ابن أبي داود، المصاحف: ص٣٤.

(٢) يبدو غريباً إهمال جانب مصر، وهو قطر كبير واسع ذو مركزية خطيرة، ولم نعثر في الأخبار إلى ما يشير إلى إرسال مصحف هناك، ولا مبرر لهذا الإهمال سوى الوجه التالي ـ على ما نراه ـ: عدم إلمام أهل مصر الأصليين بالقرآن، وهم بعد لم يعتنقوا الدين الإسلامي، ولم يهاجر من الصحابة والمسلمين إلى ذلك القطر عدد معتد به، فلم تكن مصر بحاجة إلى مصحف برأسه، وكان لنفس السبب إهمال ناحية فارس أيضاً.
نعم: أضاف اليعقوبي مصر والجزيرة أيضاً. ج٢ ص١٤٧.

المرسوم هناك[1].

وهذا الترتيب التنوعي بين السور مأخوذ من ترتيب مصاحف تقدمت على مصحف عثمان، كمصحف عبد الله بن مسعود وأُبي بن كعب، سوى اختلاف يسير في مواضع بعض السور من كل نوع، وذلك... نظراً إلى تقدم تلك المصاحف، وأن مجهود المتقدم إذا كان في متناول المتأخر فلا شك أنه يستفيد منه، ويقتفي أثره، ويجعل بناءه على ما وضعه المتقدم، شأن سائر العلوم والأفكار، ... ثم هناك بعض النصوص تلوح على هذا الأخذ والاقتباس. وفي حديث أبي عالية: «إنهم جمعوا القرآن من مصحف أُبي»[2] وحديث ابن سيرين، قال: «كتب أُبي بن كعب في مصحفه فاتحة الكتاب والمعوذتين واللهم إنا نستعينك واللهم إياك نعبد وتركهن ابن مسعود، وكتب عثمان منهن فاتحة الكتاب والمعوذتين»[3] وأخيراً حديث ابن عباس مع عثمان ـ يعترض عليه بشأن مخالفة مصحفه موضع إدراج سورة الأنفال ضمن الطوال. مما يدلنا على أن عثمان كان آخذاً على الترتيب المتداول، فجاءت مخالفته في موضع أو موضعين مدعاة للسؤال ومثيرة للاعتراض:

«قال ابن عباس: قلت لعثمان ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهم ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم. ووضعتموها في السبع الطوال؟»[4].

---

(١) وسنشير إلى هذا التقسيم.

(٢) ابن أبي داود، المصاحف: ص٣٠.

(٣)(٤) الإتقان: السيوطي، ج١، ص٦٥.

كان ترتيب مصاحف الصحابة موضوعاً على تقسيم السور إلى خمسة أنواع:

١ ـ السبع الطوال، وهي السور المطولة. ٢ ـ المئين: وهي التي تربو آياتها على المائة. ٣ ـ المثاني: وهي التي لا تبلغ آياتها المائة. ٤ ـ الحواميم؛ وهي المصدرة بحمّ. ٥ ـ المفصل؛ وهي السور ذات الفواصل القريبة. ونظراً لهذا التقسيم كانت تلك المصاحف جعلت سورة براءة من المئين لأن آياتها (١٢٩) تربو على المائة، والأنفال من المثاني، لأن آياتها (٧٥) لا تبلغ المائة[١].

وجاء مصحف عثمان مخالفاً لهذا التقسيم المتداول من ناحية إدراج سورة الأنفال ضمن السبع الطوال. زاعماً أن براءة من تمام سورة الأنفال، وأنهما سورة واحدة، وبذلك تصبح الانفال مع تمامها من السبع الطوال[٢] وإلى هذه المخالفة يتجه اعتراض ابن عباس.

وصف المصاحف العثمانية:

فيما يلي وصف دقيق إجمالي عن المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار يكون دخيلاً في معرفة تأريخ المصحف وتطوره من أسلوب بدائي إلى ما نراه اليوم.

النقط والشكل:

كانت المصاحف العثمانية خالية كلها عن النقط والشكل، كانت الحروف المعجمة فيها سواء والمهملة كما كانت الكلمات عارية عن الحركات الإعرابية

---

(١) يأتي تمام الحديث.

(٢) أما سائر الصحابة فقد جعلوا سابعة الطوال هي سورة يونس لأنها قريبة من ثلاثة أرباع الجزء.

والبنائية. وكان على القارئ نفسه أن ينقط ويشكل النص على مقتضى معنى الآية، أو وفق التفسير أو التأويل الذي يرتئيه، واللفظ متحمل لذلك، فكان حينئذ لكل قارئ اختيار الحروف، وكذلك اختيار الحركات.

ومثال ذلك «علمه» كان الواحد يقرؤها «يعلمه» والآخر «نعلمه» أو «تعلمه» أو «بعلمه» وهكذا، وفيما يلي أمثلة أخرى[1]:

(سسرها): ننشزها، ننشرها، تنشرها ـ البقرة ٢٥٩.

(مسوا): فتبينوا، فتثبتوا ـ الحجرات ٦.

(سلو): تبلوا، تتلو ـ يونس ٣٠.

(سكك): ننجيك، ننحيك ـ يونس ٩٢.

(لسوسهم): لنبوئنهم، لنبوينهم، لثوينهم ـ العنكبوت ٥٨.

(بعلمه): يعلمه، نعلمه آل عمران ٤٨.

(بحارى): تجازي، يجازي ـ سبأ ١٧.

ومن هنا نشأ اختلاف أكثر من ذي قبل بين قراء كل مصر وآخر وأكثرهم من الموالي، والعربية ليست لغتهم، فكان على اللجنة المصاحفية اتخاذ تدابير لازمة لسد هذا الاحتمال كي لا يكون عملها كراً على ما فرت منه!

قال الحافظ ابن الجوزي «وجردت هذه المصاحف جميعها من النقط والشكل، ليحتملها ما صح نقله وثبت تلاوته عن النبيﷺ إذ كان الاعتماد

---

(١) اخترنا من الأمثلة الثابتة قراءتها، والتي تختلف في النقط والشكل معاً، وإلا فالشواهد على ذلك كثيرة جداً، وسنأتي على بعضها بعد هذا.

على الحفظ لا على مجرد الخط»[1].

لكنه تبرير عفوي يقصد أن اللجنة تعمدت في تجريد المصاحف من النقط والشكل لغاية احتمال القراءات المختلفة «المأثورة كلها عن النبيﷺ على ما زعموا» لكنه ـ لو صح ـ علاج بما يزيد في العلة:

والصحيح أن السبب في ذلك راجع إلى نفس طبيعة الخط المتداول عند العرب آنذاك لم تكن العرب تعرف شكل الحروف حتى عهد أمير المؤمنين عليعليه السلام أو بعده بيسير، فكان أول من شكلها أبو الأسود الدؤلي في قصة ذكرها ابن النديم وغيره[2] جعل علامة الفتحة نقطة سوداء فوق الحرف،

---

(١) النشر في القراءات العشر ج١ ص٧ وذهب إلى ذلك أيضاً الزرقاني في (المناهل: ج١، ص٢٥١) قال: «كانوا يرسمونه بصورة واحدة خالية من النقط والشكل، تحقيقاً لهذا الاحتمال» مع أنه يقول في ص٤٠٠: «اتفق المؤرخون على أن العرب في عهدهم الأول لم يكونوا يعرفون شكل الحروف والكلمات» ويقول: أول من شكل المصحف هو أبو الأسود، وأول من نقطه هو تلميذاه يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم» راجع المناهل، ج١، ص٣٩٩.

(٢) قال أبو عبيدة: أخذ النحو عن علي بن أبي طالبعليه السلام أبو الأسود، وكان لا يخرج شيئاً أخذه عن علي كرم الله وجهه إلى أحد، حتى بعث إليه زياد أن اعمل شيئاً يكون للناس إماماً، ويعرف به كتاب الله، فاستعفاه من ذلك، حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ: «إن الله بريء من المشركين ورسوله» بالكسر، فقال: ما ظننت أن أمر الناس آل إلى هذا، فرجع إلى زياد فقال: افعل ما أمر به الأمير، فليبغني كاتباً لقناً يفعل ما أقول =

وللضمة نقطة أمام الحرف، وللكسرة نقطة تحت الحرف ثم أخذت في التطور

= فأتي بكاتب من عبد قيس فلم يرضه، فأتي بآخر، قال أبو العباس المبرد: احسبه منهم، فقال أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف.

(ابن النديم: الفهرست ص٦٦)

قال ابن عياض: استدعى أبو الأسود كاتباً مجيداً وقال: إذا رأيتني قد ضممت فمي بحرف فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإذا رأيتني قد فتحت فمي فانقط نقطة على أعلاه، وإذا رأيتني قد كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف فإذا اتبعت ذلك غنة فاجعل النقطة نقطتين؛ ففعل، فكان الشكل حينذاك نقطاً ثم لطفت الصناعة لطفاً ورقت حاشيته تهذيباً حسناً وظرفاً، فاشتق للضمة من نقطها إذا أشبعها في الشكل واواً لطيفة، وللفتحة ألف صغيرة، وللكسرة مثلها من تحت، فرقاً، لاشتراك الجر والنصب في أشياء فإذا خلا الحرف من الضم والفتح والكسر، علموه بأحد شيئين إما بخاء ومعناه أن الحرف المسكن أخف من الحرف المتحرك، وإما برأس ميم ويظنها الجاهل هاءً، ومعناه أن الحرف مسكن فلا تحركه، وعلامة التشديد ثلاث سنايات... وعلامة المد خطتها... فإن لحق المضموم أو المفتوح أو المكسور تنوين ـ وهذا الذي سماه أبو الأسود غنة ـ جعلت الشكلة أو الشكلتين، الأولى علامة للضمة أو الفتحة أو الكسرة والثانية علامة للتنوين وجميع الشكل بين يدي الحرف أو فوقه إلا الكسر وتنوينه، فإنهما من تحت الحرف، وهذا الأصل كاف في معرفة الشكل وتعليله (عن المصباح بنقل السيد الصدر رحمه الله: تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ص٥٢).

مع الزمان، فاستبدلت من النقط السوداء نقط حمراء[1] ثم ألفات قصيرة مائلة وواو صغيرة. ثم الأشكال التي نتداولها اليوم[2].

أما الإعجام فقد حدث على عهد عبد الملك بن مروان، كان قد كثرت الدخلاء بين العرب، والعربية أجنبية عن لغتهم ـ كما ذكرنا ـ فصعب عليهم التمييز بين الأحرف المتشابهة في شكلها كالجيم والحاء والسين والشين والباء والتاء والثاء، فانتبه لذلك الحجاج بن يوسف الثقفي أمير العراق أيام عبد الملك، ففزع إلى كتابه، وسألهم أن يضعوا لهذه الأحرف المختلفة علامات تميزها بعضها عن بعض، فيقال: إن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط أفراداً وأزواجاً، وخالف بين أماكنها[3].

والظاهر أن تبديل النقط السوداء التي وضعها أبو الأسود علائم للحركات إلى النقط الحمراء، حدث في هذا الزمان، للفرق بين علامة الحركة والإعجام،

---

(١) قال جرجي زيدان: «فكان العرب بعد ذلك يستعملون من هذه النقط والغالب أن يكتبوها بلون غير لون الخط، وقد شاهدنا في دار الكتب المصرية مصحفاً كوفياً منقطاً على هذه الكيفية؛ وجدوه في جامع عمرو بجوار القاهرة وهو من أقدم مصاحف العالم، ومكتوب على رقوق كبيرة بمداد أسود وفيه نقط حمراء اللون، فالنقطة فوق الحرف فتحة، وتحته كسرة وبين يدي الحرف ضمة كما وصفها أبو الأسود.

(تأريخ التمدن الإسلامي: ج٣، ص٦١)

(٢) تبديل النقط إلى الحروف والأشكال التي نتداولها اليوم هو من صنع الخليل بن أحمد النحوي.

(السيوطي: الإتقان، ج١ ص١٧١)

(٣) ابن خلكان: ج١، ص١٢٥.

فصارت النقط السوداء إعجاماً والنقط الحمراء حركات[1].

أخطاء إملائية:

إن قصة وجود أخطاء إملائية في مصاحف عثمان مما يدعو للاستغراب، كانت لزيد سابقة كتابة منذ عهد النبيﷺ ولم يزل يزاولها في عهد أبي بكر وعمر ثم يلحن في كتابة المصحف!؟ لكنه أمر تحقق فعلاً وأول من تنبه إلى ذلك هو عثمان عند ما رفع إليه المصحف قال: «قد أحسنتم وأجملتم أرى فيه شيئاً من لحن ستقيمه العرب بألسنتها»[2] وكان جديراً به أن يقوم برفع تلك الأخطاء فور تنبهه عليها لكنه مع الأسف اقتصر على أن تمنى لو استبدل من زيد وصاحبه رجلين من هذيل وثقيف قال: «لو كان المملي من هذيل والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا»[3] وليته فعل!

وسبق أن الأمة أزمعت فيما بعد على إبقاء تلك الأخطاء على علاتها من دون أن تمد إليها يد الإصلاح، تفادياً لحدوث أي تغير أو تحول في نص الكتاب فلا يفتأ يستمر إلى ما لا يتوقف دون حد، قال الإمام أمير المؤمنينعليه السلام: «إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول»[4] ونتيجة لذلك ما نجده اليوم في المصحف الشريف من مخالفات مع أساليب الكتابة قديماً وحديثاً.

وهناك الكثير من الصحابة والتابعين ممن اطلع على أخطاء الرسم العثماني من دون أن يجرؤ أحد منهم على تصحيحها رهباً ـ في حينه ـ أو تحفظاً

---

(١) راجع تأريخ الآداب العربية: جرجي زيدان، ج١، ص٢٥٣.
(٢)(٣) ابن أبي داود، المصاحف: ص٣٢ و ٣٣.
(٤) الطبري، التفسير: ج١٧، ص٩٣.

على كرامة القرآن من الهياج والتحول ـ فيما بعد ـ فقد قالوا لعثمان نفسه «صحح ذلك الغلط» فقال «دعوه فإنه لا يحلل حراماً ولا يحرم حلالاً»[1] وهذا منه تزمت جانبي يريد المحافظة على كرامة كتاب المصحف من دون مراعاة لمصلحة المصحف نفسه!

وروى ابن أبي داود في المصاحف وأبو عبيدة في فضائل القرآن بسند متصل إلى عروة قال: «سألت عائشة عن لحن القرآن» عن قوله تعالى: ﴿إن هذان لساحران﴾ وعن قوله تعالى: ﴿والمقيمين للصلاة والمؤتون الزكاة﴾ وعن قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون﴾ فقالت: يابن أختي هذا عمل الكتاب أخطأوا في الكتاب»[2].

قال جلال الدين السيوطي: «هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين»[3].

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده وابن اشته في مصاحفه من طريق إسماعيل المكي عن أبي خلف مولى بني جمح «أنه دخل مع عبيد ابن عمير على عائشة. فقال: جئت أسألك عن آية في كتاب الله تعالى كيف كان رسول الله ﷺ يقرؤها؟ فقالت أية آية؟ قال: ﴿الذين يأتون ما أتوا، والذين يؤتون ما آتوا﴾؟ قالت: أيتهما أحب إليك؟ قلت: والذي نفسي بيده لأحدهما أحب إلي من الدنيا جميعاً! قالت أيهما؟ قلت: ﴿الذين يأتون ما أتوا﴾ فقالت: أشهد أن رسول الله ﷺ كذلك كان

---

(١) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن.
(٢) المصاحف: ابن أبي داود، ص٣٤.
(٣) الإتقان: ج١، ص١٨٢ـ ١٨٤.

يقرؤها وكذلك أنزلت ولكن الهجاء حرف»[1].

. . . إلى غير ذلك من أحاديث صحيحة الإسناد تدل على اعتراف عائشة بوقوع اللحن في الرسم العثماني.

والمأثور عن ابن عباس اعتقاد ذلك أيضاً، فيما أخرجه الطبري وسعيد بن منصور في سننه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿حتى تستأنسوا وتسلموا﴾ قال: إنما هي خطأ من الكاتب (حتى تستأذنوا وتسلموا) ولفظ ابن أبي حاتم: قال ابن عباس: «هو فيما أحسب مما أخطأت به الكتاب» وأخرجه الحاكم أيضاً وصححه[2].

واخرج أبو عبيد عن ابن عباس قال: أنزل الله هذا الحرف على لسان نبيكمﷺ ﴿ووصى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾ فالتصقت إحدى الواوين بالصاد فقرأ الناس: ﴿وقضى ربك﴾ ولو نزلت على الفضاء ما أشرك به أحد[3].

وعنه أيضاً كان يقول في قوله تعالى: ﴿وقضى ربك﴾ إنما هي وصى استمد الكاتب بدداً كثيراً فالتزقت الواو بالصاد، قال الضحاك: لو كان قضى من الرب لم يستطع أحد رد قضائه ولكنه وصية يوصي بها العباد[4].

وعن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأ (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء) ويقول: خذوا هذه الواو، واجعلوها ها هنا: (والذين قال

---

(١)(٢) الإتقان: ج١، ص١٨٥، الدر المنثور، ج٥، ص٣٨.

(٣) الدر المنثور، ج٥، ص١٧٠.

(٤) الإتقان: ج١، ص١٨٥.

لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم)[1].

وأخرج ابن الأنباري عن ابن عباس أنه قرأ: «أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً» فقيل له: إنها في المصحف ﴿أفلم ييأس﴾ فقال أظن الكاتب كتبها وهو ناعس[2] قال ابن حجر: هذا حديث رواه الطبري وعبد ابن حميد بإسناد صحيح كلهم من رجال البخاري عن ابن عباس.

وكذلك ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام إنكار ثبت (وطلح منضود) بدل (وطلع منضود) روى الطبري والطبرسي وغيرهما أنه قرأ رجل عند الإمام عليه السلام: و«طلح منضود» فقال: ما شأن الطلح! إنما هو (وطلع) كقوله تعالى: ﴿ونخل طلعها هضيم﴾ فقيل له: ألا تغيره؟ فقال: إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول[3].

. . . إلى غير ذلك من آثار تدلنا على ألحان ثبتت في الرسم العثماني، وغالبية أسنادها صحيحة، معترف بها لدى أئمة الفن، ونظراً لذلك أصبحت كل محاولة تهدف إلى الإجابة أو الدفاع تكلفاً لا ينتهي إلى طائل، كما ارتكبه ابن الأنباري وابن روزبهان، حاول الأول تضعيف الإسناد، لكن جلال الدين السيوطي وقف في وجهه معترضاً: «هذه الأجوبة لا يصلح منها شيء عن حديث عائشة، أما الجواب بالتضعيف فلأن إسناده صحيح»[4] وكذلك

---

(١) الآية الأولى في سورة الأنبياء ٤٨ (وضياء) مع الواو، والآية الثانية في سورة آل عمران ١٧٣ خالية من الواو (الإتقان: ج١، ص١٨٥).

(٢) الدر المنثور، ج٤، ص٦٣.

(٣) الطبري، التفسير: ج١٧، ص٩٣. مجمع البيان: الطبرسي، ج١، ص٢١٨.

(٤) الإتقان: ج١، ص١٨٤.

ابن حجر والحاكم صححا أسناد تلكم الأحاديث.

أما ابن روزبهان فجعل يتأول في ألفاظ الروايات ويحملها على غير معانيها الظاهرة، في كثير من التكلف والتهافت، قال: «وأما عدم تصحيح لفظ القرآن، لأنه كان يجب عليه متابعة صورة الخط وهكذا كان مكتوباً في المصاحف ولم يكن له التغيير جائزاً فتركه لأنه لغة بعض العرب»[1]... ما ندري... متابعة أي خط أو أية صورة؟ في حين أن عثمان عرف وجود اللحن من زيد وسعيد وضعفهما في الكتابة والإملاء، ولذلك تمنى لو كان المملي من هذيل والكاتب من ثقيف، كي لا يوجد فيه اللحن أبداً... ثم إنه لم يعهد أن يكون اللحن في الكتابة والإملاء لغة!؟

* * *

أقول: من الفرض على المسلمين عامة إبقاء المصحف على ما ورثوه من السلف من دون أن يمسوه بيد، ليكون محفوظاً بشكله ورسمه من تطاول المنحرفين مع الأبد، وامتثالاً لقول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «القرآن لا يهاج ولا يحول».

وإليك جدول يبين طرفاً من اختلاف الرسم العثماني مع الإملاء المعاصر، أخذناه من الشيخ عبد الجليل في مقدمة تفسيره: (تيسير القرآن الكريم).

---

(١) راجع إحقاق الحق ودلائل الصدق باب مطاعن الثالث.

نموذج

من الكلمات المكتوبة بالرسم العثماني مع مقابلتها بالرسم المعاصر، يبين صعوبة النطق بالكلمة على وجهها الصحيح لولا الحفظ بالسماع.

السورة	الآية	الكلمة بإملاء المصحف	الكلمة بالإملاء المعاصر
البقرة	٤٠	إسرآءيل	إسرائيل
البقرة	٤٣	الصلوة	الصلاة
البقرة	٤٣	الزكوة	الزكاة
البقرة	٨٥	الحيوة	الحياة
البقرة	١٦٤	اليل	الليل
آل عمران	٣	التورية	التوراة
آل عمران	١٦٢	ومأويه	ومأواه
النساء	١٦١	الربوا	الربا
المائدة	٢٠	وءاتكم	وأتاكم
المائدة	٤٦	وآتينه	وآتيناه
المائدة	١٠٩	علم	علام
الأنعام	٥	انبوا	أنباء
الأنعام	٢٦	وينئون	وينأون
الأنعام	٣٨	طير	طائر
الأنعام	٥٢	بالغداوة	بالغداة
الأنعام	٧٤	أريك	أراك
الأنعام	٨٠	هدين	هدان

السورة	الآية	الكلمة بإملاء المصحف	الكلمة بالإملاء المعاصر
الأنعام	٩٤	شركوأ	شركاء
الأعراف	٥	دعويهم	دعواهم
الأعراف	٢٦	يبنئ آدم	يا بني آدم
الأعراف	٣٥	ءآيتي	آياتي
الأعراف	٤٦	بسيمهم	بسيماهم
هود	٨٧	نشؤا	نشاء
هود	٩٧	وملاءيه	وملئه
يوسف	٥٠	التي	اللاتي
إبراهيم	٩	نبؤا	نبأ
إبراهيم	٢١	الضعفؤا	الضعفاء
الإسراء	٨٣	ونئا	ونأى
طه	٩٤	يبنؤم	يا بن أم
الأنبياء	٧	فسئلوا	فاسألوا
الأنبياء	٣٤	أفاين	أفإن
الأنبياء	٣٧	سأوريكم	سأريكم
النور	٣١	أيه	أيها
الفرقان	٧	مال هذا	ما لهذا
النمل	٢١	لا أذبحنه	لأذبحنه
النمل	٢٩	الملؤا	الملأ
القصص	٦٢	شركآءي	شركائي
الروم	١٠	اسئوا	أساءوا

السورة	الآية	الكلمة بإملاء المصحف	الكلمة بالإملاء المعاصر
الروم	١٠	السوأى	السوء
الروم	١١	يبدؤا	يبدأ
الروم	١٣	شفعؤا	شفعاء
الروم	١٦	ولقآى	ولقاء
الصافات	١٠٦	البلؤآ	البلاء
ص	٢٦	يداوود	يا داود
غافر	٤١	النجوة	النجاة
غافر	٥٠	دعؤآ	دعاء
الواقعة	٥٨	أفرءيتم	أفرأيتم
الانفطار	٧	فسويك	فسواك

اختلاف المصاحف العثمانية:

كانت المصاحف العثمانية تختلف مع بعضها البعض، كان المصحف الكوفي يختلف عن المصحف البصري وهذا يختلف عن المصحف المكي أو المدني، وهكذا وهذا الاختلاف في نصوص المصاحف الأولية كان أحد أسباب نشوء الاختلاف القرائي فيما بعد، نظراً إلى اختصاص قراء كل مصر بقراءة ما في صحفهم؛ دون ما سواه وكان لهم أيضاً اختيار في الحروف واختيار في الشكل فظهرت من ذلك ـ بالتدريج ـ قراءات صارت معهودة ومشهودة في ذلك البلد وتبعها الناس دون غيرها، فظهرت قراءة أهل الكوفة وقراءة أهل البصرة وقراءة أهل مكة والمدينة. . . إلخ.

وفضلاً عن ذلك كان القراء في كل مصر يختلف بعضهم عن بعض في اختيار القراءة أو الشكل أو الحروف، فجعلت تتوسع دائرة القراءات شيئاً فشيئاً من دون ما وقوف عند حد، وسنبحث عن ذلك في فصل القراءات، ونبين كيف انحصرت القراءات في السبعة أو العشرة فيما بعد، وإليكم الآن مواضع من الاختلاف في نصوص المصاحف العثمانية[1]:

---

(١) اعتمدنا في هذا العرض على نص ابن أبي داود، وهو بدوره ينقله عن مصادر معتبرة. راجع المصاحف صفحات (٣٩ ـ ٤٩).

وزعم الأبياري (إبراهيم: تأريخ القرآن ص٩٩) أن هذا الاختلاف كان في المصاحف التي سبقت مصحف عثمان، والذي جاء مصحفه عثمان ملغياً لها، لكنها نظرة تخالف النص القائل: «إن الاختلاف كان في نفس المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأمصار» واعترف بذلك المحققون، راجع الزرقاني، مناهل العرفان، ج١، ص٢٥١.

السورة	الآية	مصحف المدينة	مصحف الشام	مصحف الكوفة	مصحف البصرة	مصحف مكة
البقرة	١١٦	قالوا اتخذوا الله ولداً	قالوا	وقالوا	وقالوا ...	
»	١٣٢	و اوصى بها ابراهيم	واوصى	ووصى	ووصى ...	
آل عمران	١٣٣	سارعوا الى مغفرة من ربكم	سارعوا	وسارعوا	وسارعوا ...	
»	١٨٤	جاؤوا بالبينات وبالزبر	وبالزبر	والزبر	... والزبر	
النساء	٦٦	. . . . .	مافعلوه الا قليلاً	الا قليل	... الا قليل	
»	١٧١	. . . . .	. . .	فامنوا بالله ورسله	فامنوا بالله ورسله	... ورسوله
المائدة	٥٣	يقول الذين آمنوا	يقول	ويقول	ويقول ...	
»	٥٤	من يرتدد	من يرتد	من يرتد	من يرتد	
الأنعام	٣٢	. . . . .	ولدار الآخرة	وللدار الآخرة	وللدار الآخرة	
»	٦٣	لئن انجيتنا	. . .	لئن انجانا	لئن انجيتنا	
الاعراف	٣	قليلا مايتذكرون	يتذكرون	تذكرون	... تذكرون	
»	٤٣	ما كنا لنهتدي	ما كنا	وما كنا	وما كنا ...	
»	٧٥	قال الملأ	قال الملأ	وقال الملأ *	وقال الملأ	
»	١٤١	واذ أنجاكم	واذ أنجاكم	واذ أنجيناكم	واذ أنجينا كم	
»	١٩٥	ثم كيدوني	ثم كيدوني	ثم كيدون	ثم كيدون	
الانفال	٦٧	. . . . .	ما كان لنبي	ما كان لنبي	ما كان لنبي	
التوبة	١٠٠	. . . . .	. . .	. . .	تجري تحتها الانهار	تجري من تحتها الأنهار
»	١٠٧	الذين اتخذوا مسجداً ضراراً	الذين	والذين	والذين ...	
يونس	٢٢	هو الذي ينشركم	هوالذي ينشر	هوالذي يسيركم	هو الذي يسيركم	
الرعد	٤٢	وسيعلم الكفار	. . .	وسيعلم الكفار	وسيعلم الكفار	
الاسراء	٩٣	قال سبحان ربي	. . .	قل سبحان ربي	قل سبحان ربي	
الكهف	٣٦	لأجدن خيراً منهما	منهما	منها	... منها	
»	٩٥	قال ما مكني	تمكني	مكنني *	... مكنني	

تابع - جدول يبين مواضع الاختلاف في نصوص المصاحف العثمانية

السورة	الآية	مصحف المدينة	مصحف الشام	مصحف الكوفة	مصحف البصرة	مصحف مكة
الانبياء	٤	قل ربي يعلم	. . .	قال ربي يعلم	قال ربي يعلم	
«	١١٢	. . . . .	. . .	قال رب احكم	قل رب احكم	
المؤمنون	٨٧	قل من رب السموات... سيقولون لله	سيقولون لله	سيقولون لله	سيقولون الله	
«	٨٩	قل من بيده ملكوت. .سيقولون لله	سيقولون لله	سيقولون لله	سيقولون الله	
«	١١٢	قال كم لبثتم	. . .	قال كم لبثتم	قل كم لبثتم	
الشعراء	٢١٧	فتوكل على العزيز	فتوكل	وتوكل	وتوكل ...	
فاطر	٣٣	من ذهب ولؤلؤاً	. . .	ولؤلؤاً	... ولؤلؤ	
يس	٣٥	وما عملته	. . .	وما عملت *	وما عملته	
غافر	٢١	كانوا هم اشد منكم	كانوام اشدمنكم	منهم	... منهم	
«	٢٦	وان يظهروا في الأرض	وأن	أو أن	أو أن ...	
الشورى	٣٠	بما كسبت ايديكم	بما كسبت ايديكم	فبما كسبت ايديكم	فبما كسبت ايديكم	
الزخرف	٦٨	يا عبادي	يا عبادي	يا عباد	يا عباد	
«	٧١	ما تشتهيه الانفس	ماتشتهيه الانفس	ماتشتهي الانفس*	ما تشتهي الانفس	
الاحقاف	١٥	بوالديه حسناً	. . .	بوالديه احساناً	بوالديه احساناً	
محمد ﷺ	١٨	ان تأتيهم بغتة	. . .	. . .	ان تاتيهم ...	ان تأتهم ...
الرحمن	١٢	والحب ذا العصف	والحب ذا العص	والحب ذو العصف	والحب ذو العصف	
«	٧٨	تبارك اسم ربك ذو الجلال	ذو الجلال	... ذي الجلال	... ذي الجلال	
الحديد	١٠	وكل وعد الله الحسنى	وكل ...	وكلا ...	وكلا ...	
«	٢٤	ان الله الغني الحميد	ان الله الغنى	ان الله هو الغني	ان الله هو الغني ...	
الجن	٢٠	قال انما ادعوا ربي	. . .	قل انما ادعو ربي	قل انما ادعو ربي	
الانسان	١٦	قواريراً . قواريراً من	. . . .	قواريراً قواريراً من*	قواريراً . قواريرا من	
الشمس	١٥	فلا يخاف عقباها	فلا يخاف	ولا يخاف ...	ولا يخاف ...	

ملحوظة:

ما يسترعي الانتباه في هذا العرض: أن مصحفنا اليوم يتوافق مع المأثور من مصحف العراقيين، ولا سيما مصحف الكوفة، سوى المواضع المؤشر عليها بعلامة (*) النجمة، وسبب ذلك يعود إلى اختيار الحجاج عامل عبد الملك على العراق:

كان الناس إذ ذاك اختلفوا في اختيار الحروف والشكل والإعجام، فأوعز عبد الملك إلى الحجاج ليعالج هذه الناحية مستعيناً بأهل العلم في بلده ـ والعراق يومذاك مهد العلم والحضارة الإسلامية، ومهجر الصحابة والتابعين ـ ففزع هذا بدوره إلى العلمين الجليلين يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم تلميذي أبي الأسود الدؤلي صاحب أمير المؤمنين علي عليه السلام[1] فتصديا لإعجام المصحف وتشكيله بصورة متقنة، فمن ذلك اليوم تداولت بين المسلمين المصاحف ذوات النقط والشكل، ومن الطبيعي أن يقع اختيارهم على مصحف العراق ولا سيما الكوفة مقر إمارة الحجاج، إلا ما شذ في مواضع اختاروها من مصحف البصرة أو المدينة، وليتهم اختاروا مصحف البصرة كملاً، وهو أحفظ وأتقن من مصحف الكوفة ومن غيره[2] تدلنا على ذلك الآية ـ ٨٧ ـ من سورة (المؤمنون) فإنها في مصحف البصرة: «قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، سيقولون الله» لكنها في مصحف الكوفة وغيرها: «سيقولون لله» وكذلك الآية ـ ٨٩ ـ من نفس السورة، والآية ـ ٣٣ ـ من سورة (فاطر) في مصحف البصرة: (من ذهب ولؤلؤ) بجرهما وفي غيره (من ذهب

---

(١) الزرقاني، مناهل العرفان: ج١، ص٣٣٩.

(٢) يشير إلى ذلك حديث الشامي السابق.

ولؤلؤاً)، والآية ـ ١٦ ـ من سورة (الإنسان) في مصحف البصرة: (قواريراً، قوارير من فضة) وفي غيره (قواريراً قواريراً من فضة)... إلى غير ذلك.

ومما وقع اختيارهم عليه من مصحف البصرة: الآية ١٦، من سورة (الإنسان) والآية ٣٦ من سورة (يس)، كما وقع اختيارهم من مصحف المدينة على الآية ٧١ من سورة (الزخرف)، والآية ٩٥ من سورة الكهف، والآية ٧٥ من سورة (الأعراف)، وقد بينا ذلك في الجدول.

إجمال ما حدث بعد عثمان:

سبق أن المصاحف العثمانية كانت خلواً عن التشكيل والإعجام (الحركات والنقط) فكانت قراءة كل آية تتلقى شفاهاً من شيخ إلى شيخ، على اختلاف في اختيار كل قارئ ما يروقه من حركة وتنقيط، حسب المعاني التي يفهمونها من الآية.

وكان من مضاعفات هذه الحرية في القراءة إيجاد مشكلة القراءات غير المحصورة وحدوث اضطراب في نصوص المصحف الكريم، وهذا ما أفزع ولاة الأمر إلى الاهتمام بشأنه، والتصدي لمعالجته بصورة مستعجلة.

وكانت لأبي الأسود الدؤلي (تلميذ أمير المؤمنين عليه السلام) سابقة إلمام بإعراب الكلمات العربية، ونهج أساليب الكلام، تعلمها من أمير المؤمنين عليه السلام في قضايا ذكرها المؤرخون، فالتمس منه زياد ـ وكان عامل معاوية على البصرة ـ أن يجعل حدوداً يعرف بها كتاب الله، ويحفظ عن اللحن في قراءته فأبى أبو الأسود ـ ابتداءً ـ أن يجيبه على ملتمسه، لظنته بعلمه، فاتفق

أن أبا الأسود كان يمر بطرق البصرة فسمع قارئاً يقرأ «إن الله بريء من المشركين ورسوله» بالكسر، فقال: ما ظننت أن الأمر سيؤول إلى هذا، فدخل على زياد وأبدى استعداده للقيام بما استدعاه إليه آنفاً، وطلب منه كاتباً لقناً، فقدم إليه زياد نحو ثلاثين كاتباً، فاختار أبو الأسود أحدهم ثم رفضه واختار آخر، وقال له: إذا رأيتني قد ضممت فمي بحرف فانقط نقطة بين يدي الحرف (أي أمامه ـ علامة للضمة) وإذا رأيتني قد فتحت فمي فانقط نقطة على أعلى الكلمة (علامة للفتحة) وإذا رأيتني قد كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، وإذا اتبعت ذلك غنة فاجعل النقطة نقطتين (علامة للتنوين)، هكذا حصل الشكل على يد أبي الأسود في هذا الدور بصورة بدائية.

ثم كانت أيام عبد الملك عصر ازدياد الدخلاء بين العرب، وهم أجانب عن اللغة وأساليبها، وعن تمييز الحروف المتشابهة بعضها عن بعض، فجعلوا يشتبهون بين الحاء والخاء والجيم، وبين السين والشين والصاد والضاد وهكذا ففزع عبد الملك إلى عامله (الحجاج) على الكوفة يلتمس منه علاج القضية مستعيناً بمن لديه من علماء وأئمة في الكوفة والبصرة (مهد العلم والحضارة في ذلك العهد).

فزع الحجاج بدوره إلى العلمين الجليلين يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم تلميذي أبي الأسود فقام هذان بإكمال ما بدأ شيخهما من إصلاح، فأدخلا إعجام الحروف وتمييزها بنقاط سود نقطة ونقطتين وثلاث واستبدلا رسم الشكل من النقط السود إلى نقاط حمر، للفرق بين علامة الشكل وعلامة الإعجام. استمر ذلك حتى عهد الخليل بن أحمد النحوي المشهور، فكمل الشكل والنقط بصورة نهائية، الفتحة ألفاً قصيرة مائلة من فوق الحرف، والكسرة ألفاً مائلة من تحت الحرف، والضمة واواً صغيرة بين يدي الحرف، وجعل علامة الغنة

(التنوين) فتحتين وكسرتين وضمتين، على النحو المتداول اليوم. وهكذا اكتملت علائم الحركات، وسنشرح هذه النواحي وغيرها من علائم المد والشدة والوقف، ثم البحث عن تجزئة القرآن إلى أنصاف وأرباع وأخماس وأعشار وغيرها فيما يأتي إن شاء الله تعالى[1].

إلى من يعود الفضل؟

يعود الفضل في جمع القرآن وترتيبه وتحريره إلى علي أمير المؤمنين عليه السلام والخيار من شيعته:

ـ كان أول من أبدى فكرة جمع القرآن هو علي بن أبي طالب عليه السلام، عندما التزم بيته بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وقال: لا أرتدي حتى أجمع القرآن، ثم جمعه وأتى به إلى القوم يعرضه عليهم، لكنهم لسوء حظهم رفضوه وقاموا هم بجمع القرآن وفق ما يرتضونه.

ـ وكان الباعث الأول والحافز الملح على عثمان يأمره بتوحيد المصاحف هو حذيفة بن اليمان، وهو من خلص شيعة علي عليه السلام ومواليه، كان أحد الاثني عشر الذين قاموا في وجه أبي بكر دفاعاً عن حق علي عليه السلام.

ـ ولما تصدى عثمان لجمع القرآن وتوحيد المصاحف لم يجد بداً من اللجوء إلى ذيل أُبي بن كعب فكان أُبي يملي عليهم وهم يكتبون وقد اخذ مصحفه قدوة في النظم والترتيب.

وكان أُبي أيضا يوالي علياً عليه السلام بكل صراحة، وأحد الاثني عشر المذكورين.

---

(١) بما أن السؤال كان عن المصاحف العثمانية فحسب اقتصرنا على شرح المسؤول عنه.

ـ وكان أول من شكل المصحف أبو الأسود، وهو معروف بولائه الحر لعلي عليه السلام.

ـ ثم قام بتكميل الشكل والإعجام تلميذاه يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم وقد أخذا العلم والمعرفة والولاية من أستاذهما وشيخهما أبي الأسود.

وأخيراً فالخليل بن احمد ـ وهو الذي أكمل رسم المصحف بصورة نهائية ـ يعد من أقطاب الشيعة المعروفين، وهلم جرا...

إذاً هي مفخرة تبعث على المباهاة والاعتزاز[1].

---

(١) معروفية هؤلاء بالولاء أغنتنا عن ذكر الدلائل والشواهد، ولمزيد الاطلاع يراجع تراجم حياتهم في أعيان الشيعة للسيد العاملي، ومجالس المؤمنين للقاضي التستري، وتأسيس الشيعة لعلوم الإسلام للسيد الصدر. وغير ذلك.

بسم الله الرحمن الرحيم

نداء إلى أعلام الفكر

ودعوة المؤلفين والمفكرين إلى تأليف كتاب عن شخصية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام باللغة العربية، والدعوة هذه موجهة لجميع الكتاب والمؤلفين، بأي دين دانوا وفي أي جهة كانوا، وفق الشروط الآتية:

١ ـ أن لا يخرج الكاتب عن الموضوع، وأن تكون شخصية الإمام هي مدار البحث، وفي إطار الرسالة الإسلامية.

٢ ـ أن لا يكون الكتاب مطبوعاً أو منشورة فصوله قبل هذا التأريخ، سواءً كان النشر في الصحف والمجلات أو في نشرات خاصة.

٣ ـ لا يكون ملحمة شعرية، أو قصة روائية، أو مترجماً عن لغة أخرى.

٤ ـ أن لا تقل صفحات الكتاب عن ٢٠٠ صفحة، ولا تزيد على ٤٠٠ صفحة بالقطع المتوسط المألوف.

٥ ـ لا مانع من أن يقوم بتأليف الكتاب أكثر من واحد أو يقدم باسم جمعية من الجمعيات أو باسم مجمع من المجامع العلمية أو كلية من الكليات.

* * *

وللتعاون من شؤون هذه المباراة الكتابية فقد تشكلت لجنة مقرها النجف الأشرف ـ العراق، وقررت ما يلي:

أولاً: أن يكون للجنة أمين سر تعنون باسمه الرسائل والكتب، ويكون مسؤولاً

عن جميع المواد التي تصل إليه، ويسمى أمين اللجنة.

ثانياً: تخصص جوائز مالية للفائزين، قدرها (٧٠٠) دينار عراقي وتوزع على النحو التالي:

١ ـ الجائزة الأولى: وقدرها ٤٠٠ دينار عراقي.

٢ ـ الجائزة الثانية: وقدرها ٢٠٠ دينار عراقي.

٣ ـ الجائزة الثالثة: وقدرها ١٠٠ دينار عراقي.

ثالثاً: تعلن النتائج في المهرجان الكبير المنعقد كل عام في مدينة كربلاء، وذلك في ليلة مولد الإمام علي ١٣ رجب الحرام سنة ١٣٨٦ هـ والمصادف ٢٣ ـ ١٠ ـ ١٩٦٦.

رابعاً: المدة المقررة لتأليف الكتاب هي ستة أشهر، ابتداءً من أول شهر ذي القعدة الحرام لسنة ١٣٨٥هـ والمصادف ٢٠ ـ ٢ ـ ١٩٦٦.

خامساً: الكتاب الذي ينال الجائزة الأولى يكون للجنة وحدها حق التصرف فيه من طبع أو ترجمة أو اتفاق مع دور النشر، ولا يجوز للمؤلف ولا لغير المؤلف نشره إلا بموافقة اللجنة أو مرور ستة أشهر على تسلم اللجنة للكتاب، إذا كانت في كل هذه المدة لم تباشر بالترجمة أو بالطبع فللمؤلف الحق باسترجاع الكتاب والتصرف فيه.

سادساً: حقوق لجنة التحكيم

١ ـ يحق لأعضاء اللجنة انتخاب أشخاص للاستعانة بآرائهم.

٢ ـ على رئيس اللجنة استنابة عضو مكان آخر إذا اقتضى ذلك أو إذا استقال أحد الأعضاء أو تخلف عن الحضور بدون عذر.

٣ ـ لا يحق للمؤلفين والكتاب ولا لغيرهم محاسبة لجنة التحكيم على أحكامها أو مناقشة آرائها.

٤ ـ لا يحق للمؤلفين والكتّاب الاشتراك في اجتماعات اللجنة إلا إذا دعوا من قبل اللجنة لذلك.

٥ ـ تجتمع لجنة التحكيم بدعوة من أمين سر اللجنة.

سابعاً: أمين سر اللجنة مسؤول عن تعيين محل الاجتماع، وعن إيصال الجوائز إلى الفائزين خلال مدة لا تزيد على ٣٠ يوماً من تأريخ الإعلان والنشر عن نتائج آراء اللجنة، وترسل الجوائز بواسطة أحد المصارف الحكومية.

ثامناً: على المؤلفين إيراد مؤلفاتهم ورسائلهم إلى أمين سر اللجنة بالبريد المسجل وأن تحمل هذه المؤلفات العنوان الكامل للمرسل.

تاسعاً: على أمين سر اللجنة إرسال وصل بتسلم جميع ما يصل إليه.

عاشراً: تقدم اللجنة للمؤلفين الذين لم يحوزوا على إحدى الجوائز الثلاث هدية معنوية شكراً على مساهمتهم وتقديراً لجهودهم.

الحادي عشر: من حق المؤلفين الذين لم يحوزوا على إحدى الجوائز الثلاث سحب مؤلفاتهم بعد انتهاء اجتماعات اللجنة بـ ١٥ يوماً، وليس للجنة حق الطبع والنشر والترجمة للكاتبين اللذين نالا الجائزة الثانية والثالثة إلا باتفاق خاص.

أما أعضاء لجنة التحكيم فإنها تتألف من الذوات التالية أسماؤهم:

١ ـ سماحة الإمام الشيخ مرتضى آل ياسين، رئيس جماعة العلماء في النجف الأشرف.

٢ ـ العالم المحقق السيد محمد باقر الصدر.

٣ ـ حجة الإسلام السيد موسى بحر العلوم.

أمين سر اللجنة الخطيب جواد شبر ـ
النجف الأشرف

(لرواد الثقافة الدينية كافة)

نؤكد للقراء الكرام وجود دورات كاملة ومجلدة لدينا للسنين الماضية بسعر ٥٠٠ فلس للدورة الواحدة داخل العراق و ٦٠٠ فلس خارج العراق.

١ ـ الدورة الأولى ـ الطبعة الثانية

٢ ـ الدورة الثانية ـ الطبعة الثانية

٣ ـ الدولة الثالثة ـ الطبعة الثانية

٤ ـ الدورة الخامسة ـ الطبعة الأولى

٥ ـ الدورة السادسة ـ الطبعة الأولى

٦ ـ الدورة التاسعة ـ الطبعة الأولى

٧ ـ الدورة العاشرة ـ الطبعة الأولى وهي الأخيرة

ملحوظة:

ونروم إعادة طبع الدورة الرابعة قريباً إن شاء الله تعالى.

(مكتبة اللجنة)

لقد تبرع الأفاضل المدرجة أسماؤهم أدناه بالكتب القيمة إلى مكتبة الثقافة الدينية التي أنشئت لتثقيف عموم الطبقات من إخواننا المؤمنين الكرام ونحن في الوقت الذي نشكر عواطفهم النبيلة تجاه المكتبة نتمنى لهم دوام التوفيق والنجاح والله لا يضيع أجر المحسنين.

اسم الكتاب	المؤلف	المتبرع والمهدي
١ ـ التضامن الإسلامي	نشرة شهرية تصدرها جمعية التضامن الإسلامية	إدارة المجلة
٢ ـ المنتظر	مجلة شهرية تصدر بلغة أردو في باكستان	إدارة النشرة
٣ ـ كيف تسعد الحياة؟	محمد جاسم العيداني	منابع الثقافة الإسلامية كربلاء المقدسة؟
٤ ـ النظام السياسي	العلامة الشيخ باقر شريف القرشي	المؤلف
٥ ـ مجلة المكتبة العربية		إدارة المجلة
٦ـ مكتب إسلام	مجلة فارسية	إدارة المجلة ـ قم إيران
٧ ـ التربية الإسلامية العدد ١٦ لسنة ٥	مجلة شهرية تصدرها جمعية التربية الإسلامية	إدارة المجلة بغداد ـ كرخ

اسم الكتاب	المؤلف	المتبرع والمهدي
٨ ـ حضارة الإسلام	مجلة فكرية جامعة	إدارة المجلة ـ دمشق ص.ب. ٨٠٨
٩ ـ التكامل في الإسلام	الأستاذ احمد أمين	المؤلف
١٠ـ أقوال الأئمة عليهم السلام	السيد علي أكبر واعظ	المؤلف. مشهد. إيران
١١ـ علي والشيعة	العلامة الشيخ نجم الدين العسكري	المؤلف ـ بغداد
١٢ ـ نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة	الحجة الشيخ باقر المحمودي	المؤلف ـ كربلاء
١٣ـ المسائل المستحدثة ج ٢	سماحة الحجة السيد محمد صادق الروحاني	المؤلف ـ قم إيران

الموادعة مرة،... بيد أن الظروف قاسية

كنا نأمل الفرج حباً في استدامة اللقاء الودي الثقافي مع القراء الكرام على صعيد عمه الصفاء والإخلاص غير أن الظروف أحرجتنا على مغادرة المسرح بصورة مستعجلة ولفترة قصيرة ـ إن شاء الله ـ ورجاؤنا الوطيد من ساحة القدس تعالى أن يمن علينا بالكرة الرابحة في المستقبل القريب، فإن مع العسر يسراً ومع كل شدة فرجاً، ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

ومما يسعد بنا الحظ في العاجل أن إعادة طبعة الدورات السابقة لم تزل مستمرة، فنحن مع القراء، لا نفارقهم، على صفحات تجدد ما مضى من العهد، وهي سلوى فأخذها تفاؤلاً حسناً نترجى من ورائها الخير في الآجل بتوفيقه تعالى، إنه ولي التوفيق.

(الإدارة)

المحتويات

مقدمة الدورة العاشرة ٣
حول نهضة الإمام الحسين عليه السلام ٧
بيئة الثورة ٧
١ ـ الخمود الديني ٧
٢ ـ الخمود العملي ٧
٣ ـ الخمود الفكري ٨
٤ ـ خمود القوة في الأمة ٨
الإصلاح ١٠
إتمام الحجة على أهل الكوفة ١٢
نشر دعوته ١٣
نتائج تلك النهضة ١٤
لماذا لم يصالح الحسين يزيد؟ ١٨
لماذا أخرج أهل بيته؟ ٢٢
(الأول) ٣١
(الثاني) ٣١
(الثالث) ٣٢
(الرابع) ٣٢

(الخامس) ٣٢
(السادس) ٣٣
«المآتم الحسينية» ٣٤
(لا اسم ولا رسم للذات) ٤٠
(الخراج يملك بالضمان) ومن عليه الغرم فله الغنم ٤١
(يملك الإنسان ما يمكن أن يملك) ٤١
(العلم كاشف والمعلوم مكشوف) ٤٢
(اللّه ليس بواحد عددي) ٤٢
الفرق بين الكافر والملحد ٤٣
الفرق بين الفاسق والمجرم ٤٤
الفرق بين السنة والشيعة في وجوب صلاة الجمعة ٤٤
بعض حياة الإمام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام ٤٥
مولده عليه السلام ٤٦
دلائل إمامته عليه السلام ٤٦
ألقابه وكناه ٤٦
في دلائل إمامته عليه السلام ٤٦
معاجزه عليه السلام ٤٧
أخلاقه وآدابه عليه السلام ٤٩
نصائحه عليه السلام ٥٠
مدة إمامته عليه السلام ٥١
سبب وفاته عليه السلام ٥١
زيد الشهيد ٥٢
ولادته ٥٢
الأخبار الواردة في شهادة زيد ٥٣

أسباب نهضته ٥٤
موقفه مع هشام ٥٤
تفسير قوله تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم. . . . إلخ﴾ ... ٥٧
ترخيص الحكم الأول ٥٨
ترخيص الحكم الثاني ٥٩
يأجوج ومأجوج ٦١
فضة ما تكلمت إلا بالقرآن ٦٢
سيجعل اللّه بعد عسر يسراً لمن اتقاه ٦٢
آيات السجود في القرآن ٦٣
فلسفة حرمة لحم الخنزير ٦٤
كتابة المصحف الكريم ٦٥
تتمة الاعتذار ٦٦
وكلاؤنا في البلاد ٧٠
(الإمام الحسين بن علي عليه السلام) ٧٢
لقبه وكنيته عليه السلام ٧٢
مولده عليه السلام ٧٣
الأدلة على إمامته عليه السلام ٧٤
بعض كلماته وحكمه عليه السلام ٧٤
أدعيته عليه السلام ٧٦
التوسل به عليه السلام ٧٦
معجزاته عليه السلام ٧٦
زوجاته عليه السلام ٨١
عدد أولاده عليه السلام ٨١
خصائصه عليه السلام ٨٢

فضائله ومآثره عليه السلام ٨٢
محبة الرسول إياه ٨٦
مكارم أخلاقه عليه السلام وكرمه عليه السلام ٨٦
حلمه وعفوه عليه السلام ٨٩
زهده وتقواه عليه السلام ٩٠
علمه وسيرته عليه السلام ٩١
قصة أرينب ٩٢
الحسين عليه السلام لا يبايع يزيد ٩٩
خروج الحسين عليه السلام من المدينة ١٠٦
كتاب أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام ١١٢
الرحيل إلى الكوفة ١١٥
دخول ابن زياد الكوفة ١١٧
الحسين عليه السلام عند الكوفيين ١٢٤
شجاعته عليه السلام ١٢٥
أصحابه عليه السلام ١٢٦
أيام وفاته عليه السلام ١٢٧
مدفنه عليه السلام ١٢٧
فضل زيارته عليه السلام ١٢٧
مدة عمره عليه السلام ١٢٨
نصرع الإمام ومقتله ١٢٩
موارد الدولة المالية ١٣٦
١ ـ الضرائب المالية ١٣٧
الهدف من تشريع الضريبة في الإسلام ١٣٧
٢ ـ الدومين العقاري ١٤٤

١ ـ الأراضي ١٤٥
٢ ـ سواحل البحار ١٤٧
٣ ـ الغابات والأحراش ١٤٧
٤ ـ رؤوس الجبال والأودية ١٤٨
٥ ـ صفايا الملوك وقواطعها ١٤٨
٦ ـ المعادن والمناجم ١٤٨
٧ ـ الأنهار والبحار ١٤٩
٣ ـ مشاريع الإنتاج والزراعة الحكومية ١٥٠
٤ ـ القرض ١٥٤
٥ ـ شؤون الولاية العامة ١٥٦
الفيء ١٥٦
إرث من لا وارث له ١٥٧
نفقات الدولة ١٥٨
تمهيد ١٥٨
تعريف النفقات ١٥٨
عرض لنفقات الدولة ١٦٠
١ ـ النفقات الشخصية ١٦١
(١، ٢) ـ الفقراء والمساكين ١٦٢
أقسام الفقر ١٦٢
أ ـ المرض والشيخوخة ١٦٢
ب ـ القائمون بالخدمات العامة ١٦٣
أصل التوظيف في الإسلام ١٦٥
تخلص فقهي ١٦٦
ج ـ الفقراء المهملون ١٦٧

٣ ـ العاملون عليها ١٦٨
٤ ـ المؤلفة قلوبهم ١٦٨
٢ ـ الجهات والمرافق العامة ١٦٨
في سبيل اللّه ١٧٠
مراجع البحث ١٧٥
أهمية تداول الثروة ١٧٨
النظام المالي، والاقتصاد السياسي، وتداول الثروة ١٧٨
المقايضة ١٧٩
النقود ١٧٩
تطور النظام النقدي ١٨٠
نظام «الذهب» في الفقه الإسلامي ١٨١
النظام النقدي في المجتمع الإسلامي ١٨٥
البضاعة ١٨٨
أنحاء التداول وبصورة عامة، يقع التداول بين الناس في الأسواق على أربعة أنحاء ١٨٩
أنحاء التداول ١٨٩
شروط التداول ١٨٩
١ ـ اختلاف الثروة ١٨٩
٢ ـ سرعة التداول ١٩١
النظام المصرفي الحديث ١٩٣
نشأة النظام المصرفي ١٩٣
مفاسد النظام المصرفي ١٩٤
موقف الإسلام من إصدار الأوراق المالية ١٩٧
٢ ـ تمركز القوة في أيدي المساهمين ١٩٩

الشكل المشروع للنظام المصرفي في المجتمع الإسلامي ٢٠٢
١ ـ القروض ٢٠٢
٢ ـ خصم «الكمبيالات»والسندات المالية ٢٠٧
٣ ـ التحويل ٢٠٧
٤ ـ فتح الاعتماد ٢٠٧
التداول الفردي والشركات ٢٠٩
١ ـ التداول الفردي ٢١٠
١ ـ البيع ٢١٠
أ ـ تعريفه ٢١٠
ب ـ أقسامه ٢١٠
ج ـ شروطه ومسائله ٢١١
د ـ الخيارات ومسائلها ٢١١
هـ ـ البيوع المحرمة ٢١٢
ب ـ الإجارة ٢١٤
أ ـ تعريفها ٢١٤
ب ـ أقسامها ٢١٤
ج ـ شروطها ومسائلها ٢١٥
د ـ الخدمات التي منع الإسلام تداولها ٢١٥
٢ ـ الشركات ٢٢٣
شرعية الشركة ٢٢٣
أقسام الشركة ٢٢٣
١ ـ شركة العنان ٢٢٤
٢ ـ شركة المضاربة ٢٢٤
الشركات القانونية ٢٢٥

١ ـ الشركات التجارية ٢٢٥
شركات الأشخاص ٢٢٥
شركة التضامن ٢٢٦
الشركة ذات المسؤولية الواحدة ٢٢٧
شركات الأموال ٢٢٧
٢ ـ الشركات المدنية ٢٢٧
مراجع البحث ٢٢٩
(قبض النوم وقبض الموت) ٢٣٢
(صداقة ممقوتة) ٢٣٣
(كسب الفجور) ٢٣٤
(معنى الفتنة في قوله تعالى ﴿وهم لا يفتنون﴾) ٢٣٥
(ما هي العبادة المفروضة؟) ٢٣٦
(هل أن رسول اللّه ﷺ يقرأ ويكتب؟) ٢٣٦
(سبب وفاة فاطمة المعصومة بقم) ٢٣٨
(حكم الزواج وحل مشكلته) ٢٣٩
ملاحظة ٢٤٥
(المقايسة بين الإسلام والرأسمالية والشيوعية) ٢٤٥
(الظالم سيفي انتقم به وأنتقم منه) ٢٤٦
(أم القرى وحولها) ٢٤٧
(الفرقة الناجية) ٢٤٧
حب الحسين عليه السلام ٢٤٩
(السيادة لهاشم ونسله) ٢٥٠
(حج التمتع) ٢٥٠
(الأئمة الاثنا عشر) ٢٥١

(الصلاة على محمد وآله) ٢٥١
(تفسير قوله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾) ٢٥٤
(الفرق بين القوانين الوضعية والقوانين الإلهية) ٢٥٤
(الرشوة والاحتكار) ٢٥٥
تتمة الاعتذار ٢٥٧
مكتبة الإمام الحسين عليه السلام العامة ٢٦٠
ملاحظة ٢٦٠
بعض مواعظ الإمام الصادق عليه السلام وحكمه ٢٦٣
تمهيد ٢٦٥
١ ـ أسرار الوضوء ٢٦٧
١ ـ منافع روحية ٢٦٨
٢ ـ منافع صحية ٢٦٩
ب و ج ـ المضمضة والاستنشاق ٢٧١
د و هـ ـ غسل الوجه واليدين ٢٧٨
و، ن ـ مسح الرأس والرجلين ٢٨١
٢ ـ الأسرار الروحية للصلاة ٢٨٢
٣ ـ كيف يدرك الخشوع في الصلاة؟ ٢٩٢
(توحيد المصاحف على عهد عثمان) ٢٩٨
مصاحف متعددة ٢٩٨
اختلاف المصاحف ٢٩٩
عثمان يعقد لجنة ٣٠٣
(مواقف الصحابة تجاه المشروع المصاحفي) ٣٠٥
عام تأسيس اللجنة ٣١١
سير عمل اللجنة ٣١٥

عدد المصاحف العثمانية ٣٢٠
ترتيب المصاحف العثمانية ٣٢٠
وصف المصاحف العثمانية ٣٢٢
النقط والشكل ٣٢٢
أخطاء إملائية ٣٢٧
نموذج ٣٣٢
اختلاف المصاحف العثمانية ٣٣٥
ملحوظة ٣٣٨
إجمال ما حدث بعد عثمان ٣٣٩
إلى من يعود الفضل؟ ٣٤١
نداء إلى أعلام الفكر ٣٤٣
(لرواد الثقافة الدينية كافة) ٣٤٦
(مكتبة اللجنة) ٣٤٧
الموادعة مرة، . . . بيد أن الظروف قاسية ٣٤٩